مكتبة الأسرة ٢٠٠٨

سلسلة الأدب

قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز

لجلال الدين الرُّومىّ

نقلها من الفارسية وقدّم لها وعلق عليها

دكتور محمّد السّعيد جمال الدين



قصائد مختارة
من ديوان
شمس تبريز
لجلال الدين الرومي

نقلها من الفارسية وقدم لها وعلق عليها
دكتور محمد السعيد جمال الدين

٢٠٠٨

قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز

لوحة الغلاف من أعمال الفنان الفارسي: بـهزاد

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

الرومى، جلال الدين الرومى، ١٢٧٣

قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز/ لجلال الدين الرومى؛ نقلها من الفارسية وقدم لها وعلق عليها: محمد السعيد جمال الدين .. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

مج ١ : ٢٤ سم.

تدمك : ١ - ٤٥٨ - ٤٢٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨.

١ - الشعر الفارسى .

أ - جمال الدين، محمد السعيد (ناقل ومقدم).

ب - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٤١٣ / ٢٠٠٨

I.S.B.N 978 - 977- 420 -458 - 1

ديوى ٨٩١,٥٥١

توطئة

متذ ثمانية عشر عامًا انطلق مهرجان القراءة للجميع على جناح فكرة أن الكتاب هو عماد المعرفة الرئيسى، والثقافة الرفيعة، وأن الكتاب ينفرد عن غيره من أدوات التثقيف ومصادر المعرفة بقدرته على تنمية الفكر وصنع العقول المستنيرة، وتكوين الشخصيات المتميزة، وفتح آفاق الاستنارة أمام الملايين، والإسهام فى تشكيل وجدان الأمة، وحفظ تراثها، والوصول إلى رؤى مستقبلية لنهضتها.

ولقد حرصت مكتبة الأسرة طوال أعوامها السابقة كرافد رئيسى للمهرجان على تحقيق الهدف النبيل من تأسيسها.. ذلك الهدف الذى تحدد فى طرح العبقرية الإبداعية والفكرية والعلمية للمجتمع المصرى المعاصر، وفتح نوافذ على الفكر والإبداع العالمى، وإقامة جسور بين الحضارات المختلفة، والتعرف على ثراء التاريخ الفرعونى والإسلامى، وأخيرًا تحفيز الأجيال الجديدة على القراءة حتى تصبح عادة، بل ضرورة ملحة تترسخ أهميتها فى الأذهان من خلال كتب عظيمة الفائدة، تباع بأسعار رمزية فى متناول الملايين.

ولأن وصول الكتاب إلى كل مكان فى مصر سيظل حلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك، راعية القراءة للجميع، فلقد أعلنت هذا العام مبادرتها الجديدة بإهداء مليون كتاب مجانًا للمجتمع، ولأن مهرجان القراءة للجميع يتخذ شعارًا مختلفًا كل عام يتواءم مع الرسالة التى يهدف إلى تحقيقها وتنوعها وتطورها عامًا بعد عام، فإن مكتبة الأسرة تتخذ توجهًا عامًا فى اختياراتها للكتب، يستهدف دائمًا تحقيق وعى عام متجدد يطور القوى الاجتماعية، ويقوم على

منظومة قيم تتلخص فى تعميق دور العلم والتفكير العلمى، وتعزيز الديمقراطية، والتعددية وترسيخ قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وتأكيد قيمة التسامح وثقافة السلام، وترسيخ قيمة دور المرأة، وقيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى والحوار والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وإبراز تواصل الإبداع المصرى، ولقد تم استحداث قيمة جديدة هذا العام هى تعزيز تجليات الوطن وقضاياه، وذلك لمواجهة متغيرات خرائط الصراع المضاد، الذى يسعى إلى التفتيت بإشعال الفتن والانقسامات التى تحول الانتماء الوطنى إلى ولاءات لأعراق وعقائد ومذاهب، وفق تصنيفات قاطعة تعمل على تعبئة الناس وقولبتهم لكى تضعهم فى موقف التضاد بعضهم لبعض على سبيل الاستبعاد والاستعداء للنيل من سيادة الدولة الوطنية، وانتهاك دعمها للمواطنة والديمقراطية والمجتمع المدنى ومشروعية التعايش؛ ولذا ستظهر تجليات الوطن وقضاياه وتتجسد فى الإبداعات التى ستطرحها مكتبة الأسرة هذا العام.

لقد نهض صرح مكتبة الأسرة على أعمدة المكتبة العربية، وثراء تحفها الإبداعية والفكرية، واكتشاف الأقلام الموهوبة الشابة، فالتف الجميع حوله كواحد من أكبر المشاريع الثقافية فى تاريخ مصر الحديث، نأمل دائمًا أن يحقق أحلامه العظمى، وأن يساهم مساهمة فعلية فى نهضة المجتمع.

مكتبة الأسرة

تقديم

هذه ترجمة لقصائد مختارة من أشعار جلال الدين الرومي، ضمها ديوانه الكبير المعروف بـ «ديوان شمس تبريز» الذى نظمه تخليدًا لذكرى شيخه وصاحبه «شمس الدين التبريزى».

يتردد بكثرة وفى أغلب هذه القصائد اسم شمس الدين فحسب، وإنما نلحظ أيضًا وفى إعلاء قدر شمس الدين التبريزى الذى بدا - فى رأى جلال الدين - قطبًا من الأقطاب تدور عليه رحى القلوب التى تهيم بمحبة الله تعالى وتنجذب إليه أرواح السالكين فيقدح فيها زناد الشوق، ويدفع بها قدمًا فى الطريق إلى الحق، وقد صرح جلال الدين فى أغلب قصائد الديوان باسم شمس الدين، وأشاد به وعده «الإنسان الكامل»، الذى تجلت فيه أسمى مظاهر الإنسانية، فهو سلطان دولة العشق، وأمير قافلة الحب الإلهى فى عصره.

ونتيجة المد الثقافى فى الفترة التى عاش فيها جلال الدين الرومى فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فى وقت كانت الثقافة الإسلامية فيه قد أخذت تتجه اتجاهًا عقليًا محضًا تحت تأثير الفلسفة الإغريقية، وتبتعد عن الروح كمصدر للهداية الإنسانية، بينما أخذ التصوف - من ناحية أخرى - يدعو الناس إلى الاستسلام والخنوع، وإلى ترك الدنيا والعزلة عن الناس.

فقام جلال الدين يدعو الناس من جديد إلى العشق، وإلى طرح الفلسفة جانبًا، وإلى الاندماج فى حياة عقلية وجدانية كاملة، وكشف عن الأخطاء الفلسفية والكلامية، وبين أن المعارف العقلية ليست كاملة، بل لابد لها من

العشق، وإلا أصبحت عرضة للفتنة والوقوف فى منتصف الطريق، والاكتفاء بالعالم عن خالقه. وبالعقل عن الوحى، ومن أجل ذلك كان هدف جلال الدين أن يخرج الحياة الإنسانية مما أصابها من جمود الوجدان، وموت القلب، وفقدان الحس الروحى. وتدهور القوى المعنوية بسبب الاستغراق فى المادة والابتعاد عن مباهج الحياة الروحية.

ويبدو جلال الدين من خلال الديوان بخاصة - وكأنه قد نحا نحوًا جديدًا فى تاريخ التجربة الروحية، حين جعل العشق قطب الرحى ومركز الدائرة فى حياة الإنسان وعلاقته بالحق تعالى من ناحية، وبالعالم من ناحية أخرى، وبالتالى فهو يعلى من قيمة المحبة ويجعلها مهيمنة على ما عداها؛ لأن العلاقة بين الإنسان والحق تعالى قائمة على حب وود، ومن ثم كانت المحبة هى المقدمة على ما عداها وهى العلاج لكل العلل، فالديوان دعوة إلى العشق وإلى الاندماج فى موكب الحب الذى يقود الإنسان فيه الكون كله إلى التوجه إلى خالقه وإلى الإخلاص له وابتغاء وجهه وتحقيق الوصال به، ومن ثم يبدو العشق عند جلال الدين وكأنه القوة المحركة للكون كله، تسرى فى أجزاء الوجود بأسره.

ومولانا جلال الدين الرومى ولد فى السادس من ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ ١٢٠٧م بمدينة بلخ، التى تعد فى ذلك الحين واحدة من أهم مدن إقليم خراسان المترامى الأطراف. وكان أبوه بهاء الدين من كبار علماء عصره، وكان الناس يجتمعون إليه بأعداد غفيرة لحضور درسه، وكان يحظى بينهم بمكانة مرموقة ومحبة ملحوظة، حتى توفى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م، وكان جلال الدين - حين توفى أبوه - فى الرابعة والعشرين من عمره.

ومكتبة الأسرة تقدم ضمن إصداراتها هذا العام هذه المختارات عن طبعتها الأولى الصادرة عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

مقدمة

أقدِّم للقارئ العربى ترجمة لقصائد مختارة من أشعار جلال الدين الرُّومى ضمَّنها ديوانه الكبير المعروف بـ« ديوان شمس تبريزى»، الذى نظمه جلال الدين تخليداً لذكرى شيخه وصاحبه «شمس الدين التبريزى».

ولاتشتمل أغلب هذه القصائد على اسم شمس الدين فحسب وإنما تشتمل أيضاً على إعلاء من قدر هذا الرَّجُل الذى بدا – فى رأى جلال الدين – قطباً من الأقطاب تدور عليه رحى القلوب التي تَهيم بمحبَّة الله تعالى، وتنجذب إليه أرواح السَّالكين فيقدح فيها زناد الشَّوق ويدفع بها قُدُماً فى الطريق إلى الحقّ.

وأبدأ الآن بالتعريف فى اختصار بكلٍّ من جلال الدين الرومى وشمس الدين التبريزى، ثم أعرض للقاء الذى تم بينهما والذى أدَّى إلى التحوّل الكبير الذى ألمَّ بحياة جلال الدين وفكره وطرائق تعبيره، وأنتقل فى النهاية إلى الحديث عن «ديوان شمس تبريز» وعن هذه القصائد المختارة والتى نُقل أغلبها إلى العربية لأول مرة. (١)

(١) أصدر المجلس الأعلى للثقافة فى مصر (المشروع القومي للتَّرجمة) ترجمة مختارات من الديوان كان المرحوم الدكتور إبراهيم الدَّسوقى شتا قد أعدَّها للنَّشر قبل وفاته، ونُشرت هذه المختارات فى جزءين فى سنة ٢٠٠٠م بعنوان «مختارات من ديوان شمس الدين تبريزى» لمولانا جلال الدين الرومى، ولاتتفق مختارات الدكتور شتا مع هذه القصائد المختارة إلا فى عدد قليل لايزيد عن ست قصائد. ومن ثمَّ فإن أغلب هذه القصائد تتاح للقارئ العربى مترجمة لأول مرّة.

اسمه محمد ، ولُقِّب بجلال الدين ، كما عُرف بالقاب أخرى هى : مولانا ، ومولوى ، والرومى نسبة إلى «آسيا الصغرى» التى كانت تُعرف فى عصره ببلاد الروم. وقد عاش بها منذ كان صَبيا يافعاً وظلّ بها إلى أن وافته المنيَّة وهو فى الثامنة والستين من عمره.

ولد فى السادس من ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م بمدينة بَلْخ التى كانت تعدّ فى ذلك الحين واحدة من أهم مدن إقليم خراسان المترامى الأطراف .

كان أبوه - بهاء الدين محمد وَلَدْ بن حُسين البَلْخى - من كبار علماء عصره وعُرفائهم، كان الناس يجتمعون إليه بأعداد غفيرة لحضور درسه ، وكان يحظى بينهم بمكانة مرموقة ومحبّة ملحوظة أثارت عليه ثائرة السلطان محمد خوارزمشاه وأوغرت صدره ، فحدثت بينهما جفوة(١) خشى بهاء الدين بعدها أن يصيبه مكروه من السلطان ، فآثر مغادرة تلك الديار فى سنة ٦١٦هـ/ ١٢٢٠م، ويمّم وجهه شطر بغداد يصحبه فى رحلته ابنه جلال الدين (الذى كان قد بلغ من العمر ثلاثة عشر

---

(١) ربما ترجع الجفوة بين بهاء الدين ولد والسلطان محمد خوارزمشاه إلى المذهب الذى كان يدعو إليه بهاء الدين فى خطبه ومواعظه ، وهو مذهب يعتمد مبدأ الوسطية بين العقل والنقل ويتحوّط من مقولات الفلاسفة وعلماء الكلام وبخاصة من يقدّمون العقل على النص ولا يقيمون وزنا للتجربة الروحية ، وقد كان السلطان محمد نفسه واقعاً تحت تأثير المتكلّم الكبير فخر الدين الرازى الذى كان يقود بنفسه هذا الاتجاه ، وكان - بسبب من ذلك - على خلاف ظاهر مع بهاء الدين ولد .

عاماً) وأفراد أسرته وعدد من خَدَمِه وغِلمانه .

لم يبق بهاء الدين فى بغداد غير بضعة أيام انطلق بعدها لأداء فريضة الحج ، ثم إنه اتخذ طريقه بعد ذلك إلى دمشق ، وهناك تلقىَّ دعوة سلطان السلاجقه فى بلاد الرُّوم «علاء الدين كَيقُبَاد» للإقامة فى «قونية»(١) عاصمة ملكه ، فلبىَّ بهاء الدين دعوته وانتقل للإقامة بها .

وقد جاءت هجرة بهاء الدين من بلخ فى الوقت الذى ساءت فيه العلاقات بين محمد خوارزمشاه وقائد المغول «جنگيزخان» وبدت فى الأفق نذر حرب طاحنة بين الفريقين ما لبث أن اشتعل أوارها . ثم جاء الإعصار المغولى لكى يقتلع فى طريقه الدولة الخوارزمية ، ويدمّر مدن الشرق الإسلامى العامرة بالحضارة و التقدم ، وكان من بينها بَلْخ ، مما جعل بهاء الدين يتخلَّى عن عزمه على العودة إلى موطنه ويبقى فى «قونية» من بلاد الروم ليحظى بحسن وفادة سلطانها الشاب «علاء الدين كيقباد» ووزيره الهُمام «معين الدين پروانه» (٢)

وظل بهاء الدين ينعم برعاية السلطان والوزير ويمارس عمله فى الفُتيا والخطابة والتَّدريس والوعظ حتى توفى فى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م .

---

(١) تقع «قونية» فى القطاع الجنوبى من الأناضول ، على حافة سلسلة جبال «طوروس» ، وترتبط بمجموعة من الطُّرق تصلُها بالشام والعراق .

(٢) تولى علاء الدين كيقباد سلطنة دولة سلاجقة الروم فى الفترة من سنة ٦١٦ - ٦٣٤هـ/ ١٢٢٠-١٢٣٧م . أما وزيره معين الدين پروانه فقد توفى سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م ، راجع كتاب «أخبار سلاجقة الروم» ترجمه عن الفارسية الدكتور محمد السعيد جمال الدين ، نشر مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر ، الدوحة ، ١٩٩٤ .

كان جلال الدين – حين تُوفى أبوه – فى الرابعة والعشرين من عمره ، وقد أسند إليه السلطان كيقباد منصب أبيه فى تدريس العلوم الشرعية .

ولم يكد يمضى عام أو أقل حتى وفد إلى «قونية» «السيد برهان الدين التّرمذى» ، وكان من أصحاب «بهاء الدين ولد» ، فأفاد منه جلال الدين فائدة كبيرة ، ورغّبه السيد فى الاندماج فى الحياة الروحية وسلوك الطريق الصوفى ، وزاد على ذلك أن أمره بالارتحال إلى «حلب» لكى يحضر دروس علمائها الكبار . ثم إن جلال الدين انتقل بعد ذلك إلى «دمشق» وأقام فيها نحو أربع سنوات .

وقد بلغت مدة بقاء جلال الدين فى كل من حلب ودمشق نحو سبع سنوات ، عاد بعدها إلى قونية يحمل معه العديد من الإجازات التى منحها له العلماء الذين حضر دروسهم فى التفسير والحديث والفقه وأصول الدين واللغة والأدب وأصول العقائد والفلسفة وعلم الكلام ، وبدا وكأنه قد استكمل عُدّته فى أغلب العلوم العقلية والنّقلية ، ووصل فى الفقه – بخاصة – إلى مرتبة الاجتهاد والأهلية للفُتيا ، ولهذا وردت ترجمته فى كتب طبقات الحنفية بين الفقهاء والمفتين. (١)

وبعد وفاة السيد التّرمذى فى سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م باشر جلال الدين تدريس العلوم الدينية قرابة خمس سنوات .

وتذكر بعض الروايات أن عدد الطلاب الذين كانوا يتجمعون لحضور دروسه بانتظام زاد على الأربعمائة. واشتهر ذكره بين الناس ،فأحبه الخاصّ

---

(١) انظر بديع الزمان فروزانفر ، مقدمة ديوان شمس تبريزى ، طبع طهران ، ١٣٥١هـ.ش.

والعام ، واشتغل بالوعظ «(١) وعُرف عند ذاك بأنه واحد من كبار أئمة المسلمين ، وعماد لشريعة النبى محمد ﷺ .

ومن الواضح أن جلال الدين قد جمع فى تلك المرحلة بين شخصيَّة العالم الفقيه وشخصية الشيخ الصوفى ، وكان يختلف إلى دروس فقهه طلبة العلوم الدينية ،كما كان يفيد من إرشاداته وتوجيهاته القولية والعملية المريدون الذين يسعون إلى كسب المعارف الروحية .

شمس الدين التبريزى

يبدأ التحوّل الكبير – أو الولادة الجديدة كما يسمونها – لجلال الدين فى اللحظة نفسها التى التقى فيها بشمس الدين التبريزى .

ويصفُ الأستاذ "رينولد آلين نيكُلسون" فى مقدمة ترجمته الإنجليزية لمختارات من ديوان شمس تبريز شمس الدين بأنه «شخصية غامضة تتدثر بلباد أسود خشن ، تضوى لحظة قصيرة على مسرح الحياة ثم تختفى فجأة وفى سرعة فائقة» (٢) . ثم يصفه نيكلسون فى ملحقات ترجمته الإنجليزية لكتاب المثنوى لجلال الدين الرومى بأنه : «كان إلى حدّ ما أُمّياً ، ولكنه امتاز بحماس روحى شديد ، مصدره الفكرة التى استولت عليه فجعلته يتخيل أنه مبعوث العناية الإلهية» (٣)

---

(١) الأفلاكي، شمس الدين أحمد : مناقب العارفين ،طبع أنقرة، سنة١٩٥٩، ١٩٦١م، ٢ : ٦١٤ .

(٢) R.A.Nicholson, Selected Poems from the Diwan - i - Shams- i - Tabriz - Cambridge, 1898, P. 18.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠ . وانظر أيضا : «إدوارد جرا نفيل براون » ، تاريخ الأدب فى إيران ، الجزء الثانى ، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ، طبع مصر ١٩٥٤، ص٦٥٥-٦٥٦ .

ومحيى الدين بن عربى . (١)

ويشير إلى أنه لم يستفد من شيخ جلس إليه مثلما أفاد من جلال الدين الرومى ، فهو يحدث جلال الدين فى مقالاته قائلا عن شيخ من شيوخه : «حصلت لى فوائد كثيرة منه (يعنى من شيخه) ، لكنها ليست كما حصَّلته منك ...» . (٢)

وقد كان شمس شأنه شأن جلال الدين معارضا للفلسفة وأربابها ، ويبدو أن جلال الدين قد ورث كرهه للفلسفة عن أبيه بهاء الدين وشيخه شمس الدين ، بينما ورث قسوته على مشايخ الصوفية عن شمس الدين بخاصة .

ويبدو شمس فى كتابه «المقالات» موقنا بأن الوصول إلى الحقيقة أمر ميسور بالمتابعة والعشق فحسب ؛ يقول : «أقلُّ ما عند المصطفى ﷺ لا أهَبُه مقابل مائة ألف رسالة للقشيرى والقريشى وغيرهما ؛ لا طعم لها ، ولا ذوق» . (٣)

والعلم عند شمس إنما هو وسيلة لا غاية ، ومن ثم فإن العلم يفصح بنفسه عن العجز والقصور الكائن فيه . والفيلسوف عنده حيران ؛ يقول : «الجهات الست نور الله ، والفيلسوف الغرّ قد بقى فوق سبع سماوات

---

(١) مقالات ، ص ٢٩٨ . الشيخ الأكبر ، ولد بالأندلس ثم قصد المشرق فطاف أرجاءه وكانت وفاته بدمشق سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م .

(٢) أيضاً ، ص ٣٥٧ .

(٣) أيضا ، ص ٢٧٣ .

[حيران] بين الفضاء والخلاء» (١) ، «يقول الفيلسوف الغرُّ العقول عشرة وأنها تضم كلَّ الممكنات»

«وإلا ، فمن ينطق بكلام سُقراط وبُقراط وإخوان الصَّفا واليونان فى حضرة محمد و آل محمد وأبناء روح محمد وقلبه لا أبناء الماء والطين ؟ والله (تعالى) أيضا حاضر». (٢)

ويُنكر شمس الدين على الفيلسوف أن يتخذ عقله دليلاً ومرشداً ، يقول: «الفيلسوف يُصبح مُنكِراً ؛ أى أن كل مالا يعرفه عقله ، لا يكون له وجود» .

ويتهم بالحمق والجهل كل من خلط بين الفلسفة والدين ولم يقبل حشر الأجساد ، وأخذ يسخر من كل مَن عدّ الحشر روحانيا فقط ، ولذلك يعلن سخطه على «عمر الخيَّام» الذى كان ممن قالوا بأن الحشر روحانىٌ فحسب.

يقول : «أورد الشيخ إبراهيم (٣) إشكالاً على مقولات الخيَّام عن كيفية كونه حائراً؟ قلت : أجل ؛ إنه إنما يتحدث واصفاً حاله ، قد كان حيراناً ، وممن ثم فإنه يتَّهم الخلق تارة ، ويتَّهم الزمان تارة ، ويتَّهم الحظَّ تارة ، ويتهم الحقَّ تعالى تارة ، وتارة ينفى ويُنكر ، وتارة يُثبت ، فإن تحدث فإنما يأتى بأقوال هى ضربٌ من الوهم الحالك ؛ وما المؤمن بحيران ، إنما المؤمن من أزاحت الحضرة [له] النِّقاب ، وكشفت السِّتار ، فرأى مراده

(١) أيضا ، ص ١٢٠ .

(٢) مقالات ، ص ٢٦ .

(٣) يبدو أنه كان من شيوخ العصر .

بعينه ، فيَتعبَّد عياناً فى عَيان ، ويُدرك لذّته بعينه» (١)

ويعلن شمس الدين سَخطه على الفخر الرَّازى ، لأنه أدخل الفلسفة اليونانية عالم الإسلام وكان شديد الكَلَفة بالفلسفة ، يقول : «لو كان من الجائز إدراك هذه المعاني بالتعلم والبحث ، لكان من الواجب وضع تراب العالم على الرأس . . . يقال إن الفخر الرازى قد كتب ألف ورقة فى تفسير القرآن ، بل يقال إنها خمسون ومائة ألف ورقة ، والفخر الرازى لا يبلغ أن يكون غباراً فى طريق أبى يزيد [البسطامى] (٢)، وما هو إلا كمثل حلقه علي الباب ، ليس على ذلك الباب الخاص ، بل حلقة من حلقات الباب الخارجى . . .»(٣)

ولا ريب أن من لم يطالع الفلسفة اليونانية ويتبحّر فى دراستها لا يستطيع أن يُقدم على الطعن عليها بمثل هذا التبصر والوعى (٤) الذى نشهده من شمس الدين .

ومهما يكن من أمر فقد كان « شمس » يُعَوِّلُ على القلب ولا شئ غير القلب فى إدراك المعارف الربانية ، وكان يُعلى من شأن الإنسان ، يقول : «إن الحق - تعالى - لم يقل : ولقد كرَّمنا السماوات ولقد كرَّمنا

---

(١) مقالات ، ص ٣٤٥

(٢) هو أبو يزيد ابن طيفور البسطامى ، من أعلام الرعيل الأوَل من الزُهّاد ، ذاعت شهرته فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى.

(٣) مقالات ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٤) انظر عبدالباقى گولپينارلى ، مولانا جلال الدين : زندگانى ; فلسفه ، آثار گزيده اى از آنها ، ترجمه عن التركية إلى الفارسية دكتر توفيق سبحانى ، طبع طهران ١٣٧٦هـ.ش (١٩٩١م) ، ص ١١١ ، وقد دلّل المؤلف على تبحّر "شمس" فى الفلسفة بالعديد من النصوص من كتاب «مقالات».

العرش(١) . فإن اتجهت إلى العرش لا ينفعك ، وإن اتجهت فوق العرش ، أو تحت الطبقة السابعة من الأرض لا ينفعك ، إن باب القلب هو الذى يجب أن يفتح . ما مسّ كل الأنبياء والأولياء والأصفياء من ضراء وزلزلوا إلا لهذا ، فعن هذا كانوا يبحثون ، فالعالم كله فى شخص واحد ، إن عرف نفسه ، عرف الكل» . (٢)

ويقول وكأنه يتحدث عن نفسه : « إن لله عباداً لا يملك أحدٌ طاقة حزنهم كما لا يملك أحدٌ طاقة سعدهم ، والكأس الذى يملأونه كل مرة ويتجرعونه ، كل من يشربه لا يرجع إلى نفسه ، فالآخرون يشربون ويخرجون ، ويبقى هو جالساً على رأس الدَّن».(٣)

وهو يشرح ذلك بقوله : «لا أحد يستطيع معى صبراً ، إن ما أفعله لا يُتاح له مقلِّد يقتدى به ، وقد قيل حقا ، إن هؤلاء قوم لا يجوز لهم اقتداء»(٤)

ويقول : » إن كلامى صعب مشكل ، ولو قلته مائة مرة لفُهم فى كل مرة بمعنى آخر ، وهذا المعنى يظل مع ذلك بكراً» . (٥)

كان يتزيّى بزي التُجّار تارة » ، أو يتزيى بزىٍّ خاص يتكون من قلنسوة طويلة مصنوعة من اللبّاد البُنّى وعباءة سوداء فضفاضة من الصوف الخشن.(٦) ويتحرك من مكان إلى مكان لا يُمسكه بلد ولا وطن ، فقد كان

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ...الآية» (الإسراء ، ٧٠).

(٢) مقالات ، ص ٢٦٧ .

(٣) أيضا ٣٥٥ . والدَّن : وعاء ضخم للخمر ونحوها.

(٤) مقالات ، ص ٣٥٥ .

(٥) نفس المرجع

(٦) وهو الزى نفسه الذى أمر جلال الدين أتباعه بارتدائه بمجرد أن أيقن بأن شمس الدين لن يعود ، وعُرف بالزى المولوى .

كثير الأسفار ؛ ولذلك سُمِّى بـ «شمس الطيَّار» (١) . وكان إذا دخل مدينة من المدن أقام فى «نُزُل» أو بيت من البيوت التى ينزل بها المسافرون العابرون .

وتذكر بعضُ الروايات أن شمس الدين كان يتنقَّل من مدينة إلى أخرى ، ويفتتح فى بعضها كتاتيب لتعليم الصبيان ؛ وكانوا إذا أعطوه أجراً يمتنع عن أخذه ويطلب تأخيره حتى يتجمع له فى النهاية من المال ما يعينه على قضاء دين كبير عليه ، ثم لا يلبث أن يختفى من المدينة دون أن يحصل على ماتجمع له عند النّاس من مال .

ويقال إنه مكث أربعة عشر شهراً كاملة في حجرة بإحدى المدارس فى «حلب» يشتغل بالرياضة الروحية . (٢)

يقول شمس الدين فى مسألة توجهه إلى قونية - المدينة التى كان يقيم بها جلال الدين- «طالما تضَرعتُ إلى الله تعالى كي يجعلنى أختلط بأوليائه وأنعم بصحبتهم، فرأيت فى المنام من يقول لى : سنجعلك تصحب أحد الأولياء. قلتُ : حسنا ، وأين أجد ذلك الوليَّ ؟ . وفى الليلة التالية رأيت نفس الرؤيا ، وفى الليلة التالية كذلك ، وقيل لى : هو فى بلاد الروم ، وبعد مدة من البحث والطلب لم أعثر عليه ولم أره . قيل : لم يحُن الوقت بعد ؛ فالأمور مرهونة بأوقاتها» .

---

(١) انظر : الأفلاكى : مناقب العارفين ، ١ : ٨٥ .

(٢) انظر ، بديع الزمان فروزا نفر ، مقدمة كليات ديوان شمس تبريزى ، طهران ، سنة ١٣٥١هـ.ش ، ص ٤٢ .

لقاء القطبين شمس الدين وجلال الدين

وصل شمس الدين إلى «قونية» يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وستمائة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤)، واختار الإقامة ببيت من بيوت المسافرين فيها.

واختلفت أقوال الرواة في كيفية اللقاء الأول بين شمس الدين وجلال الدين الرومي؛ وربما كانت رواية الأفلاكي في كتابه «مناقب العارفين» هي أصح الروايات وأكثرها قبولاً (١)؛ يقول:

«ذات يوم غادر مولانا (يعني جلال الدين) يرافقه جمع من الفضلاء مدرسة «پنبه فروشان» (٢)، وحين مرّ من أمام نزل «شكر ريزان» (٣) نهض مولانا شمس الدين وسار بضع خطوات، ثم أخذ بعنان فرس مولانا [جلال الدين] قائلا: يا إمام المسلمين، أيهما أعظم أبو يزيد أم محمد؟ قال مولانا [جلال الدين] إن السماوات السبع بدت من هيبة ذلك السؤال وكأنها قد تناثرت أجزاء ثم سقطت على الأرض، وشبّت نار هائلة من باطني صعدت

---

(١) هناك روايات أخرى تنطوى على كثير من المبالغة وتضفى على شمس الدين قدرة خارقة. من تلك الروايات ماذكره صاحب الجواهر المضيئة من أن جلال الدين كان جالساً يوماً ببيته وحوله الكتب ويحيط به الطلبة فدخل عليه شمس الدين التبريزى وأشار إلى الكتب قائلاً: ما هذا؟ قال جلال الدين: هذا ما لانعرفه، فما فرغ من هذا اللفظ إلا والنار تشتعل فى البيت والكتب جميعاً. فقال جلال الدين للتبريزى: ما هذا؟ قال: هذا ما لا تعرفه. ثم خرج من عنده فتبعه جلال الدين ... الخ» (محيى الدين عبدالقادر، الجواهر المضيئة، طبع حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٢هـ، ٢: ١٤٣ ومابعدها).

(٢) المدرسة التى كان يلقى فيها جلال الدين دروسه.

(٣) النُزُل الذى كان ينزل به شمس الدين بعد دخوله «قونية».

إلى رأسي، ورأيت وكأن دخانا أخذ يصّاعد في السماء حتى بلغ ساق العرش ، أجاب [جلال الدين] : إن محمداً رسول الله أعظم العالمين ، فأين منه أبو يزيد ؟ قال :شمس ، فما معنى قوله - ﷺ - : «ما عرفناكَ حقَ معرفتك» وقول أبي يزيد «سبحاني ما أعظم شأني وأنا سلطان السلاطين». قال مولانا [جلال الدين] : إن أبا يزيد سكن من جرعة واحدة، وتحدث عن سراب ، وامتلأ قدح إدراكه بهذا القدر وحده، وكان ذلك النور بقدر الكُوَّة والنافذة الصغيرة في بيته .

أما المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فكان يُسقى سقاء عظيما، له ظمأٌ في ظمأ ، وكان صدرُه المبارك قد صار منشرحاً بشرح «ألم نشرح لك صدرك» و«أرض الله واسعة»، فلا غرو أن تحدَّث عن الظمأ ؛ وكانت له في كل يوم زيادة قربى، فشأن المصطفى شأن عظيم لأن أبا يزيد حين وصل إلى الحق، رأى نفسه ملآنا ولم يُزد في النظر، أما المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فكان يرى المزيد كُلَّ يوم، ويمضي قُدما فيرى المزيد من أنوار الحق وعظمته وقدرته وحكمته يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ؛ ومن ثَمَّ قال: «ما عرفناك حق معرفتك» .. فما لبث مولانا شمس الدين أن صاح صيحة عظيمة ثم وقع على الأرض ...» (١)

ومنذ ذلك اليوم ، حدث التحوّل الكبير في حياة جلال الدين ، فلم يفترق عن شمس الدين إلا بعد اضطر شمس إلى الارتحال مغضباً إلى حلب ، بعد أن لقي العنت من رفاق جلال الدين ومريديه، كما سيرد تفصيله فيما يلي .

---

(٤) مناقب العارفين ، ٢ : ٦١٨ .

ومازُتي جلال الدين منذ ذلك اليوم إلا وهو فى صحبة شمس الذى بدا فى نظره ممثلاً لنور الله تعالى ، وأنه مبعوث للعناية الإلهية إليه ليهديه إلى نوع من المعرفة اليقينية لم يُتح له من قبل . (١)

وقد وصفه جلال الدين فى المثنوى بأنه « شيخ الدين وبحر معانى رب العالمين . الأرض والسماء تبدو أمامه وكأنها قشّة : لو أظهر جماله دون سحاب لما بقى شئ فى مكانه ، ولا ينبغى أن نُفلت ذيل ثوبه من أيدينا إن أردنا إدراك الحقيقة . ولو طلع شمس لانعدمت الظلال ، إن النجوم وإن كانت بلا عدد ، فإن قُوتُها على التجلى أمام الشمس منفردة منعدمة :

طيور الضحى لا تستطيع شعاعه فكيف طيور الليل تطمع أن ترى »

كذلك وصفه جلال الدين بقوله : « شمس تبريز يعلمك العشق لا العقل » .

لقد أخذت الدهشة والعجب من أهل قونية بعامة ومن أهل الشريعة وأهل الطريقة فيها بخاصة كل مأخذ حين رأوا كيف فُتن رجل يشار إليه بالبنان فى الوعظ والفتوى كجلال الدين برجل مجهول كشمس ، تحيط علامات الاستفهام بأصله ومنشئه .

كانت قد مضت نحو ستة أشهر على اللقاء بين الرجلين ، ترك فيها جلال الدين ما كان قد اعتاده فى حياته السابقة ، ولم تبدر منه بادرة تدل على العودة إلى التدريس والفُتيا ، بل بدا أنه صار من أهل المحبة الإلهية والجذب وترك كرسىّ الدّرس ولقاء الطلبة ؛ يقول :

---

(١) تشبه بعض المصادر اللقاء الذى حدث بين جلال الدين وشمس الدين كاللقاء الذى حدث بين موسى عليه السلام والخضر ، وهو اللقاء الذى تحدثت عنه سورة الكهف فى قوله تعالى « . . . فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً . قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما عُلِّمت رُشداً . . . الآيات » (الكهف ٦٦) .

قد كان بيدى على الدوام مُصحف ، وفى العشق أمسكتُ بقيثارة
قد كان فى فمى ذِكْرٌ وتهليل وتسبيح ، وفيه الآن شعرٌ وبيتان وترنيمة

يُروى عن «كرا خاتون» زوجة جلال الدين أنه كان - قبل مقدم شمس الدين التبريزى إلى قونية - يظل الليالى منذ بدايتها حتى طلوع الفجر قائماً تحت مصباح صُنع بطول قامة الرَّجُل يقرأ كتاب «المعارف» لأبيه بهاء الدين ولد (١) . وأنه كان يحلو له أن يقرأ ديوان أبى الطيِّب المتنبىّ (٢) ، ودواوين شعراء الفرس - والصوفية منهم بخاصة - كسنائى الغزنوى وفريد الدين العطار .

لكن جلال الدين ما لبث أن ترك ذلك كله بعد أن التقى بشمس ، الذى حثّ صاحبه على أن يضرب صفحاً عن كل ما كان يهواه ويجد فيه لذّة ومتعة ، بل لم يسمح له - بخاصة - بقراءة كتاب « المعارف» وديوان المتنبىّ (٣) ، فضلا عن أنه لم يكن يسمح له بلقاء أحد . وكان يجلس بمدخل المدرسة - التى كان يُلقى فيها جلال الدين دروسه - ويقول لمن يرغب فى رؤيته : بأىّ شئ جئت له به حتى آخذه منك وأقدّمه له ؟ وذات يوم غضب منه رجل يطلب مقابلة جلال الدين فسأله شمس هذا السؤال نفسه ، فقال له الرجل : وما الذى جئت به أنت .... ؟ قال : «جئت بنفسى ، وجعلت رأسى فداء له » (٤)

---

(١) مناقب العارفين ١ : ١١٩ - ١٢٠ . وقد طُبع كتاب المعارف فى طهران فى جزءين بتصحيح الأستاذ بديع الزّمان فروز انفر .
(٢) نفس المرجع ٢ : ٦٢٣ .
(٣) أيضاً .
(٤) أيضا ، ٢ : ٦٨٣ .

كان شمس يستفزّ تلامذة جلال الدين ومريديه بأقواله، ويستثيرهم بطبعة الحادّ؛ فقد تجمع الصوفية ذات يوم في إحدى الخانقاهات(١) ، وأخذ بعضهم يروي حديثاً عن السابقين ، وبعضهم الآخر يلهج بكرامات أحد العارفين ، بينما أخذ شمس ينتقل من ركن إلى ركن لا يقر له قرار ، ثم صاح بهم : « إلى متى تتباهون بقولكم : حدثّنا وحدثّنا؟ وتمرحون في ميدان الرجال وأنتم تمتطون سُرُجاً بغير خيول ، أما من أحد منكم ينطق بخبر فيه : حدثني عن ربّي » . (٢)

لم يكن بوسع جلال الدين أن يفعل شيئاً حيال ما كانت تتصف به أعمال صاحبه وأقواله من حدةً ظاهرة وشدة بالغة لا تتناسب مع ما اعتاده المريدون من شيوخهم ، ومن توهين لأتباعه ومريديه الذين ثاروا ثورة عارمة على شمس الدين ، فأخذوا يشنّعون عليه ويتحرّشون به . يقول «سلطان ولد بن جلال الدين» : «عمدوا كلهم إلى التشنيع ، أولئك المريدون الذين كانوا كالقطيع ، فقالوا : لماذا أعرض عنا شيخُنا (يعنون به جلال الدين) وأقبل على «شمس»؟ إنما نحن جميعاً معروفون بالأصل وعراقة المحتد، قد كنا في طلب الحق منذ الطفولة عبيداً صادقين لطريقة الشيخ، وعشّاقاً مُخلصين . قد رأينا منه من الكرامات ما لم يره أحد ، وسمعنا من الحِكَم ما لم يسمعه أحد ، نحن كصقور الصيد ؛ كم من فرائس صدناها ثم جعلناها نِثاراً تحت قدميه . قد جعلنا شهرة الشيخ تُطبق الآفاق . أسعدنا أولياءه وقهرنا خصومه وأعداءه»

---

(١) خانقاه : مكان تجمعُ الصوفية للذِّكر .

(٢) مناقب العارفين ، ٢ : ٦٨٣ .

ثم يتحدثون عما فعل شمس الدين بشيخهم قائلين: «فماذا إذن يقول شمس هذا ؟ يقول : إنه جعل شيخنا ينخدع به، فإن كنا قد حُرمنا رؤية وجهه، فما ذلك إلا لأنه جعل شيخنا مفتوناً به. إن نَسَبه مجهول، لا ندرى أين وُلد، قد عمل عملاً حَرَم به الناسَ من مجالس وعظ الشيخ. صار طالعنا الميمون عثراً بقدومه ...»

يضيف سلطان ولد قائلاً : «وهكذا صاروا جميعاً متعطّشين لدماء شمس، فكانوا إذا رأوه أمسكوا سيوفهم. وكانوا يسبّونه سبّاً فاحشاً، ويرمونه بالسّحر والدّجل ويتربّصون به قائلين: متى يغادر شمس قونية، أو متى يختطفه الموت». (١)

وأحس شمس بهذا العداء الشديد، فآثر الابتعاد عن قونية، وذات يوم غاب ولم يُعثر له على أثر. وقد أملى جلال الدين على أحد تلامذته هذا البيان الذى يسجّل غيبةَ شمس الدين: «سافر المولى الأعز الدّاعى إلى الخير، خلاصة الأرواح، سرّ المشكاة والزّجاجة والمصباح (٢)، شمس الحق والدين، مُخفى نور الله فى الأولين والآخرين، أطال الله عمره ولقّانا بخير لقائه، يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر شوال سنة ثلاث وأربعين وستمائة». (٣)

وهكذا مكث شمس فى قونية نحو ستة عشرة شهراً قبل أن يغادرها هارباً من عداء تلاميذ جلال الدين وتشنيعهم عليه.

---

(١) سلطان ولد: ابتدانامه، تحقيق الأستاذ جلال همائى، طهران، ١٣١٥هـ.ش، ص ٤٠-٤٣.

(٢) إشارة إلى ما جاء عن النور الإلهى فى سورة النور، آية ٣٥ «الله نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة .. الآية».

(٣) مناقب العارفين ٢ : ٦٢٩-٦٣٠.

عودة شمس إلى قونية

على أن رحيل شمس الدين التبريزى ومغادرته قونية لم يأت بالنتيجة التى كان يتوقعها تلامذة جلال الدين وحواريوه ممن ناصبوا شمس الدين الخصومة والعداء ، فلم يرجع جلال الدين إلى ما كان عليه قبل مقدم شمس بل زاد على ذلك أنه أشاح بوجهه عن كل من أصاب شمس بأذى أو كان سببا فى رحيله .

وأخذ جلال الدين وهو فى قونية يتسمع أخبار شمس كى يعرف أين ذهب . ولم تمض مدة طويلة حتى تلقى من شمس رسالة تبين منها أنه مقيم بالشام ، فأرسل إليه جلال الدين أربع رسائل - أو أربع قصائد (١) - مع ابنه سلطان ولد ، وأمر عشرين من تلامذه وأتباعه بمرافقته.

ويقال إن جلال نظم عدة قصائد فى فترة ترقب عودة شمس الدين إلى قونية ، ومن بين تلك القصائد قصيدتان وردت ترجمتهما فى هذا الجزء ، وهما الرقيمتان ٣٨ ، ٨٢ .

واستطاع "سلطان ولد" إقناع "شمس الدين" بالعودة ، فغادر الركب الشام متجها إلى قونية ، فلما اقتربوا منها طلب "سلطان ولد" من أحد المرافقين الإسراع لكى يزف البشرى لجلال الدين ، فخلع عمامته وجبته على البشير ، وخف الناس على اختلاف طبقاتهم ، يتقدمهم جلال الدين ، لاستقبال شمس . وكان ذلك فى المحرم من سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م.

---

(١) وردت هذه القصائد كلها فى ديوان شمس تبريز ، وقد نقلها الأفلاكى فى «مناقب العارفين» ٢ : ٧٠١ - ٧٠٢ .

وبعد عودة شمس الدين، جاء من كانوا على خلاف معه وأعربوا عن أسفهم وقدموا إليه العذر، فشملهم جميعاً بعفوه، وعُقدت مجالس السماع التى يُنشد فيها المنشدون الأناشيد التى تثير الشّوقَ والوَجْدَ فى نفوس الحاضرين، كما أقيمت المآدب كل يوم على شرف جلال الدين وشمس الدين. ولكن لم يمض وقت طويل حتى بدأت حملة جديدة من العداء ضد شمس كانت أشد ضراوة من الأولى، فأخذ الرجل يشكو إلى سلطان ولد قائلاً: «ألا ترى ما فعلوه، أيريدون إبعادى عن مولانا (يعنى جلال الدين) لم يجلسون بعد ذلك فرحين سعداء؟ سوف أرحل هذه المرة فلا يعرف أحد أين أكون، سوف تمرُّ سنوات لن يجد فيها أحد لى أثرا، سأختفى وتمرّ أوقات وأزمان حتى يُقال: إن أحد الأعداء قد قتله». وظل شمس يكرّر هذه الأقوال حتى اختفى فجأة ذات يوم.

ولما جاء جلال الدين إلى المدرسة فى صباح اليوم الذى اختفى فيه شمس الدين ولم يجده سارع إلى ابنه "سلطان ولد" وأمره بأن ينهض لتوّه ويجدّ فى البحث عن شيخه وصاحبه.

وقد تعددت الروايات فى مسألة غياب شمس الدين، ولكنها تُجمع على أنه قُتل ولم يُعثر على جثمانه، بعد أن تمكن القتلة من إخفاء الجثمان بعيداً عن الأنظار للإيهام بأن الرجل قد رحل عن قونية كما فعل من قبل.

ويورد "الأفلاكى" رواية عن زوجة "سلطان ولد" تقول فيها إن شمس الدين بعد أن قُتل شهيداً أُلقيت جُثّته فى بئر. وبعد بضع ليال رآه "سلطان ولد" فيما يرى النائم وهو يقول: «إننى نائم فى المكان الفلانى»، فجمع سلطان ولد جماعة من أقرب الناس إليه، وأخرجوا جثمان شمس من البئر،

لم واروه التراب في ركن من أركان فناء المدرسة التي كان جلال الدين يلقى دروسه بها. كل ذلك دون أن يعلم جلال الدين بشئ مما حدث ، وظل على قناعته بأن صاحبه قد رحل للمرة الثانية.

ويحدد الأفلاكي تاريخ مقتل شمس الدين بيوم الخميس الخامس من شعبان سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م.

ونستطيع أن نتبين من الروايات التي ذكرها كل من "سلطان ولد" و"الأفلاكي" أن جلال الدين ظل مدة طويلة موقناً بأن "شمس الدين" قد رحل مرة أخرى إلى الشام ، ولم يصدق الشائعات التي جرت على الألسنة بأن شمساً قد مات :

من قال إن الحيَّ الخالد قد مات ،

من قال إن شمس الأمل قد قضت

اعتلى عدوُّ الشمس السقف

وأغمض عينيه قائلاً : الشمسُ انطفأت (١)

كان جلال الدين يزوّد بالمال كل من كان يوالي البحث عن شمس الدين ، وقد روى الأفلاكي أن رجلاً جاء إلى جلال الدين وأخبره أنه رأى شمس الدين ، فخلع جلال الدين عباءته ورداءه وعمامته على الرجل ، فقيل له : إن الرجل يكذب ، فلماذا خلعت عليه ذلك كله ؟ فأجاب : «أعطيته هذا القدر مقابل كذبه ، ولو صدق لكنت قد أعطيته روحي».

لم تحرك جلال الدين بنفسه هذه المرة متوجهاً إلى الشام للبحث عن شمس الدين واصطحب معه جماعة من تلاميذه ، وبقى هناك بضعة أشهر لم يذق فيها طعم الراحة، وكان الناس في الشام يعجبون لأمره ويقولون: «من هو

(١) ديوان شمس تبريز ، ص ١٣٨٤ .

شمس الدين هذا الذى يسعى هذا الرجل الفرد كل السعى بحثاً عنه (١).

وما إن عاد جلال الدين إلى قونية حتى أمر أصحابه بالارتحال من جديد إلى الشام للبحث عن شمس، ثم عاد من سفرته الثانية هذه وقد هدأ خاطره.

بيد أن نفسه مالبثت أن نازعته للسفر مرة ثالثة إلى الشام، كما يقول هو فى الديوان :

نحن عُشّاقٌ رؤوسنا تدور ولَعاً بدمشق
قد وهبنا الرُّوح وأوثقنا القلبَ حُبّاً لدمشق
من الرُّوم نسعى دفعة ثالثة صوب الشام
من طُرةٍ فاحمة كالليل، نحن طَوْعٌ لدمشق
لو أن سيدنا شمس الحق التبريزى هناك
فنحن إذن عبيد لدمشق، وأى عبيد نحن لدمشق(٢)

غير أن زيارة جلال الدين لدمشق للمرة الثالثة لم تتم ؛ ويبدو أنه كان قد بدأ يُسلِّم منذ ذلك الحين بأن شمس الدين قد مات.

وحين وافت الجرأة أصحابه المقربين على سرد واقعة مقتل شمس الدين أمامه سال دمعه وجرت فى لفظه عبارات : القتل، والبتر، والدماء، وقساة القلوب ... الخ، ثم إنه جلس لتقبل العزاء فى الفقيد. (٣)

---

(١) ابتدانامه، ص ٥٧-٦٠.

(٢) الديوان، ص٥٧٢ هـ.

(٣) الأفلاكى، ١ : ٨٨. وقد حيكت حول شمس الدين الكثير من الحكايات والأساطير، ويعتقد المولوية أن «الباب الذى يطل على باحة مقبرة مولانا جلال الدين فى قونية، ويفتح جهة القبلة، سوف يُفتح ذات يوم، ويدخل منه شمس. ومن ثم يتبين أن شمس الدين قد تحول إلى المهدى المنتظر عند المولوية»، (عبد الباقى كولبينارلى، مولانا جلال الدين، ص ١٦٨).

من منهما كان الشَيخ ومَن كان المريد ؟

سنحاول الآن أن نتبين نوع العلاقة الروحية التى ربطت بين جلال الدين وشمس الدين، هل كانت علاقة بين تلميذ وأستاذه ، أو بين مريد وشيخه ؟

لقد بدا التحول الذى طرأ على جلال الدين بعد لقائه بشمس فى نظر بعض الدارسين وكأنه نقلة دفعت جلال الدين من حوزة «علوم الشريعة» التى أتقنها وبرع فيها إلى مجال جديد عليه تماماً لم يكن يدرى عن شيئاً ، وهو «علوم الحقيقة» التى تلقّى دروسها الأولى على يد شمس الدين.

ولا شك أن هذا التفسير يتجاهل كل الحقائق المعروفة من حياة جلال الدين الذى تربىَّ فى بيئة تحفل بالحياة الروحية، واستطاع بعد أن أتمَّ تعليمه والفقهى من رحلته لطلب العلم ببلاد الشّام أن يجمع فى نفسه بين شخصية العالم الفقيه وشخصية الشيخ الصوفى - كما أشرنا سلفاً - والتفَّ حوله طلاب العلوم الدينية كما تبعه المريدون من أصحاب الطريق الصوفى، فلا يصحُ إذن أن يُقال إن جلال الدين ما تعرّف على التصوّف ولا استشرف بهجة الحياة الروحية إلا بعد أن التقى بشمس الدين التبريزى.

فما طبيعة العلاقة التى ربطت بين هذين القطبين؟ إن الإجابة عن هذا السؤال إنما ترتبط بالمبدأ الأصيل الذى وقف جلال الدين الرومى جهده على بيانه وإعلانه، وهو العشق ، الذى يجتمع فيه الشيخ والمريد سواء بسواء ويصبحان رَجُلاً واحداً بعد أن سلكا طريقاً واحداً واتجها سوياً نحو غاية واحدة، فيصبح الشيخ مريداً والمريد شيخاً، أو يُصبحان شخصاً واحداً بعد أن توحّدت فيهما الإرادة والغاية.

وقد عبّر شمس الدين التبريزى فى كتابه «المقالات» عن هذا المعنى نفسه حين عدّ جلال الدين شيخاً له ، وصرّح بأنه حصّل منه من الفوائد ما لم يحصّل من شيوخه الأقدمين.(١)

وقد عبّر جلال الدين - فى قصائده التى بين أيدينا - عن هذه الوحدة التى تجمع بين أحبّاء الحق تعالى شيوخاً كانوا أو مريدين ، سواسية لا فرق بينهم ، انظر مثلاً القصيدة رقم ٢٠ ، والتى مطلعها :

بِشَفته ما أحلى الكلامُ والسّماعُ وما جرى
سِيّما حين يَفتحُ البابَ ويهتف : سيدى هلمَّ ، أقبلْ علينا

ويقول فيها :

فاعْلَمْ علمَ اليقينِ أن ثُقبَ إبْرَةِ الهَوَسِ بَالغُ الضّيقِ
لا يسمح بوُلُوج الخَيْطِ حين يَبْدو مُزْدَوَجا .

وقوله فى قصيدة أخرى (رقم ٦٩) عن شمس الدين التبريزى :

من جهة تبريز أضاءت شمس الحقّ ، فهتفتُ بها :
«نورك بالكلّ متصلٌ ، ومنفصلٌ أيضاً ».

ويقول جلال الدين فى «المثنوى» :

جاء رجل وطرق باب رفيق   قال له الرفيق : من أنت يامُعتمَد
قال : أنا ، قال : اذهب ، ليس الآن   لا مكان لمن لم ينضج على مثل هذا الخوان
ذهب المسكين وأمضى سنة فى سفر   احترق لفراق صاحبه بالنار والشرر

---

(١) راجع ماسبق ، ص١٢ ، ويقول شمس الدين فى «المقالات» : "وأنا نفسى مذ خرجت من بلدى لم أر شيخاً . ومولانا (يعنى جلال الدين) هو من ينبغى اتخاذه شيخاً" (كتاب المقالات ، نسخة قونية ، نقلاً عن كوبينارلى ، ص١٧٥).

نضج ذلك المحترق ثم عاد وطاف من جديد ببيت الرفيق
صاح رفيقه : مَن بالباب ؟ قال : "على الباب أنت أيها الحبيب"
قال : أنت الآن مثلي ، فتعال الآن وادخل فلا موضع لاثنين بقصر واحد

وكان جلال الدين ، بعد أن طالت غيبة شمس الدين فى المرة الثانية ولم يُعثر له على أثر قد رأى فى أحد تلاميذه المقربين - وهو صلاح الدين زركوب - صورةً لشمس ، فأقبل على صلاح الدين بمثل ما كان يُقبل على شمس ، ونعم بصحبته مُدةً حتى توفى صلاح الدين فى سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م . ثم إن جلال الدين اختار صاحباً آخر هو «حسام الدين چلبى» رأى فيه البديل الصالح لشمس الدين ، فظل بذلك مصدر الإلهام والمحبّة يتجدد فى قلب جلال الدين ، ومثلما ألهمه شمس الدين أغلبَ قصائده فى ديوان "شمس تبريز" ألهمه كلٌ من صلاح الدين وحسام الدين ديوانه الآخر : "المثنوى" .

لقد ذكر جلال الدين أصحابه الثلاثة فى بعض قصائد "ديوان شمس تبريز" ، ووصفهم بأنهم روح واحدة وإن تعددت أشخاصهم واختلفت أبدانهم ، وأنهم مثل جمال واحد ظهر فى مرايا عدّة .

ومهما يكن من أمر ، فإن شمس تبريز قد أطلع جلال الدين على جانب من مباهج الحياة الروحية لم يكن يدرى عنه شيئاً ، ولم يتركه شمس إلا بعد أن اطمأن إلى أنه يمضى وحده قُدُماً فى الطريق الصحيح الذى يسير هو نفسه فيه والذى يسير عليه الأولياء والعرفاء فى موكب واحد فى الطريق البيِّن اللاحب إلى الحق تعالى .

وجاءت غيبة شمس الثانية فى وقت كانت طريقة جلال الدين قد تحدّدت معالمها واستبانت ملامحها ؛ فقد انفتح أمامه باب عالمٍ آخر من المعرفة والذّوق ، وتفجّرت فى نفسه ينابيع الشعر الذى وجده أصلح وسيلة لتعبير الإنسان عن حبّه لله تعالى ، وأقرب طريق لدعوة الناس إلى هذا الحب .

يقول سلطان ولد فى "ولد نامه" ، عن تغيُّر حال أبيه جلال الدين وتحوّله إلى قول الشعر بعد لقاء شمس الدين :

صار الشّيخ المُفتى بسبب العشق شاعراً ،
بعد أن كان زاهداً صار خمّارا
لا بخمرٍ يخرج من عنبٍ وكرْم ،
فالروح النّورانية لاتُسقى إلا بخمر النّور

الإنتاج الأدبى لجلال الدين

لم يُعرف لجلال الدين الرومى أى إنتاج أدبى قبل لقائه بشمس الدين التبريزى ، كان جلال الدين قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره عندما التقى بشمس ، ومنذ ذلك الحين تفجّر ينبوع الشعر فى نفسه وتدفق على لسانه فأخرج إلينا من أهم الآثار الخالدة لا فى الشعر الفارسى فحسب بل فى الآداب العالمية كلها ، وهما :

١ - ديوان شمس تبريز ، أو الديوان الكبير ، وسنخصّه بشئ من التفصيل فيما بعد .

٢ - المثنوى، فى ستة أجزاء (١) ، وقد نظمه جلال الدين الرومي فى ضرب من ضروب الشعر الفارسى يُطلق عليه نفس الاسم : مثنوى. وفيه تكون القافية واحدة بين شطرى البيت الواحد وتتغير بعد ذلك بتغير الأبيات، وجعله جلال الدين على وزن الرَّمل. وقد نال المثنوى شهرة كبيرة فى الآداب العالمية ، فضلاً عما يتمتع به من قداسة بين المسلمين، لاشتماله على خلاصة الفكر الإسلامى - كما يراه جلال الدين - فى مسائل الشَّرع والفقه، والقضايا الكلامية والفلسفية، والآداب والرسوم الأخلاقية والاجتماعية، وعقائد الصوفية وتجاربهم، واستغرق نظم المثنوى بأجزائه الستة نحو عشر سنوات (٦٦٢-٦٧٢هـ/ ١٢٦٣-١٢٧٣م).

أما أعمال جلال الدين النثرية ، فهى :

١ - كتاب فيه ما فيه : ويشتمل على تقريرات قام بتسجيلها سلطان ولد بمساعدة أحد مريدى جلال الدين، وتأتى هذه التقريرات تارة كإجابة عن سؤال وتارة كخطاب لشخص معين. ويمكن الاستعانة بها فى فهم بعض أشعار جلال الدين وبخاصّة المثنوى .

٢ - مكاتيب ، وهى ما بقى من رسائل لجلال الدين أرسلها إلى بعض أصحابه ومريديه .

٣ - مجالس سبعه : وهى خطب جلال الدين التى خطبها على المنبر .

---

(١) ترجم المرحوم الدكتور محمد عبدالسلام كفافى الجزءين الأولين من المثنوى إلى اللغة العربية وأكمل ترجمة بقية الأجزاء الستة المرحوم الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا .

ديوان شمس تبريز

المقصود بديوان شمس تبريز مجموعة الأشعار التى نظمها جلال الدين الرُّومى تخليداً لذكرى صاحبه شمس الدين التبريزى ، وقد صرّح جلال الدين فى أغلب قصائد الديوان باسم شمس الدين وأشاد به وعدّه "الإنسان الكامل" ، قد تجلت فيه أسمى مظاهر الإنسانية ، فهو سلطان دولة العشق، وأمير قافلة الحبّ الإلهى فى عصره.

يشتمل الديوان على اثنين وأربعين ألف بيت من الشعر (٤٢٠٠٠) ، ضمّتها ثلاثُ آلاف وخمسمائة واثنتان وحدة (٣٥٠٢) ما بين غزليات وقصائد ومقطّعات وترجيعات ، وقد أضيفت إلى الديوان فى طبعته الأخيرة (التى توفّر على تحقيقها الأستاذ بديع الزّمان فروزانفر ، وصدرت عن دار «أمير كبير» للنشر فى طهران سنة ١٣٣٦هـ.ش / ١٩٥٧م) أضيفت مجموعة الرباعيات التى تبلغ ألفاً وتسعمائة وخمسٍ وتسعين رباعية (١٩٩٥) .

وهذا يعني أن كُلَّ مانظمه جلال الدين من ضروب الشعر غير ضرب المثنوى ، كالغزل والقصيدة والرباعى وغيرها ، قد ضمّها هذا الدّيوان الذى أطلق عليه فى طبعته الأخيرة التي أشرنا إليها اسم «كُلّيات ديوان شمس تبريزى»، واشتمل على ألف وخمسمائة وسبعين صفحة (١٥٧٠) من القطع الكبير ، ضمّت كل الأشعار التى نظمها جلال الدين خارج كتابه «المثنوى» فى أنواع الشعر التى ذكرناها - أعنى الغزل والقصيدة وغيرهما - فى الفترة من سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م تاريخ لقائه بشمس التبريزى وحتى سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، وهى السنة التى تُوفى

فيها جلال الدين .

والأشعار التى قيلت فى شمس أنشئ جانب منها فى حياته والجانب الآخر بعد مقتله .

الشعر فى الديوان

وقد أدرجت القصائد والمقطّعات التى نظمها الشّاعر بالفارسية ، وكذلك التى نظمها بالعربية ، ضمن الغزليات . وشكّلت القسم الأعظم من الكُليّات (٣٣٠٦٥ وحدة) ، وبلغ عدد مانظمه الشّاعر فى ضرب الغزل وحده ثلاث آلاف ومائتين وتسع وعشرين غزلية .

والغزل فى الأدب الفارسي ضرب مستقل من ضروب الشّعر يختلف عن القصيدة التى تشبه فى شكلها وموضوعها القصيدة العربية ، لكنّ الغزل عبارة عن منظومة قصيرة قائمة بذاتها تتكون من خمسة أبيات إلى خمسة عشر بيتا ، وقد تزيد على ذلك في بعض الأحيان حتى وصل بعض شعراء الفرس - ومن بينهم جلال الدين الرومى - بعدد أبيات بعضها إلى ثلاثين بيتاً . وينتهى الغزل عادة بأن يذكر الشّاعر لقبه الشّعرى ، أو ما يُسمى فى الفارسية بـ « التّخلُّص » .

أما موضوع الغزل فى الأدب الفارسى فهو العشق ، والحبّ الذى يسمو بروح الإنسان ويحرّك أشواقه للحبيب . ومن أجل ذلك تتسم الألفاظ فى الغزل بالعذوبة والرقة والبعد عن الألفاظ النابية والعبارات الواهية ، ويُبنى الغزل على الأوزان الشعرية التى تحلو موسيقاها إلى الأسماع وتألفها

القلوب والطّباع، وترتاح النفوس إلى ما فيها من نغمات ونبرات وتنفعل بما فى وقعها من أصوات وأنّات .

ولا يُشترط فى الغزل أن يعالج موضوعاً واحداً، وإنما الشاعر فيه على سجيّته، يعبّر عن تجربته الشعرية بصورة فنية دون قيد موضوعى؛ ولذلك حُبّب نظم الغزل إلى كبار شعراء الفرس، كحافظ الشيرازى، وسعدى الشيرازى وفريد الدين العطّار مثلما حبب نظم هذا الضّرب من ضروب الشّعر إلى جلال الدين الرومى.

فالشاعر الصوفى يعيش فى جوٍّ طليق رفّاف يعبّر بالشّعر عن تجربته وإن بدا مثل «درويش» يبعثر الكلمات والإيماءات والإشارات دون أن تكون بينها رابطة ظاهرة تربط بينها، وإنما يربطها فى الباطن يقين هذا الدرويش بأن الأشياء «من الذرّة إلى المجرّة» مهما تبعثرت وتناثرت فإنما تربطها وحدة واحدة وتمضى نحو غاية واحدة، وتتراءى هذه الرابطة كأنها حقيقة محتجبة وراء أبيات الغزل .

ومع ذلك فإننا إذا قارنّا بين الغزل عند جلال الدين الرومى والغزل عند سعدى الشيرازى والعطّار ، مثلاً ، نشعر بمزيد من الوحدة والترابط الظاهر بين الأبيات ، وربما كان ذلك يرجع إلى مفهوم جلال الدين لدور الشعر باعتباره تجربة - وإن كانت تشتمل على عناصر عديدة لغويّة وموسيقيّة وتصويريّة - تمثل وحدة تشى بطبيعة هذه التجربة . وسوف نلاحظ أن هذه المجموعة المترجمة من الغزليات (أو ما سميتُه قصائد) إنما هى نماذج باهرة ومعبّرة تسجّل لحظات من حياة الشاعر وتجاربه الرّوحية .

موضوع الديوان

عاش جلال الدين الرُّومي في القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) في وقت كانت الثقافة الإسلامية فيه قد أخذت تتجّه اتجاها عقلياً محضاً تحت تأثير الفلسفة الإغريقية، وتبتعد عن الروح كمصدر للهداية الإنسانية، بينما أخذ التصوف - من ناحية أخرى - يدعو الناس إلى الاستسلام والخنوع، وإلى ترك الدُّنيا والعزلة عن الناس .

فقام جلال الدين يدعو الناسَ من جديد إلى العشق ، وإلى طرح الفلسفة جانباً ، وإلى الاندماج فى حياة عقلية وجدانية كاملة ، وكشف عن الأخطاء الفلسفية والكلامية ، وبيّن أن المعارف العقلية ليست كاملة بل لابد لها من العشق ، وإلا أصبحت عُرضة للفتنة والوقوف فى منتصف الطريق والاكتفاء بالعالم عن خالقه وبالعقل عن الوحي ؛ إنما لابُدَّ للمعرفة والعلم من الإيمان الذى حدّدت النبُّوة سبيله وأوضحت معالمه .

فمن أجل ذلك كان هدف جلال الدين أن يُخرج الحياة الإنسانية مما أصابها من جمود الوجدان وموت القلب وفقدان الحس الروحى وتدهور القوى المعنوية بسبب الاستغراق فى المادة والابتعاد عن مباهج الحياة الروحية ، وكان يدرك أن هذا الهدف لن يتحقق - كما يقول هو فى المثنوى - إلا بتبديل المزاج : «يُشترط تبديل المزاج ، واعلم أن المزاج السَّئ موت زُؤام» ، لكن هذا التَّبديل لا يتم إلا على أيدى الأطباء الربّانيين ورجال الحق ، الذين اختصهم الحق - تعالى - بخصائص يبدّلون بها السَّيئة حسنة ، والمرارة حلاوة ، والجدب نماءً واخضراراً .

ولابّد من حُداء متواصل يصدر من قلب صادق، وطرْقٍ مُستمر على أبواب القلوب حتى تنفتح مغاليقها، ويُصقَل صَدَؤُها، فتصبح كالمرآة الصافية، قابلة لانعكاس البروق والفيوضات الإلهية عليها ؛ فتنتعش بالحب وتحيا بالأمل .

ويبدو جلال الدين - من خلال الدّيوان بخاصّة - وكأنه قد نحا نحواً جديداً في تاريخ التجربة الروحية حين جعل العشق قُطبَ الرّحى ومركز الدّائرة في حياة الإنسان وعلاقته بالحق تعالى من ناحية، وبالعالم من ناحية أخرى.

لقد بُنى التصوّفُ منذ بدايته في أوائل القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى على الزُّهد ، ورفع شعار "الخوف من الجليل" كواحد من أهمّ شعاراته، وكان أهمّ من حرص على التذكير بقيمة هذا الشّعار حُجّةُ الإسلام (أبو حامد محمد الغزّالى، (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، ومن يقرأ كتابه "إحياء علوم الدين" تتملكه الرّهبة وتستبّد به مشاعر الخوف من الحق تعالى، ويسيطر عليه الإحساس بالعجز والتسليم المطلق أمام القادر الجليل.

ويعترف جلال الدين الرومى بالتأثير الإيجابى للزهد والخوف فى النفس الإنسانية، لكنه يُعلى من قيمة المحبة، ويجعلها مهيمنة على ماعداها ؛ لأن العلاقة بين الإنسان والحق تعالى قائمة على حب وود، كما ورد فى القرآن الكريم: «يحبُّهم ويحبُّونه».. ومن ثم كانت المحبة هى المقدّمة على ما عداها ، وهى العلاج لكل العلل، والوسيلة المثلى للوصول إلى المقصود.

ويتردد هذا المعنى كثيراً فى المثنوى، ولكن الديوان يكاد يكون وقفاً على بيان خصائص المحبة وآثارها، فموضوعه الأساسى - كما سيرد فيما يلى - هو «الحب الإلهى» وما يعترى نفس المُحب من مشاعر الشوق واللهفة والألم والأمل ، وهى تسعى حثيثا إلى أن تحظى ببارقة تنبئ بلحظات الأنس والقرب الخاطفة التى قد تأتى وقد لا تأتى .

وتلقى هذه المحبّة قبولاً وترحيباً من الحق - تعالى - تتجلى فى رحمته بالعاشق وإقباله عليه ورأفته به وتأثره - جل وعلا - بحرقة الدّعاء والابتهال الصادر من قلبه ، ومظاهر هذه الاستجابة كثيرة متعددة فى هذه العبارات من أشعار الديوان .

فالدّيوان دعوة إلى العشق، وإلى الاندماج فى موكب الحُبِّ الذى يقود الإنسانَ فيه الكون كُلُّه إلى التوجُّه إلى خالقه وإلى الإخلاص له وابتغاء وجهه وتحقيق الوصال به، ومن ثمَّ يبدو العشق عند جلال الدين وكأنه القوّة المحرّكة للكون كله، تسرى فى أجزاء الوجود بأسره .

ومن أهم المحاور وأكثرها دَوَرَاناً فى غزليات الديوان موضوع: الوطن الأصلى للإنسان ، فالإنسان ليس ابن هذه الأرض، إنما هو ينتمى إلى أصل علوى لابد أن يشعر بالشوق إلى العودة إليه. وإدراك الإنسان لنُبل عنصره واستعداده الروحانى الهائل أمر مهم ولازم لأنه يمثل الشرارة الأولى لانطلاق السالك بدفعه الشّوق وإخلاص القصد إلى السير فى طريق الحق، والطريق محفوف بالمخاطر ملىء بالعقبات ، لكن هذا الإدراك كفيل بتذليل العقبات وتيسير الصّعاب، فضلاً عن أنه يجعل الإنسان جديراً بنيل العون من الحق - تعالى - على المضىّ قُدماً فى الطريق .

والإنسان حرّ مُخيّر ، قد اجتاز المراحل من حدّ التراب إلى الإنسانية، مرحلة في إثر مرحلة، والموت ليس إلا لحظة خاطفة ينتقل بها الإنسان إلى مرحلة أسمى من هذه الحياة الدنيا ،

يقول جلال الدين :

«من حدّ التُراب إلى البشرية آلاف من المنازل عديدة، دفعتُ بكَ من مرحلة إلى مرحلة ، ولن أدعَك بأول الطريق أو أتخلىْ.» (١)

كما يقول في "المثنوى" متحدثاً باسم "الإنسان" :

«عشتُ تحت الثَرى في عوالم من تِبْر وحَجَر ،

ثم ابتسمتُ في ثغور زهراتٍ عديدة الألوان ،

ثم جُبتُ مع الوحش والحيوان المتنقِّل فوق ظهر البسيطة، وعلى متن الهواء وفي مناطق المحيط ،

وفي ميلادٍ جديد غطستُ في الماء وحلّقتُ في الهواء، وحبوتُ على بطني وعدوتُ على قدمي، وتشكّل سرُ وجودى كلّه في صورة أظهرت كل ذلك للعيان، فإذا أنا إنسان .

ثم أصبح هدفي أن أكون في صورة ملاك في ملكوت وراء السَّحاب، وراء السَّماء، حيث لايمكن لأحد أن يتبدّل أو يموت؛ ثم أعدو بعيداً، وراء حدود الليل والنهار والحياة والموت ... الخ». (٢)

---

(١) القصيدة رقم ٥٠ ، ص ١٥٣ فيما يلي .

(٢) من ترجمة Thadani للمثنوى، نقلاً عن كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام، لمحمد إقبال، الترجمة العربية لعباس محمود، طبع دار الهداية، مصر، سنة ٢٠٠٠م، ص٢٢٠ .

كل هذه المعاني وغيرها تجد نماذج منها في هذه المختارات، وهي تبين عن مدى ما يضطرم به قلب العاشق من شوق وإقدام؛ مما يعطي الشعر حركة وانفعالاً وقدرة لانظير لها على التأثير والأخذ بمجامع القلوب، وعلى إشاعة روح التفاؤل والاستبشار في النفوس.

وتتميز أشعار الديوان بموسيقاها الجميلة، التي تُعبّر عن مدى حبّ جلال الدين للموسيقى، بل وبراعته التي كان يشتهر بها - كما يقولون - في الضرب على بعض آلاتها كالرُبابة.

ويرجع حُبُّ جلال الدين للموسيقى إلى ماذكره هو في "المثنوى" (١) من أن آدم - عليه السلام - قد سمع الموسيقى والألحان في الجنَة وتأثر بها فعلق حُبها بقلب ذُرِّيته، فأصبحت هذه الأنغام العذبة والألحان الجميلة تذكّر الإنسان بالجنة وتثير عنده الحنين إلى العودة إلى أصله السماوي.

وقد انعكس حُبُّ جلال الدين للموسيقى في الديوان - بخاصّة، حيث استخدم خمسا وخمسين بحراً مختلفاً من بحور الشعر، وهو تنُوع في الموسيقى لم يُتح لشاعر آخر سواه، "بل إن الأوزان المهملة التي كانت موجودة في شعر القدماء ... ثم أهملت ... استطاع الشاعر أن ينظم فيها جميعاً حتى أصبحت تنافس الأوزان المألوفة في رقّتها وعذوبتها. وقد جاء هذا التوسع في الأوزان عند الشاعر كنتيجة طبيعية لحبّه للموسيقى وشغفه بها" (٢).

---

(١) انظر قصة إبراهيم بن ادهم، الجزء الرابع من المثنوى.
(٢) بديع الزمان فروزانفر، شعر مولوى، مقال نشر في "يا دنامه مولوى"، ص٢٥٢.

كذلك استخدم جلال الدين «الموسيقى الجانبية» (١) كالقافية والرَّديف (٢)، وما فى حكمهما من قبيل التكرار والترجيع. أما «الموسيقى الداخلية» فقلّما تخلو منها غزلية من الغزليات، وهى تتجلى فى التناسب الذى يقع بين مقاطع الشّطر الواحد، وفى تقفيتها؛ للتعبير عن مشاعر الشوق واللهفة المتدافعة المتلاحقة التى تدفع بالقلب دفعاً خارج العالم المادى، ليمضى قُدماً ببهجة الموسيقى ونشوتها وما يصاحبها من انفعال وثّاب خارج حدود الزمان والمكان.

والشاعر يستخدم "الرمز" والإيحاء ويوظّف الطبيعة وما فيها من مظاهر الجمال والجلال فى تعميق المعنى وإضفاء أبعاد جديدة عليه، واستدراج الذّهن لنقله من المادّى إلى المعنوى، ومن السّكون إلى الحركة والحياة.

وهو يتخذ من الزّهور البهيجة رموزاً مُلفتة، فالنّرجس رمز للعين، والنّرجس المخمور رمز لعين الإنسان التى ثملت بخمر المعرفة الإلهية فأعرضت عن ما سوى الحقّ - تعالى، لكن هذا الإعراض ليس كاملاً لكى يشهد السالك - إن لم يتيسّر له وهو فى هذا الحال معاينة بروق الوصال - جانباً من صفات الحقّ وقد انعكست على مظاهر الكون أمامه، ومن ثَمّ بدت هذه العين كالنرجسة حين تُغمض عينها نصف إغماضة.

---

(١) انظر محمد رضا شفيعى كدكنى، "گزيده‌ء غزليات شمس"، طبع طهران، ١٣٨١هـ.ش (٢٠٠٢م)، المقدمة، ص بيست وسه (٢٣)، وما بعدها.

(٢) الرديف فى الفارسية كلمة أو أكثر تلى القافية الأصلية وتتكرر فى كل الشطرات أو الأبيات.

والسُّوسن رمز للسُّكون والصّمت وإن كان ذا لسان ، فهو من هذه النّاحية يشبه الشّاعر نفسه حين يلتزم السّكون والصّمت لأنه لايقدر بأدواته البشرية المتاحة أمامه من لغة وبيان أن يعبّر تعبيراً صحيحاً عن التجربة . والبنفسج رمز لمن يضع رأسه فى جيب ردائه حزناً وفَرَقاً .

فهذه الزُّهور تشبه الإنسان وتعبّر عنه فى مختلف أحواله ومشاعره .

ولما كان الشاعر يخاطب صاحبه وشيخه الجليل «شمس الدين» الذى رأى فيه «الإنسان الكامل» - كما أسلفنا - ويخاطب أحيانا الحق تعالى ، فقد استخدم الشاعر من الألفاظ والتراكيب والأوزان والقوافى والموسيقى عناصر بالغة العظمة والرّوعة لبناء صوره وبيان معانيه وأخْيلته . وضمّن أشعاره شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية وقصص الأنبياء والزُّهاد والصوفية وغيرهم . فبدت كلُّ غزلية من الغزليات وكأنها أنشودة واحدة ، أنشودة العشق والمحبة ، وهو عشق يسمو بالإنسان مُحلّقاً به خارج إطار الزمان والمكان، عشقٌ مقصده الحقّ تعالى ، ومصدره الكون بأسره ، والإنسان بأحاسيسه ومشاعره .

هذه الترجمة

هى ترجمة منثورة لمائة غزليّة وغزليّة واحدة (١٠١) من ديوان شمس تبريز ، نقلتُها إلى العربية اعتماداً على المجموعة التى اختارها من الديوان الدكتور محمد رضا شفيعى كَدْكَنى، الأستاذ الجامعى والشاعر الإيرانى المرموق ،ونشرها فى طهران لأول مرة سنة ١٣٤٢هـ.ش / ١٩٦٣م، وقد طُبعت هذه المجموعة بضع طبعات اعتمدتُ منها على الطبعة الخامسة التى صدرت سنة ١٣٨١هـ.ش / ٢٠٠٢م .

وتشتمل مجموعة الدكتور كدكنى على ٤٦٦ غزلاً ، اختارها من بين ٣٢٢٩ غزلاً ضمّها الديوان الكبير ، واستبعد من بعضها أبياتا وجدها لاتنطبق انطباقاً كاملاً - فى رأيه - «مع معايير علم الجمال أو النقد الأدبى أو ذوق عامة القرّاء »، فجاءت الغزليات الطويلة - والتى يبلغ عدد أبياتها ثلاثين بيتاً - فى بضع عشرة بيتاً فى مختاراته .

واشترط «كدكنى» فى الغزليات التى اختارها أن : تتميز من حيث الترابط العاطفى والمجال الشّعورى بمزيد من التألق والإبهار . وأن تتبلور فيها وحدة الموسيقى والنغمات، وأن تحظى - من ناحية اللغة والألفاظ الشعرية بمزيد من التناسق، وأن تكون معبّرة عن الخصائص التى يتميز بها جلال الدين الرومى فيما يتصل بالتجديد في الشكل والقالب، وأن تتميز فيها طرائق التصوير بالإبداع والرّوعة . فما كان من غزليات الديوان قد استوفى بعض هذه الشروط جعلها ضمن مختاراته .

وحين أمعنتُ النّظر فى «مختارات كدكنى» وجدت أن بالإمكان الاكتفاء منها بترجمة نحو مائتين وخمسين غزلية، تشتمل فى مجملها على الخصائص الفنية والمعنوية العامّة للديوان ، فضلاً عن تميُّزها بالسهولة والبُعد عن الغموض والإغراق فى المعانى الصوفية الدقيقة وقربها من ذوق القارئ العربى.

ويشتمل هذا الجزء على ترجمة للمختارات المقفّاة فى أصولها الفارسية بقافية الألف والباء والتاء وبعض الدال ، وسوف أحاول فى الجزء الثانى أن أستوفى بقيّتها بعون الله تعالى .

وكان الهدف الذى سعيتُ إليه منذ الوهلة الأولى أن أقدّم للقارئ العربى ترجمة تتّسم بالدقّة الكاملة التى تلتزم النص ولاتحيد عنه ، فعمدت إلى ترجمة هذه الأشعار ترجمة نثرية لا تتقيد بقيد من القيود الفنيّة،

لكنني حاولت قدر الإمكان - في الوقت نفسه - الحفاظ على شئ من جمال الشعر وروائه فاستخدمت لغة الشعر وألفاظه، وأبقيت - في بعض الأحيان -على الموسيقى الداخلية للنصّ الفارسي، وعلى السجع والقافية، حتى يتأدّى المعنى إلى القارئ بأدوات الشعر ووسائله دون إخلال بالمعنى الذي أراده الشاعر .

وزوّدتُ التّرجمة ببعض الشُّروح في هوامش الصفحات، استعنت في جانب منها بما كتبه الدكتور كدكني من تعليقات وشروح لمختاراته، وبآراء عدد من كبار الأساتذة الإيرانيين الذين تخصصوا في دراسة أعمال جلال الدين الرومي كالأستاذ بديع الزّمان فروزانفر والأستاذ جلال الدين همائي وغيرهما . كما استعنت أيضاً بما تيسّر لي من فهم لهذه الأشعار - بعد طول معايشة- لأفكار الشاعر والفيلسوف الإسلامي محمد إقبال (١٨٧٧-١٩٣٨م)، والذي يعدّ أنجب تلامذة جلال الدين الرّومي في العصر الحديث وأكثرهم تأثراً بآرائه وتجاربه وتعاليمه .

وكان المفترض أن يكون عنوان هذا الكتاب : «غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز»، غير أنيَ رأيتُ درءاً للالتباس اختيار كلمة «قصائد» بدلاً من «غزليات»، لقُرب مصطلح «القصيدة» من ذوق القارئ العربي، ومن ثمّ دلالتها على ما تتضمّنه هذه الأشعار من معانٍ تُبعدها عن معنى «الغزل» في الأدب العربي .

والله من وراء القصد

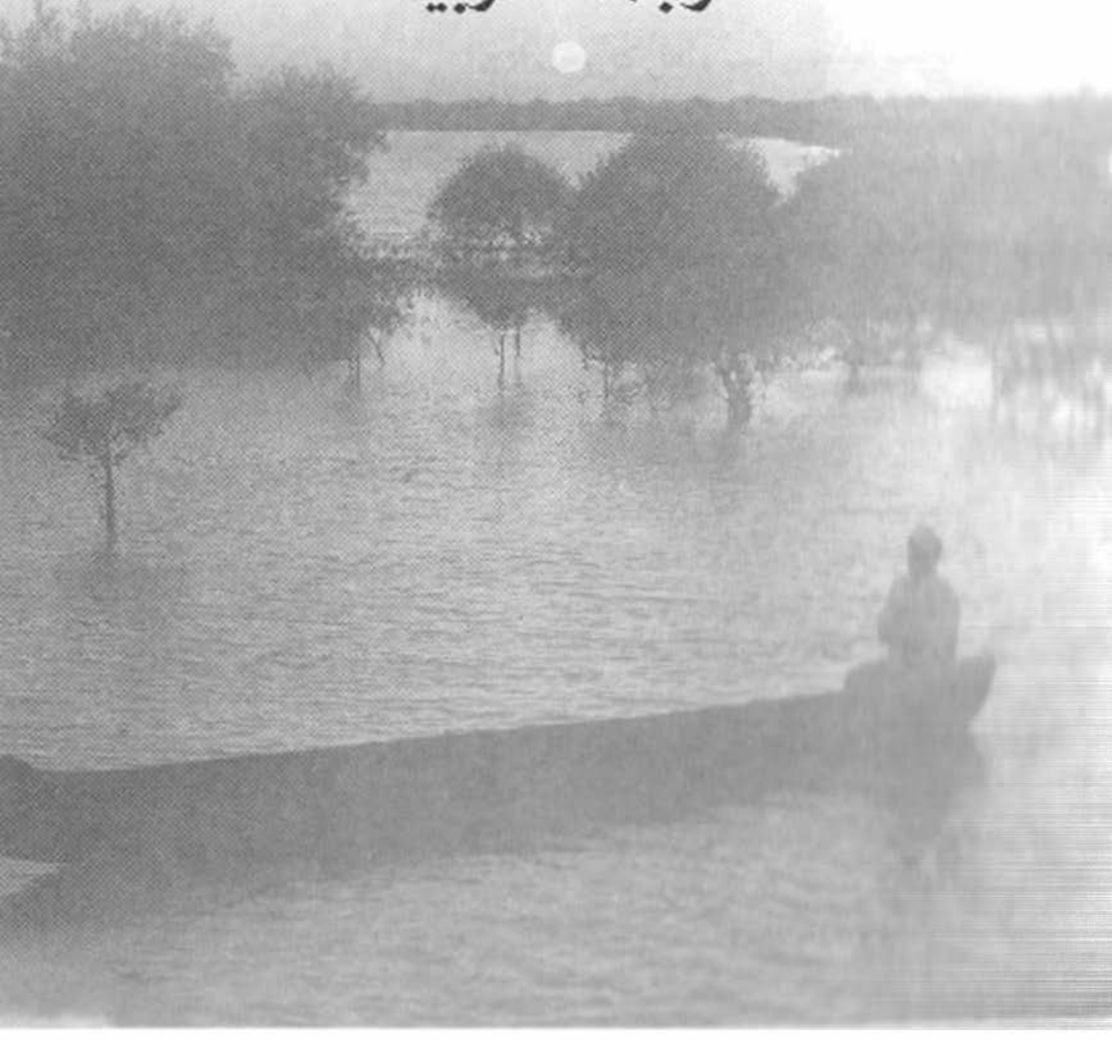
محمد السعيد جمال الدين

القاهرة : السابع والعشرين من رمضان سنة ١٤٢٥هـ.
العاشر من نوفمبر سنة ٢٠٠٤م .

قصائد مختارة من

ديوان شمس تبريز

الترجمة العربية



(١) *

أيها البَعْثُ الخاطفُ (١) ، يارحمةُ لا تنتهي

يا ناراً نَشَبَتْ في غابة الفِكَرْ

أصبحتَ اليومَ بَاسِمَ الثَغرِ

غدوتَ اليومَ مفتاحَ السِّجْنِ (٢) ، جئتَ للشمالي هبةً من الله وفضلا

حاجبُ الشمس أنتَ ، أهلُ كلِّ رجاءٍ أنت

أنتَ المطلبُ ، أنتَ الطّالب(٣) ، أنت المُنْتهى والمُبْتدا

نشأتَ في الصُّدور أنتَ ، فازْدانَتْ بكَ الفكرْ

أردتَ بنفسكَ حاجَة ، فيسُرْتَ لفعلها السُّبُل (٤)

(*) مطلعها : اى رستخيز ناگهان ، وى رحمت بى منتها
اى آتشى افروخته در بيشهء انديشه ها

(١) الخطاب هنا لشمس الدين التبريزى الذى أخذ بيد شاعرنا جلال الدين الرومى إلى حياة جديدة تشرق فيها شمس الرُوح ، فتتبدد بها معالم حياته السابقة ويُبعث بعثاً جديداً.

(٢) إشارة إلى الحديث النبوى الشريف : «الدنيا سجن المؤمن ....» ، رواه مسلم فى باب الزهد ١ ، ٥٥ ، ويعنى الشاعر أن مرشده شمس الدين التبريزى قد فتح له مغاليق هذه الدنيا .

(٣) أنت المطلبُ لأنك تعيننا على سلوك الطريق إلى الحق - تعالى ، كما أنك طالب مثلنا تنشد الحق.

(٤) أى أنك تثير فى القلوب الشعور بالحاجة وتعمل من ناحية أخرى على تحقيقها ، يقول جلال الدين الرومى فى ديوانه المثنوى :

الدعاء منك ، وكذا الإجابة منك الأمن منك ، وكذا الهيبة والخوف منك

أنتَ واهِبُ الرُّوحِ (٥) بلا بَدَلْ
أنتَ لذّةُ العلمِ والعَملْ
وما بَقِيَ عَبثٌ ودَغَل (٦)
هو داءٌ وسَقَمْ ، أنْتَ دَوَاءُ كُلِّ العِلَلْ

تأمّل هذا السُّكْرَ ، ودَعِ العَقْلَ (٧)
تأمّل هذا النُّقلَ ، ودَعِ النَقْلَ (٨)
أيَجْدُرُ أن يجريَ كلُّ ما يَجْرِي
مِنْ أجل الخُبْزِ والبَقل (٩)

صَهٍ (١٠) ، فأنا على عَجلْ
مضيتُ صوبَ ساريةِ العلَمْ

---

(٥) لُعطى الأمور المادية بُعداً روحياً.
(٦) الدَّغل : العيب في الأمر يُفسده.
(٧) دع العقل إن شكّل لك عقبة في طريق المحبّة الإلهية.
(٨) يعني بالنُّقل طعم الخمر ، وهو في المصطلح الصوفي دليل على لذة المحبة الإلهية ، ويعني بالنَّقل العلوم المتداولة ، وهي عامل مُثبّط لهمّة السائر في طريق الحق - تعالى - إن لم تسبقها المحبّة.
(٩) أصحيح أن الإنسان ما أهبط إلى الأرض إلا لكي يشبع حاجاته المادية ؟!.
(١٠) بالفارسية : خامُوشْ : يعني صهٍ ، اسكت ، اصمت ، أو الساكت ، وهو اللقب الذي اختاره جلال الدين لنفسه في شعره ، كعادة شعراء الفرس الذين يطلقون على هذا اللقب : "التخلص" ، ويرد التخلص في الأغلب الأعم في البيت الأخير من القصيدة أو الغزل ، وربما يأتي في البيت قبل الأخير ، وهو أشبه ما يكون بتوقيع الرسّام على ذيل لوحته الفنية. راجع المقدّمة.

ضعْ الصَحيفةَ واكْسرِ القلَمْ

فَقَد اقبلَ السّاقى (١١) مُنادياً : الصَّلا (١٢)

* * *

(١١) يعنى بالساقى الشيخ أو المرشد الهادى إلى الحق تعالى.

(١٢) لفظ ينادى به للدعوة إلى شرب الخمر . والخمر هنا ليست إلا لذة المعرفة الإلهية التى يقدمها المرشد للسالك.

(٢) *

يامَنْ حُبُّكَ
قد زادَ طُيورَ القُدْسِ أجْنحةً (١)
وفي حَلْقةِ الغرامِ بكَ
يَهَبُ القدِّيسينَ الأحوالْ (٢)

« لا أحبُّ الآفلينَ » (٣) دليلٌ مُبينْ
بأنّكَ مُبْرأٌ مِنَ الصُّوَرِ بيقينْ
وفي العُيونِ التي تُبصرُ الغيبَ
يَتراءى منكَ كلَّ حينٍ مِثالْ

(*) مطلعها : اى طايران قدس را عشقت فزوده بالها
در حلقهٔ سوداى تو روحانيون را حالها

(١) تنطوى على إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رُسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ (سورة فاطر ، آية ١) .

(٢) جمع حال : والحال فى المصطلح الصوفى هو شعور طاغٍ يرد على النّفس من غير اجتلاب ولا اكتساب.

(٣) جزء من الآية ٧٦ من سورة الأنعام ، وتشير إلى زهد إبراهيم أثناء بحثه عن الحق - تعالى - فى ظواهر الوجود وعالم الأجسام فوجدها آفلة ولم يبق إلا الواجب الحق. (راجع غرائب القرآن للنيسابورى ٢ :١٢٧٢).

مِنْ أجلك انكفأ الفلكُ الأشمّ (٤)

واستحالَ التُّرابُ بحراً من الدّم (٥)

لستُ أدعوكَ هلالاً

فأنت أسمى من كلّ حَوْلٍ وهِلالْ

أنعِمْ بمَنْ أنتَ لَهُ جناحْ

يالها مِنْ رِفعة له وجَلالٍ وفَلاحْ

ومَنْ صارَ على هذا الحالْ

كم له على عارِضِه مِنْ خالْ

هَبْ أن شَوْكي شَوْكُ ضُرٌّ

ينبتُ في دُبْر الوَرْدِ النّضِرِ

فالصيرفيُّ حينَ يزنُ الذّهبَ ، يَضعُ حبّةَ شَعيرٍ

فوقَ كُلّ مِثقالْ (٦)

---

(٤) انكفاء الأفلاك ساجدة للحق تعالى ، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجدُ له مَن في السماوات ومَن في الأرض والشمس والقمرُ والنجومُ ...﴾ (سورة الحج: آية ١٨)

(٥) أي أن الإنسان - وهو من تراب - تحوّل إلى نفس ذات كبدٍ حرّى تتحرق شوقاً إلى الحبيب.

(٦) المثقال : وزن يوزن به الذهب ومقداره ١٠٨ قطمير ، والقطمير هو حَبُّ الشعير .

قَد كَانتْ فِكرةُ هَذه الأفعالْ
مَا كانَ إلاَّ تُراباً هَذا المتاعُ وذاكَ المالْ
قَدْ كانت قَالاً هذه الأحوالْ
ما كان إلاَّ حالاً هذا القالْ

بَدْءُ العالم صَخَبٌ ، خَتْمُ العالم زلزالْ
عشقٌ وشُكْرٌ يخالطه الأسى
ساكنٌ بِرَغْمِ ألف زِلزالْ

انظُر سَعْدَ المساكين بـ "رحمة للعالمين" (٧)
الخِرَقُ تُشعّ بالنّور المُبين (٨)
وقد وُشِي بالورد المُعطر
كلُّ شالْ (٩)

العشقُ أمرٌ شاملٌ كُليّ ، ما نحنُ إلا رقعةٌ (١٠)
هو بَحْرٌ محيطٌ ، ما نحن إلاَّ جُرعةٌ
وقد أتى بمائة دليلٍ
وأتيناَ نحنُ بصُنوفِ الاستدلالْ

---

(٧) إشارة إلى النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، من قول الله عز وجل فى سورة الأنبياء آية ١٠٧ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .
(٨) اكتسب المساكين صفات نورانية ، فانطلق النور يشع من أرديتهم الممزقة .
(٩) كما تضمخت شيلانهم بعطر الحبيب .
(١٠) الرُقعة : قطعة من ورق يُكتبُ عليها .

السّماواتُ بالعشْقِ تأتلفْ
النّجمُ بِغَيْرِ عِشْقٍ يَنْخسفْ
صارتْ الدّالُ بالعشقِ ألفْ (١١)
كلُّ ألف بِغَيْرِ عِشقٍ دَالْ

قد صارَ ماءَ الحياة (١٢) الكَلِمْ
فهو فرع عن علمٍ من لَدُنْ (١٣)
فلا تُبق الروحَ منه خِلْواً
كي تُعمرَ عندكَ الأعمالْ

الكَلِمُ المجملُ عِندَ أهلِ المَعْنى : تفصيل
والقولُ المفَصّلُ عِند أهْلِ الصُّورة : إجمالْ

أو قيل الشّعر على التّمامْ ؟!
ألعمْ ببحرٍ غصْ بالدُّررِ الكرامْ
فبذوقِ الشّعر يطيبَ للنّاقة أنْ
تُسرعَ الخطوَ وهْيَ تَحملُ الأحْمالْ (١٤)

---

(١١) الألف مستقيمة والدال مُعْوَجّة.
(١٢) أي أنه كلامٌ يهبُ الخلود.
(١٣) إشارة إلى قوله تعالى وهو يتحدث عن الخضر عليه السلام في سورة الكهف، آية ٦٥ : ﴿ وعلمناه من لدنّا علما ﴾ والعلم اللدنى هو العلم الإلهى.
(١٤) البعير المحمّل بالأثقال يغذّ السير حين يسمع حُدى الحادى الذى يتغنّى بالأشعار.

(٣) *

أيُّها القَلبُ ، ماذا لفّقتَ من أعذارٍ لكل ذاكَ التَّقْصير ؟
فمن جَانِبه ثَمَّ (١) يتتابَعُ الوفَا
ومِن جانبكَ هُنا يَتَوالى الجَفاَ

منْ جَانِبِه ثَمَّ يتتابعُ الكَرَمْ
ومِنْ جَانِبكَ الخلافُ وحسابُ الكثرةِ أو القِلّة والعدمْ
مِن جانِبك هنا يَكثُر الخَطاَ

من جَانبكَ هُنا يَعظمُ الحَسَدْ ،
يكثرُ الخيالُ وسُوءُ الظَّنّ
مِن جانبه ثَمَّ يتوالى الجذبُ
يتوالى الذوقُ ، يتوالى العَطَا

لِمَ إذَنْ كان كُلُّ هَذا الذَّوْق ؟
كيْ تَحْلو فيكَ مَرارةُ الرّوح
لِمَ إذَن كان كلُّ هذا الجذْب ؟
كَي تَلْحَقَ بالأَوْليا

(*) مطلعها : اى دل ، چه انديشيده اى در عذر آن تقصيرها
زان سوى او چندان وفا ، زين سوى تو چندين جفا

(١) ثَمَّ : هناك.

إنْ غدَوْتَ من الجُرْم فَزِعاً
ومضيت تسألُ عنْ مخرجٍ جَزِعاً
ولا ترى معَكَ حينذاك وازعاً (٢)

فلِمَ ؟!

هُنا جذبٌ صوْبَ الصَّالحينْ ،
وهُناك جذبٌ نحوَ الفاسدين
فإمَّا ان تمخرَ السُّفينُ العُبابَ
او تتحطمَ في المَوْجِ قِطَعَا

أكثرْ من الدُّعاءِ في الخفَـاءْ
أكثرْ من الأنينِ في الظّلماءْ
كي يتناهى لسَمْعِك
منْ فوقِ سَبْعِ سمَاوات ندا (٣)

(٢) ولا ترى حينذاك من يدفعك إلى لوم نفسك والبحث عن مخرج إلا نفسك التي بين جنبيك .

(٣) أي لتحقق لك الاستجابة ، تصديقاً لقول الله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ (سورة غافر ، آية ٦٠).

حين تجاوزَ صَوتُ شُعيبٍ (٤) الحدْ
وارْتفع أنينُه عند ذاكَ واضطرمْ
وانهمرتْ من عينيه الدُرَرْ
هَبَط من السَّماء في السَّحَرِ نِدا :

« إنْ كُنتَ ذا جُرمٍ ، عَفوتُ
ولِمَا اقْترفتَ غفرْتُ
وإن أرَدْتَ الفِردَوْسَ وَهَبتُ
لَكنْ صَهٍ ، ودَعْ هَذا الدُّعا »(٥)

قال : « مَا أرَدْتُ هَذا ولاَ ذاكَ أنَا
بَلْ أريدُ رؤيةَ الحقِّ عَيانا
ولو صارتْ السَبعُ البحارُ ناراً
لخضتُها بُغْيةَ اللِّقا

ولَو أنّي مَسُوقٌ لذاكَ المَنْظر (٦)
وأغْمَضتُ عَنْه (٧) عينيَ الدَمْعَى

---

(٤) النبيّ شعيب عليه السلام ، وقد ورد خبره في القرآن الكريم مع قوم مدين ، ومدى إيذائهم له.
(٥) في البيت إشارة إلى تأثر الحق تعالى بحُرقةِ من يدعوه ويتضرع إليه .
(٦) يعني بالمنظر : الفردوس.
(٧) يعني عن الحق تعالى .

لَكانَ الجَحِيمُ بيَ أَوْلى
وما وَجبتْ ليَ جنّةُ المأوى

الجنّةُ بدون وَجْهه هيَ عنْدىَ نارٌ وعَدوّ (٨)
فقد احتَرقتُ منَ الرّوائح والألْوان (٩)
فأنى لي بُسؤدَدِ تَجليّ أنوارِ البَقا

قالوا : « كَفكف الدّمعَ إذَنْ
كيْ لا يَضعُفَ الإبْصار ، فالعينُ تعمى إنْ جاوَزَتْ
حدُّ البُكاء »

قال : «لَو انّ عَيْنيَ ظَفَرتْ ، بأن رأت تلك الصّفَة
لاسْتحالَ كلُّ عضْوٍ منّى عَيْنا
فلا بأسَ عِندىَ بالعَمى

وإن بقِيتْ عيْنيَ محْرومَةً
فهْمى حتى تعمَى
فذالكَ غيرُ جائزٍ من
الحبيب الأعلى »

(٨) الجنة ليست الهدف الذى يسعى إليه الصالحون ، بل وجه الله.
(٩) يعنى بالروائح والألوان : الدنيا وزخرفها.

ولأنَ كلُ امرئ قَدْ تَخَيَّر
صَاحباً يناسبُه حُسْناً وقُبْحا
فلا غَرْوَ أن أفنينا أنفسَنا
من أجل " لا " (٩)

ذَاتَ يوم رَافَقَ إنسانٌ با يزيدَ (١٠) في طريقْ
فخاطبه بو يزيدُ : « ماذا اخترتَ من مِهنةٍ يارفيقْ »
قال : " أنا حَمَّار " (١١)
فقال له بو يزيد : اغْرُبْ عن وجهي ،
ويارب ، أمِتْ حِمارَه ، كي يَصيرَ لله عَبْدا

* * *

(٩) لأن النفس "لا" تأنس "إلا" بالرفيق الأعلى. و«لا» هنا تعني نَفْيَ غير الله تعالى .
(١٠) بايزيد : هو أبو زيد بن طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي ، أحد كبار الصوفية، تُوفي في بسطام سنة ٢٣٤ أو ٢٦١ هـ حسب اختلاف الأقوال.
(١١) يُقال للحَمَّار بالفارسية : خربنده ، أي عَبْدُ الحمار .

(٤) (*)

يُوسفُ ، يا أجْملَ أسْمائِنا
يَامَنْ يخطِر جَذلاً فوقَ سَطْحِنا
يامَنْ حَطمتَ كأسَنا
يامَنْ مَزَّقتَ فَخّنا
أنتَ لنا النُّورْ ، أنتَ لنا السُّرور
أنتَ إقليمُنا المَنصُورْ

ألقِ في نَشْوَتنا حَباباً (١)
كيْ يغدُوَ كَرْمُنا (٢) خمْرا

أنتَ لنا الحبيبُ والمَقصُودْ
أنتَ لنا القِبْلةُ والمَعبودْ
انظُر دُخَانَنا المُتصاعِد
حِينَ أذكيتَ ناراً
في عُودِنَا (٣)

(*) مطلعها : اى يوسف خوشنام ما ، خوش مى روى بر بام ما
اى در شكسته جام ما ، اى بر دريده دام ما
والخطاب فيها للشيخ شمس الدين التبريزى .
(١) الحباب : الفقاقيع .
(٢) الكَرْم : العنب .
(٣) العُود : ضربٌ من الطيب يُتبخّر به .

رِفيقُنا أنتَ ، عَيَّارُنا أنتَ (٤)
قَيدُ قلبِنا ... خَمَّارُنا أنتَ (٥)
لا تَسْحبِ القدَمَ عن شأنِنا
بَلْ خُذْ بِعُقْدَةِ عِمامَتِنا (٦)

مُنْغرِسةٌ في الطِّينِ أقدامُ القلبِ (٧)
وَالَهفي علَى مَا حلَّ بالقلبِ ، بالقلبِ
ومنْ لَوْعَةِ نَارِ القَلبِ
آهِ للقَلبِ ، آهِ لنا

* * *

---

(٤) عيّار : مَنْ يتصف بالمهارة وخفة الحركة .
(٥) خمار : بائع الخمر ، وتطلق في المصطلح الصوفي على المرشد الكامل والشيخ البصير .
(٦) خذ بزمامنا صَوْبَ طريق الحق .
(٧) الطين : الحياة المادية .

(٥) *

انظُر ذاكَ الشكلَ ، وانظر ذاكَ التنعُّمَ والدلَّ
ذاكَ القدَّ والخدَّ والساقَ واليدَ
انظر ذاك اللونَ وذاك الوقار
وذاك البدرَ المنقَّبَ بالضيا

أيها العشقُ ، جئتَ شكلاً وصورةْ
كأتونٍ مُتَقدْ
قافلَةِ العشقِ بكَ تَصْطَلِمْ
فالأمانَ الأمانَ لحظةً يافتى

في نارٍ وفي تحرّقٍ أنا
قد طال تَسْهيدى حتّى الصباحِ أنا
ما أسعَدَني بِظَفَري
بطَلْعةِ شَمسِ الضُّحى

حولَ قمرهِ أدورْ
ألقي تحيّتى صامتًا

(*) مطلعها : آن شكل بين وآن شيوه بين وآن قدّ وخد ودست وپا
آن رنگ بين وآن هنگ بين وآن ماه بدر اندر قبا

أرتمي على الأرضِ
قبلَ أنْ يقولَ : الصَّلا (١)

رَوْضُ العالَم وجَنَّتُه أنتَ
عينُ العالَم وقنديلُهُ أنتَ
أسَى العالَم وحُرقَتهُ أنتَ :
حِينَ تُمعنُ في الجفَا

أتقدَّمُ لرِهَن الرُّوحْ
تقول : "لا تشقَّ علينا ، ورُحْ"
حِين أشرع في التحيَّةِ كي أنْصرفْ
تقول : "أيّها الأبْلهُ ، عُد لنا"

غداً خيالهُ مُؤْنساً لنا كلَّ إيناسٍ
والعاشِقُونَ في حَرِّ أنفاس
حاشا لطَيْفكَ أن يَغيبَ لَحْظةً
أو بُرهةً عن عَيْننا

أيّها القَلبُ ، ماذا حلَّ بك ؟
وإلام صار شأنك ؟

(١) انظر ماسبق ، ص ٤٩ ، هامش ١٢ .

ومن ذا الذى يحرمُك النومَ هكذا
فى الصَّباح وفى المِسا ؟!

قال القلبُ : حسنُ طَلْعته ،
ومُقلتُهُ (٢) الناعسةُ السَّاحِرة
وسنبلةُ حَاجبه ،
وتلكَ الياقوتةُ عذْبةُ الأدا

أيها العشقُ ؛ كَم لكَ عِندَ النَّاس مِن اسْمٍ ومنْ لقبٍ
وبالأمسِ ، أطلقتُ اسماً آخرَ عليكَ :
" داءٌ بِلا دَرا "

لنْ أنطق بحَرْفٍ بَعدُ
فَقلْ هذا البيتَ وحَسْبُ :
ذابتْ رُوحى من الهوَسْ ،
فارْفقْ بنا ياربَّنا .

* * *

(٢) فى الأصل : نرْجسته ، والنرجس زهر يظل يقظانا مُفتَّحاً طول الليل .

(٦) *

أَيُها الأميرُ الأجَلُّ لُذْ بالفِرار
مما ألَمَّ بِنا مِنْ عَارٍ ، مما ألَمَّ بنا مِنْ عَارْ
فَلَسْتَ تُطِيقُ أن تَصْطَبِغَ بِلَوْنِنا ، بِلَوْنِنا

فَمِنْ غَارات جُنْده ، ومن وَقَعَات ضَرْبه
لايسْلَمُ لك عِرقٌ بعزف قيثارتنا ، قيثارتنا

ابدأْ بِحَسْوِ جَرْعةٍ أولا ، تَغْدُو بِنَشْوةٍ ثَملاَ
فتُصبِحُ عَنْ نَفسِك ذَاهلاَ ، ومن ثَمْ يَمِمْ شَطْرَنا ، شَطْرَنا

أشَيئاً مِنْ هَذى الخمرِ تَبغى ؟ امض أوّلاً فَرِقَ رِقَّة الكأسِ
وإن غَدوتَ كأساً ، انْكسِرْ بِصَخْرِنا ، بِصَخْرِنا

كُلُّ من ذَاقَ خَمراً أحْمَرَ ، بَاتَ ذا شأنٍ في الوَرى
يَذهبُ بِسعةِ القلبِ مَن ضاقَ بسببه قلبُنا ، قلبُنا (١)

(*) مطلعها : بگريز ، اى امير اجلّ ! از ننگ ما ، از ننگ ما
زيرا نمى دانى شدن همرنگ ما ، همرنگ ما

(١) مَن ملأ قلبَنا حزناً وجزعاً ، يذهب بما في القلوب من سعة ولايُبقى فيها موضعا .

مَرّيخُ الزّمَنِ (٢) مُؤنثٌ لا مُذكَّرٌ
وها هُنا ضَربُ خنجَرٍ
أنّى لِخمارٍ (٣) أن يصيرَ لحَرْبِنا ، لحَربِنا

إن كُنتَ تبْغي الشّمسَ سيفاً ، فاتّخذْ من البدْرِ درْعا
وإن كُنتَ للرّومِ قيْصراً ، فاضْرِب الصَّفحَ عن صدئنا ، عَن صدئنا (٤)

صِرْ إسْحَاقَ في نَحْرنا (٥) ، صِرْ ساكِتاً في بَحْرنا
كيْ لايتحطَّم مِنكَ السُّفينُ في مائِنا (٦) ، في مائنا

* * *

---

(٢) المريخ كوكب الحرب ودليل الشجاعة ، ومريخ الزمن عندنا مؤنث ، وليس برجل ، فليس أهلاً للحرب ، فنحن لا نقيم للزمن وزنا

(٣) الخمار : ما تضعه المرأة على رأسها.

(٤) إن أردت أن تجعل من الشمس سيفا لك فلابد لك أن تجعل القمر درعا ، وإن كنت ملك الروم (رمز الجمال والضياء) فيتعين عليك أن تتجاوز عن صدئنا (رمز الظلمة).

(٥) تقول التوراة إن إبراهيم قدّم اسحاق - عليهما السلام - ضحية ، وحدّ السكين لذبحه ، ولكن الروايات الإسلامية تشير إلى أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق . والشاعر لا يقيم وزناً للتفرقة بينهما ، فكلاهما نبيّ. والإشارة هنا لتسليم الذبيح الكامل لأبيه إبراهيم ، لقوله تعالى "... فلما أسلما وتله للجبين ..." (الصافات : ١٠٣) ، والمعنى كن على استعداد للتضحية بنفسك الأمّارة كي تغدو مثلنا .

(٦) في الأصل : گنگ ، نهر بالهند ماؤه مقدّس عند الهندوس ، ويطلق في الفارسية على مُطلق النهر والبحر .

(٧) *

لزِمتُ بابَك علّ الوفا يتجدّدْ ،
لعلّكَ تفتحُ باباً ، وتهتفُ أنتَ وتُردّدْ :
انهضْ إلينا

علَى بابكَ رُوحي غرقَى ، بشذا المسْكِ والعنْبرْ
يامَنْ لطَلْعَتكَ البهيَّةِ ، ألفُ ألفُ تحيةٍ وأكثرْ ، دائما

نحنُ سُكارى رؤوسُنا تدورْ ، قد فرغنا مّما لغيْرنا من أُمورْ
لو تقوّضَ العالمُ وامّحى ، فلعِشْقكَ أبداً الخلودُ والبقا

نحنُ اليومَ ضيفُكَ ، سُكارى ببَشّ وَجهكْ
حين أهتفُ باسمِ وجهك ، فواللّه ينخلعُ القلبُ حتْما

أنىَّ لي بسقفٍ غيرِ سقْفكَ ؟ أنىَّ لي باسْمِ غيرِ اسْمك ؟
أنىَّ لي بكأسٍ غيرِ كاسِك ؟ أيها السّاقي حلوَ الأدا

(*) مطلعها : بنشسته ام بر درت تا بوك بر جوشد وفا
باشد كه بگشايى درى ، گويى كه "برخيز اندر"

لو أنكَ الرُّوحُ الحيُّ ، فليتنى أجدُكَ ليتنى
آهِ ، ليتني أُمسكُ بتلابيبه وألفها ، ليتنى
ليتني فى حُلمٍ ليتني ، علّهُ يُوافيني فيه اللّقا

يامَنْ ببابك خيلٌ وحشَمْ ، ابرزْ بتُؤدةٍ سيّدى المحتشمْ
فأنا ثَملٌ سعيدٌ ، بتلكَ المُقلةِ الجاذبةِ المُسْكِرى

الأرواحُ كالسّيل جاريةٌ ترتفعْ ، صَوبَ محيطِ بحرِ الحبيب تندفع
عنْ كُلْ قُرُباتٍ وعلائقَ تنقطعْ ، قد صار لها بالبحرْ قُرْبى

سيلٌ جارٍ في حيرةٍ وولهْ ، سيلٌ آخرُ قد ضلَّ الطّريقَ بسفهْ
ذاكَ يهتفُ : الحمدُ للّهِ ، وذا يهتفُ آهٍ ، لا حولَ ولا (١)

* * *

(١) أى أن من يتحرك نحو المقصود فلسان حاله الشكر أما الآخر الذى ضل الطريق فيقول آه ، ولا حول ولا .... تعبيراً عن الحيرة البالغة .

(٨) *

أنا منْ أين ؟ النُصْحُ مِن أين ؟ مرِّر الخمرَ أيها الساقي
أهرِقْ على الروحِ تلكَ الكأسَ المثيرةَ للمسَرَّةِ والهَنا(١)، أيها الساقى

ضَع فى يَدي كأسَ الحبيب ، يا مَنْ أنتَ للعُشّاق معينٌ وسنَدْ
ايتني بهِ خِفْيةً ، بمنأى عن شفاه الغُربا ، أيها الساقِي

ياروحَ روحِ الرُّوح ، ما جئنا لأجل الخُبز
فانهض ، ودع التسوُّل فى حفل السلطان جانبا (٢) ، أيها الساقى

خُذ أولاً ذلك القدحَ الكبيرْ ، وخلِّه بيد الشَّيخ البصيرْ
وحين يثملُ الشيخُ ، يمِّم الوجهَ شطرَ السُّكارى ، أيها الساقي

امضِ ودَعِ الحياءَ(٣) جانبا يا مُرتجى، أينَ السُّكْرانُ، أينَ الخَجلانُ أينَ
وإن استبدَّ بكَ الخجلُ ، فاهْرق على الخجل قدَحاً ، أيها الساقي

(*) مطلعها : من از كجا ، پند از كجا ؟ باده بگردان ساقيا !
آن جام جان افزاى را بر ريز برجان ساقيا !

(١) أى الكأس المملوءة بخمر المعرفة التى تفضى إلى اليقين.

(٢) ليس هدف الإنسان من حياته الأكل والشرب ، فاعلُ على مقتضيات الحياة المادية ، ولىكن رجاؤك مناسبا لقدرك ومتوافقاً مع مهمتك، فحفل السلطان ليس به شحاذ يُقصر رجاءه على طلب الدنيا.

(٣) الحياء «عبارة عن وجود هيبة في القلب تتحصل بالتعظيم والمحبة» (فرهنگ ديوان شمس).

قُمْ أيها الساقي وهَيّا ، يا مَنْ أنتَ خَصْمٌ لكل خجلٍ وَحيا
ولكي يَغْدو حظُّنا ضاحكاً ، تقدّمْ ضَاحكاً إلينا ، أيها السّاقي

* * *

(٩) *

ألا ياربيعَ العاشقينْ ، أعندَكَ عن حبيبنا خبرٌ يقينْ ؟
يا من بكَ المروجُ ضاحكةٌ ، والرياضُ حُبْلى

ياريحاً ذات شذاً ، أدرِكِ العُشاقَ حبّذا
يا مَن أنتَ أطهرُ من الرُّوحِ والمكانْ ، فأينَ أينَ كُنتَ قبْلا ؟

يا فتنةَ الرُّومِ والحبَشْ (١) ، تملّكتْني الحيرةُ ، أخذنى الدَّهشْ
أكانَ هذا الريحُ العَذْبُ قميصَ يوسُفَ ، أم رُوحَ المُصْطَفى ؟ (٢)

يا غديراً بدَوْتَ صدْقاً ، من نهرِ الحبيبِ أنتَ حقّا
طورُ سيْناء أنْتَ للصُّدورِ (٣) ، وللأرواحِ دُمتَ طرِبا

يا عذْبَ القيلِ والقالْ ، يا مَليحاً في كُلِّ الأشكالْ
طابَ لكَ الحوْلُ وطابَ الهِلالْ (٤) ، دُمتَ لعبدِكَ حوْلاً وهِلالا .

(*) مطلعها : اى تو بهار عاشقان ! دارى خبر از يار ما ؟
اى از تو آبستن چمن ، وى از تو خندان باغها

(١) يعنى بالرّوم : النهار ، والحبش : الليل . أو لعله يعنى بهما مختلف أجناس البشر .

(٢) إشارة إلى قميص يوسف - عليه السلام - الذى أرسله مع إخوته من مصر ، وكان أبوه يعقوب - عليه السلام - قد كف بصره لفقد يوسف ، وحين جاء البشير وألقى القميص على وجه يعقوب ارتدّ بصيرا ، وكان يعقوب قبل أن يأتى البشير قد شم ريح يوسف من بعيد .

(٣) جبل الطوّر فى سيناء الذى تجلى عليه الله - تعالى - إجابة لطلب موسى عليه السلام ، انظر قوله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ... ﴾ (سورة الأعراف : آية ١٤٣) ؛ ويشبّه الشاعر شيخه بالجبل الذى تجلت عليه أنوار الحق تعالى .

(٤) طابت سنتك وطاب شهرك ، بل طابت كل أوقاتك .

(١٠) *

أيُّها العَاشِقُون ، أيُّها العاشِقُون ، نَحنُ اليومَ وأنتمُ
قَد وَقعْنا اليومَ فى لُجّةٍ ، فمَن يَعرِفُ السِّباحةَ منا

لوْ طَمَّ سيلُ العَالَم ، وصَار كالجَملِ مَوْجُ اليَم
فمَا لِطَيرِ الماء من غمٍ ، فهل يَغتمُّ طَيرُ الهَوا (١)

قد أضَاءَ الوجْهَ بالشُّكرِ ، قد بلونا الموجَ والبحرَ
مِثلمَا كانَ البحرُ - والريحُ تَعصِفُ - للسَّمك طَرَباً ولَهْوا (٢)

هَذه الريحُ تُنضِجُ فى كلِّ رأسٍ وَلعاً آخرَ ،
فما فيها من وَلَعٍ مُلكٌ لسَاقينا ، والباقى كُلُّه لَكُمْ خَالِصاً

بالأمسِ ذَهبَ ذاكَ الساقِي ممشوقُ القَوَام
بألبابِ السُّكارى في عُرْضِ الطَّريقْ
واليوم يَسْخُو بِخَمْرٍ عَتيقْ ، كيْ يَخْلعَ عنَّا القِبَا (٣)

(*) مطلعها : اى عاشقان ، اى عاشقان امروز مايیم وشما
افتاده در غرقابه اى تاخود كه داند آشنا

(١) قد خلصنا من المادة ومن جذب التراب وصعدنا إلى العلا محلقين كالطير لايعبأ بما يجرى تحته .

(٢) السمك يطرب ويلهو فى البحر حين تعصف الريح ويعلو الموج .

(٣) ليذهب بما بقى عندنا من وقار .

يا مَن يحسُدُكَ القمرُ والـمُشْترِي ، أنتَ معنا ، ومنا - كَملاكٍ - تختبي
فاجذُبني برفقٍ واذْهبْ بي ، ثم لاتقُلْ إلى أينَ ؟

أينما وليتُ وجهك فأنتَ مَعي ، يامن أنتَ عيناي ونُوري
إنْ شئتَ إلى الثمالة جُرَّني ، أو شئتَ فادفعْني إلى الفنا

هبْ أن العالمَ جبلُ الطُّورِ العَظيمْ ، وَهَبْ أننا طَالبون كَموُسى الكَليمْ
في كلِّ لحظة يَقعُ التَّجلي ، ويجعلُ الجَبل دكًا دكًا (٤)

تارةً يَغدو أخضرَ ، تارةً يَضْحَى عَبْهرَ (٥)
تارةً يصْبحُ جوْهرا ، وتارةً ياقُوتاً وحَجَراً جاذبا

يا طَالباً رؤيتَه ، أبْصِرْهُ في إقليمه الجَبلِيِّ هذا (٦)
أيها الجبلُ ، أيَّة خَمرٍ شربتَ ، فَقد صِرنا سُكارَى بالنَّدا (٧)

* * *

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلَّمه ربُّه قال : لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ، فلمَّا تجلى ربُّه للجبل جعله دكًّا وخرَّ موسى صعقًا ، فلمَّا أفاق قال سُبحانك تُبتُ إليك وأنا أول المؤمنين﴾ (سورة الأعراف ، آية ١٤٣) . والمعنى أن العالم يغدو هباء لاقيمة له حين ينال الإنسان القرب من الله تعالى.

العبهر : زهر كالياسمين.

فهذا الإقليم (العالم) ليس إلا انعكاساً للصفات الإلهية.

إشارة إلى نداء الله - تعالى - لموسى - عليه السلام - عند جبل الطُّور، من قوله تعالى للرسول محمد - ﷺ - : «وما كُنتَ بجانب الطُّور إذ نادينا ..» (القصص:٤٦)

• (١١)

يوسفُ يا أجملَ أسمائنا ، يا مَن يتبخترُ جذلاً فوقَ سطحنا
" إنا فتحنا " الصَّلا (١) ، فدع السَّطح واعبُر الباب ، عُدْ لنا

يا بحرَى المملوءَ بالمَرجانْ ، خفَتْ والله رُوحِى الآنْ
رُوحي هذى الحائره ، من دورة هذى الرّحى (٢)

يا حاديَ القافلةْ ، لاتُجاوزْ هذه المَرْحلةْ
أَنِخْ البَعيرَ وانزل بِرفْقٍ ، لله لا لَنا

لا لا امْضِ ، مَجْنوناً امْضِ ، ثُم بِرفقٍ في الدَّمِ خُضِ
عن الكَيفِ لا تقُلِ ، بِلاَ كيفٍ امضِ ، فليسَ للروحِ مكانٌ أبدا

إن صَارَ قالبُك في التُّراب ، عَلَتْ رُوحُكَ على الأفْلاك
ولو تمزَّقَتْ خِرقَتُك قِطَعا ، فما لرُوحِكَ أبداً فَنا (٣)

(*) مطلعها : اى يوسف خوشنام ما ، خوش مى روى بر بام ما
" إنا فتحنا " الصلا ، باز آ ز بام ، از در درا

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (سورة الفتح آية : ١) ؛ أى أن النداء هو : "إنا فتحنا" .

(٢) دورة الرّحى : دورة الفلك ، وتتابع الأيام .

(٣) يعني فناء الجسم والقالب الترابى، أما الروح فباقية ، وهى أسمى من المكان .

لستَ عَن سرِّ القلبِ غريبا ، مِرآةٌ أنتَ فاظهِر الطَّلعةَ
ولأنَكَ لفتنِ العشقِ مثيرٌ ، فالفِتَنُ تقدُمُ إليكَ طوْعا

تُخاطِبني : كيفَ تمْضي ؟ أمزهُواً مختالاً تمضِي ؟
تبصَّرْ فإنما تَسيرُ في الدَمِ ، ثم لاتقول : إلى أينَ ؟

قلتُ : من نِيرانِ القَلْبِ ، وفَوقَ فُرُشِ القَلب
يتدَحْرجُ القلبُ في الغرامِ ، لِيَبْلُغَ بَحْرَ " يفعلُ ما يشا " (٤)

في كُلِّ حِينٍ يَصلُ رَسولٌ ، فيمسُكُ بتلابيبِ الرُّوح
ثم يَمرُقُ فوق القلبِ خيالٌ ، يهتف : "هيًا إلى أصلكَ تَعالَ"

غدَتْ حبّةُ الفُؤادِ جامِحَةً ، تفرُّ هُنا وهُناكَ صائحَه
هرباً من عالمِ اللّون والرّائحه (٥) ،
تصرُخُ : "أينَ ذاكَ الأصلُ ؟ "
وقد مزقَتْ ثوبَها صَوْناً للوفا

* * *

---

(٤) وردت في القرآن الكريم في عدد من السور ، آل عمران ٤٠ ؛ إبراهيم : ٢٧ ؛ الحج ؛ ١٨
(٥) أى العالم المادّي .

(١٢) *

كَمْ أنوحُ بِبَرْحِ الأسى ، كَمْ أتلوَّن بالألوانْ
حتى أجْلوَ عَن مرآةِ كلُ مُنكرٍ صَدءا

على مَطيّةِ عشقك يَطوي القلبُ الوهادَ والوديان
بكل قَدَمٍ يقطَعُه هذا الركبُ ، تُطْوَى الفَراسخُ مِنْ قِبلِ الحبيب آلافا

أظْهِرْ ياقوتَتكَ المُنيرةِ لعَمى كُلُ عابدِ وثَن
حتى يُمْطرَ قُساةُ القُلوبِ مَن العَرْشِ حَجرا

أتدري لِم أنكَروا ؟ برغْمِ أنكَ تُبدى صَبراً وإمْهالا
لأنَّ هذه السَّعادة والإقبالَ تكونُ بِهم عَارا

لَوْ لَم يُصابوا بعَمى البَصْر ، لكانوا قد رأوا فيما وراء النَّظرْ
آلافَ الأرواحِ معلَّقةً بالقمرْ ، كنجومٍ تَسطعُ نُورا

حينَ يُصبح كلّ أعمى ، بِسَعْدِ نُورِكَ مُبصرا
يَغدو كل أعرج ، بيُمن دَرْبِكَ فَارِها (١)

(*) مطلعها : چندان بنالم ناله ها ، چندان برآرم رنگها
تا برکنم از آینه ىْ هر منکرى من زنگها

(١) الفاره : سريع السير .

ألا إنَّ كُلَّ عقلٍ عَن نفسه - في دَربك - يذهلُ
إذ نَبتَ في مَرجك الأخضرِ نبتٌ يُذهِبُ اللُّبا

لأجلِ هذا أرى أناساً كالنّاي ، لايفترُون عن الأنين
لأجلِ هذا هناك مائتان من أشْجار السَّرْوِ المَشُوق
قد انحنتْ كَمنقارِ طائرٍ حُزنا

لأجلِ هذا تَعثّرتْ آلافُ القوافلِ عَن السَّيْر الحَثيثْ ،
لأجلِ هذا غَدَتْ أعدادٌ من السُّفنِ المشحُونةِ فوقَ المياه حُطَاما

للمُنكَسِرِين أرواحٌ معلّقةٌ بالرَّجاءِ منكَ ،
كَيْ يُبدي علمُكَ الذى لاينفدْ مِن الفُنون ألوانَا

كَيْ يقَوّضَ ذلكَ اللطفُ الكامنُ فى لُطفِك كلَّ قهْرٍ
كَيْ يعُمَّ السّلام والأمنُ كلَّ قُطْرٍ ، وتَمّحى الحروبُ والشّحْنا

كَي يَظهرَ بحثٌ مِن نَوع آخَر ، كَيْ يكونَ هناكَ سَيْرٌ بنحْوٍ آخَر
ويتجدّد فى كُلِّ حَشاشَةٍ كلَّ حِينٍ مَقاصِدا (٢)

---

(٢) عبّر جلال الدين الرومي عن هذا المعنى بشكل آخر فى المثنوى وهو يتحدث عن التطور والتكمل اللانهائى للإنسان ، فقال :
"عشتُ تحت الثّرى ، فى عوالم من تبر وحجر ، ثم ابتسمتُ فى ثغور زهرات عديدة =

• (١٣)

لِذاكَ السيدِ قَدَمٌ ، غاصت في الطِّين بحيْنا (١)
إن حَدَّثْتُك عَن حالِه ، فاهتفْ : إذا جاء القضا (٢)

سَيِّدى أصْبحتَ ثَملاً ، تَضربُ كَفاً بكفٍّ سخريةً من حالِ العاشقِينْ
ثَملاً بجانبِ الألوهيَّة فِيكَ ، قَد أخذْتَ تُصارِعُ اللهَ (٣)

= الألوان، ثم جُبتُ مع الوحش والحيوان المتنقل فوق ظهر البسيطة، وعلى متن الهواء وفى مناطق المحيط.
وفى ميلادٍ جديدغطستُ فى الماء، وحلّقتُ فى الهواء، وحبوتُ على بطنى وعدوت على قدمى، وتشكّل سرّ وجودى كلّه فى صورة أظهرت كل ذلك للعيان، فإذا أنا إنسان.
ثم أصبح هدفى أن أكون فى صورة ملاك فى ملكوت وراء السحاب، وراء السماء، حيث لايمكن لأحد أن يتبدل أو يموت، ثم أعدو بعيداً، وراء حدود الليل والنهار والحياة والموت، ... الخ".
(نقلاً عن كتاب تجديد التفكير الدّينى فى الإسلام، لمحمد إقبال، الترجمة العربية، الطبعة الثانية : طبع دار الهداية، مصر، سنة ٢٠٠٠م، ص٢٢٠)، راجع المقدمة، ص٣٨ فيمات سبق.

(*) مطلعها : آن خواجه را در كوى ما ، در گل فرورفته ست پا
باتو بگويم حالِ او ، بر خوان إذا جاء القضا

(١) يتحدث الشاعر عن أهل الظاهر الذين يفتنون بالدنيا ومظاهرها ويصعب عليهم إدراك الحقائق الخفية وراء الظواهر، ولا يكون من السهل ردّهم إلى سبل الهدى.

(٢) إذا جاء (أو حان) القضا ضاق الفضا، مثل عربى.

(٣) إشارة إلى ما جاء فى التوراة من أن دواد (النبى عليه السلام) قد صارع الربّ.

صارَ فرعونَ وصارَ شدّادا (٤) ، صارَ شراعاً بالرِّيح ملآنا
كانَ نملةً صارَ حيّةً وثُعبانا ، وتلك الحيّةُ صارت تِنّينا

علا برأسه على السّماواتِ ، ولا يدري عن مصيره قَدْرَ قطْميرْ
همْيانُهُ قد مُلئَ بالفضّة والذّهبْ ، أذُناه قد امتلأت بقول :
أطالَ الله البقاَ (٥)

أيهّا السّيد ذُو اليدِ والقَدمِ ، قد كُسِرَ - بِفعل القضاء - منكَ القَدَمْ
ما أكثرَ القلوبَ التي بِسببِكَ حُطّمتْ ، فحلّ بقدمك الجزا (٦)

هَبْها عِنايةً ورَحمةً أن صَدَرْ ، مِن حيِّ العشقِ هذا الضُّرْرْ
عِشقَ المجازِ إذاً فاعْبرِ ، عشقُ الحقِّ هو المُنتَهَى (٧)

---

(٤) فرعون ، لقب يطلق على كل ملوك مصر القدماء ، ولكن يغلب إطلاقه على فرعون الذى عاصر موسى - عليه السلام - وقد ادعى الألوهية وهو يعدّ رمزاً للتمرد على الله والعصيان . أما شداد فهو أحد الملوك الأسطوريين ادعى الألوهية . ويقال إنه شيّد جنة عرفت فى الأساطير بجنة شداد .

(٥) أطال الله البقاء ، دعاء بطول العمر ، ومجازاً بمعنى الجاه والمقام . أما الهميان ، فهو كيس يُشد فى الوسط يوضع فيه المال .

(٦) لاينتبه مثل هذا الإنسان إلا إذا حلّ به ما يثبت له ضعفه ويبين له عجزه ، فلعله أن يعي الدرس ويكفّ عن ظلم نفسه وغيره .

(٧) يرى الصوفية أن العشق المجازى قنطرة للوصول إلى العشق الحقيقى والإلهى ؛ ويقولون : المجاز قنطرة الحقيقة .

هذا الغازى المجاهدُ قد وَضَعْ ، بيدِ ابنه سَيفاً من خَشَبْ
كَي يصيَر فيه بارعا ، ويحمل السَّيفَ في الغَزا

فالعُشقِ إنْ اعترى المرءَ ، بَدا كَسَيفٍ من خَشَبْ
لَكنَ عِشقَ الرّحمنِ ابتلاءٌ ، حِينَ يأتي آخرا (٨)

* * *

(٨) هذا البيت تأكيد للبيت الذى قبله ، يقول للدلالة على أن العشق المجازى قنطرة للوصول إلى العشق الحقيقى : "إن الغزاة والمحاربين فى سبيل الله يسلمون أولادهم فى مرحلة الطفولة والصبا سيفاً من خشب (رمزاً للعشق المجازى) لكى يستطيعوا بكثرة المران أن يبرعوا فى الضرب بالسيف ، فالعشق الذى يكنه الإنسان للإنسان بمثابة هذا السيف الخشبى نفسه ، يُفضى إلى العشق الإلهى (السيف الحقيقي) .

(١٤) *

يافصلنا ذا الغيث والمطر ، أنزل على أصحابنا مطرا
كدمع البائسين منّا لهجر أحبتنا

ياعين الغمام والسحب ، أهرقي الدمع هتوناً بعطر المسك يتضوع
إذ تضمرين - كما علمت - الحسد ، لوجوه لنا كالبدر

انظر هذا الغمام قد بكى ، وذاك الروض قد بسم
فبضراعة الأب والبكا (١) ، نال مرضانا النجاة والشفا

وكما آتى السحاب الثقال حقه ، لأجل من جفت شفاههم منّا
يؤتى الكأس الثقيل حقه ، لأجل من لا يؤبه بهم فينا (٢)

نثرت السماء الجوهر ، على الأراضي والوديان الفقيره
لهذا وبسبب العشق يتحمل لصوصنا الإملاق والعوز

(*) مطلعها : اى فصل با باران ما ، برريز برياران ما
چون اشك غمخواران ما در هجر دالدران ما

(١) لعلها إشارة إلى بكاء يعقوب على يوسف . والمعنى أن الروض نجا ببكاء السحاب كما نجا يوسف ببكاء يعقوب (عليهما السلام) ؛ إذ إن للآلام قيمة إيجابية وللضراعة أثر معجز .

(٢) لعلها إشارة إلى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « كم من أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له ، لو أقسم على الله لأبرّه » رواه الترمذى فى المناقب ٥٤-٥٦ .

هذا السَّحابُ عندي كيعقوب ، والزهرُ عندي كيوسف في الرَّوضِ
تفتّحَ وجْهُ كلُّ يوسف ، من ناثرات دُمُوعنا

قَطْرةٌ منه تغدُو جوْهرا ، قطرةٌ منهُ تغدُو عبهرا
وبالمَالِ والنّعمةِ تمتلئ قيعانُ أكُفِّنا ، بعدَ أن مُلئتْ شوكا (٢)

أغلقْ الشّفةَ كالصَّدفْ ، أتملّ أنتَ ؟ ، لا تتقدّمِ الصفَّ
حتى يَعودَ المفيقُون منا ، من عالمِ الغيبِ إلينا

* * *

(٢) ملئت الأكفَ شوكاً بسبب الفقر والعوز .

(١٥) *

أيها السّاقي ، أعطني الخمر جُزافاً ، كي يقلّ عندي الخوفُ والرّجا
اضربْ رقبةَ الفكْر : نحنُ من أين ، ومن أين هُو !

قدّم الصّهباءَ قدّمْ ، استأصلْ الوعيَ من أصله
وذاك العيشُ الذي برز سافراً ، فُكّ عنه وثاقا (١)

انظر المجانينَ يتقافزُون ، منْ قيدِ الوُجودِ تخلّصُوا
في غفْلةٍ منَ القلب أحبُّوا ، فقد كان هذا القلبُ فخّاً للبلا

عجّل إلينا ، هلمّ ، فقد طال المدى ،
هذا الإقليمُ (٢) قد أصاب القلبَ بضُرٌّ وأذى
فأسكرْ القلبَ ، هدْهدْ خاطره ، بقولك : عجّل إلينا

أمسك الخُبْزَ عنّي ، أمسك الماء عنّي ، أمسك الراحةَ والنّومَ عنّيَ
يا من ظَمأُ عشقك يُفتدى ، بمائةِ مثلنا

(*) مطلعها : مى ده گزافه ساقيا ، كم شود خوف ورجا
گردن بزن انديشه را ، ما ازكجا او از كجا

(١) يعني بها الحياة الآخرة ، وهي الحياة الحقة ، لقوله تعالى : ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (سورة العنكبوت ، آية ٦٤) ؛ وهو هنا يسأل مرشده أن يفض بعض أسرار تلك الحياة لتتمتع روحه بشيء من مباهجها .

(٢) هذا الإقليم : يعني به الدنيا .

أنا اليومَ ضيفُك ، ثملٌ ، ذهبتْ بي الفِكَرْ
قَد ذَاع بالمدينةِ هذا الخَبرْ : اليوم سَعْدٌ ، الصلا (٣)

أطَلَّ من القلبِ بَغتةً خيالُ حَبيبي ، كالبَدْرِ من الأُفق
أو كالزُهرِ من العُشْب والكَلا

الدّنيا بِكل خَيالاتها ، تأتي صَوْبَ خَياله تَسْعى
كَقِطَع الحديدِ تَنْجَذِبُ إلى المِغْناطيسِ جذْبا

اليواقيتُ حين جاءَته تَسعى كانتْ حَجَرا ، والأُسْدُ كانت حُمُرا
والسُّيوفُ كانت تُرُسا ، والشُمسُ ذرّاتٍ وهَبَا

غدا العالَمُ كجبلِ الطُّور ، قد مُلئتْ فيه كُلّ ذَرةٍ بالنُّور
كموسى قَد خرّ صعقاً ، ذاهبَ اللُّبِّ وقتَ اللُّقا

كل وُجودٍ إنما هُو في وِصاله (٤) ، في وِصَالِ أصلِ أصْله
ألا هَمْزاً بالعَدَم ولمزاً ، ألا تَصْفيقاً للتَجلّي ومَرْحَبا

* * *

(٣) انظر ما سبق ص ٤٩ ، هامش رقم ١٢ .
(٤) لا يتحقق الوجود للشيء إلا بوصاله بالحق تعالى .

(١٥) *

أيها السّاقى ، أعطنى الخمرَ جُزافاً ، كَىْ يقلَّ عندى الخوفُ والرّجا
اضربْ رقبةَ الفِكْر : نحنُ من أينَ ، ومن أين هُو !

قدِّم الصّهباءَ قدِّمِ ، استأصلْ الوعىَ من أصله
وذاك العيشُ الذى برز سافراً ، فُكّ عنه وثاقا (١)

انظر المجانينَ يتقافزوْن ، مِنْ قَيدِ الوُجودِ تخلّصُوا
فى غَفْلةٍ منَ القَلب أحيُّوا ، فقد كان هذا القَلبُ فخّاً للبَلا

عجّل إلينا ، هلمَّ ، فقد طال المدى ،
هذا الإقْليمُ (٢) قد أصابَ القلبَ بضُرٍّ وأذى
فأسكرْ القلبَ ، هدْهِدْ خاطرَه ، بقولك : عجّل إلينا

أمسك الخُبْزَ عنّي ، أمسك الماء عنّي ، أمسك الراحةَ والنّومَ عنيَ
يا مَن ظَمأَ عِشقك يُفتدى ، بمائةٍ مثلنا

(*) مطلعها : مى ده گزافه ساقيا ، كم شود خوف ورجا
گردن بزن انديشه را ، ما ازكجا او از كجا

(١) يعنى بها الحياة الآخرة ، وهى الحياة الحقة ، لقوله تعالى : ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ (سورة العنكبوت ، آية ٦٤) ؛ وهو هنا يسأل مرشده أن يفض بعض أسرار تلك الحياة لتتمتع روحه بشئ من مباهجها .

(٢) هذا الإقليم : يعنى به الدنيا .

أنا اليومَ ضيفُك ، ثمِلٌ ، ذهَبَتْ بي الفكَرْ
قد ذَاع بالمدينةِ هذا الخَبرْ : اليوم سَعْدٌ ، الصـلا (٣)

أطَلَّ من القلب بَغتةً خيالُ حَبيبي ، كالبَدْرِ من الأُفق
أو كالزَّهرِ من العُشْب والكَلأ

الدّنيا بِكل خَيالاتها ، تأتي صَوْبَ خَيالهِ تَسْعى
كَقِطَع الحديدِ تَنْجَذِبُ إلى المِغْناطيسِ جَذْبا

اليواقيتُ حين جاءَته تَسعى كانتْ حَجَرا ، والأُسْدُ كانت حُمْرا
والسُّيوفُ كانت تُرُسا ، والشُّمسُ ذرَّاتٍ وهَبا

غدا العالَمُ كجبلِ الطُّور ، قد مُلئتْ فيه كُلّ ذَرةٍ بالنُّور
كموسى قَد خَرَّ صعِقاً ، ذاهِبَ اللُّبِّ وقتَ اللّقا

كل وُجودٍ إنما هُو في وِصاله (٤) ، في وِصَال أصلِ أصْله
ألا همزاً بالعَدم ولمزاً ، ألا تَصْفيقاً للتّجلّي ومرْحَبا

* * *

---

(٣) انظر ما سبق ص ٤٩ ، هامش رقم ١٢ .

(٤) لا يتحقق الوجود للشئ إلا بوصاله بالحق تعالى .

(١٦) *

سيّدى تعالَ ، سيّدى تعالَ ، سيدى – مرةً أخرى – تعالَ
لاتنتحل الأعذارَ ، لاتنتحل الأعذارَ ، أيها البدرُ العيّارُ تعالَ

أبصر العاشقَ المهجورْ ، أبصرْ العالمَ المليء بالغواية والشُرورْ
أبصر الظمآن المخمُورْ ، أيها الملكُ الخمّارُ تعالَ

أنتَ القدمُ ، أنتَ اليدُ ، أنت الوجودُ لكلِّ موْجود
أنتَ البلبلُ السكرانُ ، صوبَ الرياضِ تعالَ

أنت الأذنُ ، أنتَ العينُ ، أنتَ صفوةُ الكُلّ
أنت يوسفُ المختطفُ ، فإلى ناصية السُوق تعالَ

يا من عن العيون احتجبت ، للكلِّ روحٌ وعالمٌ أنتَ
عُدْ لنا راقصاً ، ودون قلب وعمامة تعالَ

أنتَ نورُ النهارِ المبين ، أنت الفرحُ المُحرقُ لِهَمِّ كلِّ حزينْ
أنت بدرٌ أضاءَ الليلَ ، يا سحاباً بالسُكّر مُحَمّلاً ، تعالَ

(*) مطلعها : خواجه بيا ، خواجه بيا ، خواجه دگر بار بيا
دفع مده ، دفع مده ، اى مه عيّار بيا
وتبدو القصيدة وكأنها دعوة إلى شمس الدين لكي يعود مرة أخرى بعد أن غاب وتخفىٰ.

يا علماً لعالمٍ جديدٌ ، كلُّ عقلٍ أمامكَ رهينْ
مرّةً لا تأتْ ، ومرّةً أخرى لاتمضْ ، انهضْ دفعةً وتعال

يا قلباً مُخضّباً بدمٍ ، كثيراً ما كان فتنةً وجنوناً
قد نضجَ الكرْمُ الآن ، فلا تعصرِ من العنبِ ما كانَ حِصْرِماً[1] ، وتعال

ياليلةً نكْراءَ امضِ ، يا حُزناً مُضمراً امضِ
يا عقلاً نائماً امضِ ، ويا سَعْدَ اليقْظانِ تعالَ

يا قلباً مشرّداً تعالَ ، يا كبداً مُمزّقاً تعالَ
وإن كان طريقُ البابِ مُغلقاً ، فعن طريقِ الجدارِ تعالَ

يا نفَسَ نوحٍ تعالَ ، يا هوَسَ الرّوحِ تعال
يا مرهمَ المجروحِ تعالَ ، يا شفاءَ الغليلِ تعال

يا قمراً مُضيئاً امضِ ، وابحث عن ماءٍ جارٍ في القلب
ابحث عن سَعْدِ العشّاقِ ، ثم رغمَ أنفِ الأغيار[2] ، تعالَ

حسْبُكَ الآنَ أيها النّاطقُ الحبيْب ، فقد أفرطَ اللّسانُ في الوَجيبْ
قد طالَ قرعُكَ طبلَ البيانِ ، فبغيرِ همْسٍ ونُطقٍ تعال

---

(١) الحِصْرِمُ : العنبُ غير الناضج .
(٢) الأغيار : من هم على غير ما نحن عليه .

(١٧) *

لنا صاحبٌ ، لنا غارٌ (١) ، لنا عِشقٌ يَضْرُم الكِبادَ بنارِ
أنتَ الصاحبُ ، أنتَ الغارُ ، سَيِّدي فآوني

أنتَ نُوحٌ ، أنتَ الرُّوحُ ، أنت الفاتحُ والمفتوحُ
أنت الصَّدرُ المشروحُ (٢) ، أنت سرِّيَ المملوءُ بالدُّررِ

نورٌ أنتَ ، فَرَحٌ وسُرورٌ أنتَ ، إقليمٌ منصورٌ أنتَ
أنت طائرُ جَبَلِ الطُّور ، بمنقارك انقُرني

قَطْرٌ أنت ، بَحْرٌ أنت ، لطفٌ أنت ، قهرٌ أنت
سُكَّرٌ أنت ، سُمٌّ أنت ، فحسبُكَ لا تؤذني

قُرصُ الشَّمسِ أنت ، بُرْجُ عُطاردِ أنتَ
واحةُ الرجَاءِ أنت ، فعلى الطَّريق دُلَّني

(*) مطلعها : يارْ مرا ، غارْ مرا ، عشق جگر خوار مرا
يار توبي ، غار توبي ، خواجه ! نگهدار مرا

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا ﴾ ، (التوبة : ٤٠)

(٢) إشارة إلى قوله تعالى لنبيه ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ (الشرح : ١) والشاعر هنا يخاطب شيخه باعتبار أن العلماء ورثة الأنبياء.

أنت النّهار ، أنت الصّوم ، أنت حاصلُ التسوُّل
أنت الماءُ ، أنت الإناءُ ، فهذه المرّةَ أرْوِني

أنتَ الحَبُّ ، أنتَ الفخُّ ، أنت الخمرُ ، أنت الدّنُّ
ناضجٌ أنت ، نَيِّءٌ أنت ، نيئاً لاتَتْرُكْني

لو كانَ هذا الجسدُ مَرِناً ، لَكفَّ عن قطعِ الطّريق على قلْبي
أو كانَ قد واصلَ السّيرَ ، لما كانَ قد صدرَ كلُّ هذا القولِ عنّي

* * *

(١٨) *

بَرئتُ من هذه النفس ومن الهوى ، الحيّ في بلاء والـمَيْتُ في بلا
في الحياة وفي الموتِ ليس لي وطنٌ ، إنما وطَني فضلُ الله ، ليسَ إلاّ

بَرئتُ من هذا الشّعر وهذا الغَزَلْ ، أيُّها المليكُ يا سُلطان الأزَلْ
إن مُفتَعِلَنْ مُفتَعِلَنْ مُفتَعِلَنْ (١) ، قد سفَكْنَ منّي الدّما

قُل للسّيل العَرِمْ ، اذهبْ بكُل قافيةٍ ومغلطةٍ واضطَرِمْ
فكلُّ ذلكَ كانَ جِلْداً ، كانَ جِلْداً ، يناسِبُ لُبُّ الشّعْرا (٢)

يا مَن تَلزم الصّمتَ ، أنت لُبِّيْ ، أنت سِترٌ لكل ما دقَّ عندي
فحسْبُ الصّمتِ فَضلاً أنه ، قد خَلا من الخَوفِ والرّجا

ليسَ على القريةِ الخربة عُشرُ الأرضِ ، فقد "رُفع الخَراج عن الخراب" ،
سَكرانٌ وخربٌ أنا ، وكلّ ما في مَنطقي نَقْدٌ وخَطَا

(*) مطلعها : رَستم ازين نفس وهوا ، زنده بلا مرده بلا
زنده ومرده وطنم نيست ، بجز فضل خدا

(١) يعنى بمفتعلن : قولَ الشّعر "فقد أهاج خاطره ، وأثار فيه من الشعور والوجدان ما لايمكن التعبير عنه ، فحافظ علي موسيقى هذه الشطرة ، لكنه أفرغها من الكلمات.

(٢) الشّعر عندى كجِلْد الإنسان ، لا يبدو من خلاله السيل العرم من المشاعر التى تضطرم بجوفه ، بل لايكاد يبين عن دخيلته.

كي لا يَجْعَلني خَرِباً ، متى يُعطيني ذلكَ الكنزَ (٣)
كي لا يُسلمني للسَّيلِ ، متى يجذبني بَحْرُ العطا

ما أدرَى الرجلَ المفوّه بصمت كالسُّكْر
وما أدرَى الحطبَ الجاف بالغصن الرّطيب ذي النّدى

مرآةٌ أنا ، مرآةٌ أنا ، لستُ رجلَ مَقالاتٍ أنا
ترَوْنَ حَالي عَياناً ، إن غدَتْ آذانُكم عيونا (٤)

يَدي مُدَلاةٌ كالشّجر ، أجوبُ الفَلَكَ كالقمرْ
فلكي بلَوْنِ الأرضِ ، أطهرُ من فلك السّما (٥)

أيها العارفُ الحَاكي ، خَبّرني كي أدْعُوَ لكَ
فأنا أغْدو كلّ سَحَرٍ ، نَشْوانَ ثملاً وقْتَ الدُّعا

لاعَيبَ في مرقَعة وخِرقةٍ مَنكَ نلتُها
وما وَصلني من السُّلطان قَسَمْتهُ ، النصفُ لي والنصفُ لك صِرفا

---

(٣) إنما يُعثر على الكنوز في الخرابات غالباً.

(٤) يعني : سوف تتمكنون من إدراك حالتي الوجودية الروحية حين تصبح آذانكم قادرة على الرؤية ، بمعنى أن هذا الحال لايوصف باللسان بل لابد لك من معاينته ومشاهدته .

(٥) فمع أني ترابي خلقني الله من تراب الأرض إلا أن فلك وجودي أطهر من فلك السماء نفسها بسبب النفخة الإلهية التي حباني الله بها ، لقوله تعالى عن خلق الإنسان : ﴿ فإذا سوّيتهُ ونفختُ فيه من روحي ... ﴾ (الحجر : ٢٩ وسورة ص : ٧٢).

كفُ السُلطان يناولُني قدحَ القدَم وكأسَه
وعينُ الشَمس تَسألُني جُرعةً منهُ تَسوُلا (٦)

أنا الصامتُ متعبُ الخلْق ، أيها العارفُ النْاطق خبّرني
فَنفسُكَ نَفسُ داود ، وأنا كالجبل حين أوّب أوبْا (٧)

* * *

---

(٦) إشارة إلى أن الخلائق كلها - حتى الشمس نفسها - تغبط الإنسان على تكريم الله -تعالى - له.

(٧) في الأصل : وأنا كالجبل أتحرك من مكاني . والإشارة إلى قصة داود - عليه السلام - حين كان يرتل مزاميره بصوت شجيّ فترجّع الجبال معه ترتيله والطير ، لقوله تعالى : ﴿يا جبال أوّبي معه والطير .... ﴾(سورة سبأ : ١٠) .

(١٩) *

آهِ ، فصَدْرُ القصرِ (١) لا يُؤذِنُ لنا بالمثُول ،
لا يُتيح محرمِ الرّوح أن يكونَ مَحْرَمَ أسْراري

لُطفُه ، وحسنُه ، وجلالُه ، وحدَةُ النارِ في نظْرتِه
سؤالهُ شبيهُ السُّكر ، أخَذْتني فلَم يُفْلِتنني

قال لي : "أين حبُّك ؟ أين لونُك ؟ أين مَجدك وجَلَدُك ؟
آهِ ، ساعةَ الرؤيةِ كيفَ يَبْقى اللونُ والرائحةُ مِنّي

غريقٌ أنا في بَحرِ كَرَمه ، عبدٌ أنا لأنفاس صُبحٍ
فيه تلك الوردةُ العَطِرةُ صَوبَ الرَّوض تَجذبُني

كلَ من اتّخذَ سبيلَه في النّهر ، وثَوبُهُ عليه مُحكَمْ . . .
فكمْ من عَنتٍ ألقى وكَمْ تثقُل الخرقة والعمامةِ عليّ

الـمُلكُ وأسبابُ النِّعَم ، وذواتُ الوَجه القمَري شبيهاتُ السُّكرِ
حقيقةٌ واقعةٌ ، طَالما كانَ الحبيبُ وَفِياً لي

(*) مطلعها : آه كه آن صدرِ سرا مى ندهد بارِ مرا
مى نكند محرمِ جان محرمِ اسرارِ مرا

(١) صدرُ القصر : كبير الحجاب الذين يأذنون للناس بالمثول بحضرة السلطان .

العُدَة والحِرفةُ لكَ ، العلمُ والفكرُ لكَ
الأَسْدُ لَكَ ، الغابةُ والدَّغلُ لَكَ ، يا ظَبْينا التتَري

ينشئُ غيرَ الموجودْ ، ينشئ الموجود ، ينشئ ما لاقلب له ولايد
يقدمُ الخمر ، يُسْكِرُ : خمارِي السّاقي (١)

أيها القلبُ لا تخاتلْ ، لا تُثرْ الفتنةَ والغضَب
لا تشهّرَ بي ، ولا تُفْش على ناصيةِ السُوق أمْري

لاتنبسْ عن الاثنين بحرفٍ ، وَلْ ، ولا تَقُل اثْنين كالثنوي
اطلبْ أصلَ السببِ ، فقد كَفَاني ما شَهِدتُ من آثارِ ، كَفَانى (٢)

* * *

(١) الخمّار الساقى : الشيخ والمرشد الذى يتعهد السالك بالتربية الروحية ، فيقدم له زاداً جديداً من المعرفة ، أوْ يُضفى على مالديه من معرفة أبعاداً أخرى خفية ، ويُعنى غاية العناية بكل ماله صله بالروح ، كى ينتشى السالك فى النهاية ببهجة المعرفة .

(٢) أي لاتكن كالثنوية القائلين بمبدأ النور والظلمة - والخير والشرّ ، وعليك بالتوحيد . وقوله اطلب أصل السبب أى ابحث عن أصل السبب ، أى ابحث عن أصل الشيئين : الخير والشر ، فلست بحاجة إلى الآثار .

(٢٠) *

بشفته ما أحلى الكلام والسماع وما جرى ،
سيما حين يفتح الباب ويهتف : سيدى ، هلم أقبل علينا

بشفة جافة يحكي قصة عين ماء الخضر (١)
وخياط عشقه يحيك على قد كل امرئ عبا

العيون تسكر من سكرات عينه السكرى (٢)
الشجر يرقص للطف ريح الصبا

يقول البلبل لشجرة الورد : "ماذا يضمر قلبك
أبسطى القول الآن ، فليس هناك أحد ، أنت وأنا ، ليس إلا

تقول : «طالما أنت معك ، فلا ترم هذا أبدا
اجهد كي تحمل من هذا القصر متاع "أنت" »

(*) مطلعها : بالب او چه خوش بود گفت وشنيد وما جرا
خاصه كه در گشايد وگويد : "خواجه ! اندرا "

(١) عين ماء الخضر : ماء الحياة ، من يشرب منها ينال الخلود ولا يدركه الموت.

(٢) نظرة الشيخ وحدها تحدث الوجد فى قلوب المريدين.

فاعْلَمْ عِلمَ اليَقِينِ أنْ ثُقْبَ إبرةِ الهَوَسِ بالغُ الضّيق

لايسمحُ بوُلوجِ الحبْلِ حينَ يبدو مُزْدَوَجا (٣)

* * *

(٣) يعنى أن الشيخ والمريد كلاهما واحدٌ فى طريق العشق. (راجع المقدمة، ص٢٨-٢٩).

أنّى لنا في العالمين بأميرٍ لطيفٍ مليحٍ كأميرنا
لم يتقطّبْ له جبينٌ (١) مع أنه رأى مائة ذنبٍ وخطا

افتحْ العينَ وطالع الوجْهَ ، ارتكبْ الجُرمَ وانظر الطّبع (٢)
انظر طبعاً كأنه ماء الغدير ، كُلُّه ندىً وصفا

أنا من سلامه الحار وترحابه ، ذُبتُ منه خجلاً
فمِنْ كلامِه النّاعم ، تذوبُ الحجارةُ ذوْبا

احْمِلْ إليه سُمّاً ، يجعلُه أحلى من السُّكّر (٣)
احْمِلْ إليه قهْراً ، يُحيلُه كلّه رِضا

انظر "ماءَ الحياةِ" عندَه ، ولا تخشَ الأجلَ أبدا
لُذْ عنده بالرِّضا ، ولا ترتعدْ من القضا

(•) مطلعها : در دو جهان لطيف وخوش همچو امير ما كجا ؟
ابروى اوگره نشد ، گرچه كه ديد صد خطا

(١) أي لم يستبد به الغضب .

(٢) أي اقترف ماشئت من ذنوب وانظر موقفه وطبعه الحسن منك برغم ذلك .

(٣) يرى جلال الدين أن الأولياء والأقطاب ليس بينهم وبين غيرهم من الناس تجانس ذاتي ؛ فهم يختلفون اختلافا كلياً عن سائر الناس : علمائهم وجهالهم وإن كانوا بشراً مثلهم ، ويتبع هذا التباين تباينٌ آخر في الأحوال والطبائع الجسمانية والروحية ، ويشير جلال الدين هنا إلى ذلك التباين ، فالسمُّ عند الولي سُكّر ، والقهر رضا ، والتذلل إليه هو عين العز . . الخ . (راجع : جلال الدين همائى ، مولوى نامه ، ص٢٤١) .

إنْ تسْجُدْ أمامه ، يعزّك بالسُّجود
حتى لو صِرتَ طَريحاً تحتَ القدَمِ ،كالحصير والبُوريَا (٣)

القلبُ كالحمام إن حلّق طائراً مِن فوق سَطْحِكَ (٤)
كانَ خَيالُ سطحكَ قِبلَةَ روحِهِ فى الهَوَا

أنتَ السَّطحُ وأنت الهوَا ليسَ إلاَّ ، وكلُّ ذهابٍ هَوَسٌ ليسَ إلا
ماءُ الحياةِ روحُك ، والصُّوَر كلُّها سِقا (٥)

لا تذْهَبْ بعيداً ، لا تبْغِ السَّفَرَ ، فقمرُكَ أمامَكَ هاهُنا
لا ترفع الصَّوت ، فهْو يَسْمع تحتَ الشَّفَة منكَ الدُّعا

يَسمعُ دعاءكَ ، وهو يستجيبُ لكَ
قائلاً : « يامَن لا تُعيرنى سَمْعَكَ ، دَعِ الصَّمَمَ وكلُّ سَمْعِكَ أعْطِنا »

---

(٣) البورياء : "الحصير المنسوج .. معرّب" ، القاموس المحيط.
(٤) فالقلب وقد أهبط إلى الأرض يظل أبداً يتطلع إلى العودة إلى أصله ومنطلقه.
(٥) السِّقاء : وعاء من جلد يكون للماء. ولعل الشاعر يريد أن الأصل فى مراحل تطور الإنسان هو البقاء والخلود (ماء الحياة) والصور التى يتبدى فيها الإنسان فى كل مرحلة ليست إلا أوعية وقوالب للروح.
راجع ما نقلناه عن جلال الدين فى ديوانه "المثنوى" فيما سبق ، هامش ص٧٦-٧٧ ، ومقدمة هذا الجزء ص ٣٨ .

لوْ لمْ يكنْ حديثه ولفظه ، لما كانتْ روحك تتأوّهُ
تأوّه ، فآهتك تسلكُ طريقها إلى الله تعالى

تروقُ ليَ السّواقي حين تدوُر ، فبها أرْوِي البُستانَ
تنضجُ الثمار بماء الرُّوح ، النّابعة من السّبخةِ والحجرِ والحصا

استحالَ الروضُ أصفرَ ذاوياً ، لعلّهُ يشربُ من ماءِ الرُّوح
فقال للغصن المنكسرِ : " اشرب الماء مُجرّبا "

الليلُ يمْضى ، فهلمَّ بنا إلى الحضْرةِ كيْ نسمعَ حديثَ الملكِ ،
قفِ الليلَ - طولَ الليلِ - قائماً على قدميكَ حتى السّحرِ ،
كالقمرِ في السّما

* * *

• (٢٢)

أيها القلبُ ، لا تتأخر لحظةً عن وقت السَّعْدِ والإقبالِ والهنا
ارتشفْ رِيقَ العناقيدِ تارةً ، وامضغْ السُّكَّرَ تارةً أخرى

هُوَ (١) في الباطنِ كالعقل الكُلِّي (٢)، وفي الظَّاهر كُوزٌ مِنْ الطينْ (٣)
تارةً إلهامٌ بِأمرِ «قُل» (٤) ، وتارةً تشريفٌ بـ «أعطينا» (٥)

تصَوُّرات رُوحانية ، فرحٌ بغيرِ نَدم
في خفاءٍ عن الحرب والسِّلم ، مِن سِرِّ «السرَّ وأخفى» (٦)

القَسماتُ المليحة بِكلِّ وجهٍ ، قطرةٌ من ذاكَ البَحرِ
كيفَ يرتوِي بقطرةٍ ، مَن يعاني داء الاستسقا ؟ (٧)

أيها القلبُ ، لَكَ مخرجٌ من هذى السُّجونِ الضَّيقَة إلى باحاتٍ فَسِيحَة
أوَ قدْ وهَنْتَ ، أوَ تظنُّ ألاَّ قدمَ لك .

(*) مطلعها : از ابن اقبالگاه خوش مشو يك دم دلا تنها
دمى مى نوش باده ى جان ويك لحظه شكر مى خا

(١) يعنى الإنسان فى حقيقته. (٢) كناية عن جبريل .

(٣) أى جسد من تراب. (٤) قل : مستهل آيات كثيرة من القرآن .

(٥) أعطيناك : إشارة إلى قوله تعالى للرسول ﷺ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (الكوثر : ١).

(٦) "السرّ وأخفى" إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إنه يعلم السرّ وأخفى﴾ (سورة طه، آية ٧).

(٧) الجمال فى العالم انعكاس لجمال الحق تعالى ، وهو مجرد انعكاس لا يُعد إلا طيفا وجزءاً واحداً من مائة جزء من الأصل ؛ فمن ذا الذى يقنع بالجزء عن الكل ، وبخاصة إذا استبد به الشوق إلى الجمال الحق.

أغمضتَ كلتا عينيك ، وتقولُ : "أين النّهارُ المُنير ؟"
تصفحُ الشّمسُ (٨) عينك قائلة : "افتح الباب ، ها أنذا"

من هذه النّاحية تُجذبُ ، ومن تلك النّاحية تُجذب
لاتمض أيها النقيّ بشئٍ عكرٍ ، حلّقْ من هذا العكر ، اصعد إلى العُلا

كلُّ ما تُخفيه من فكرٍ ، هُناك في جوف الصّدْر
يصاعدُ من القلب لونُ ووسْمُ الفكرِ ، فيغشى الوجهَ بلا خفا

ضميرُ كلِّ شجرةٍ أيها الحبيبُ ، يظهر مما تشربُ كل بذْرةٍ بُذِرت
فتبدو على الفُروع والأغصانِ ، نتيجةُ شُربها حتْماً

فمن الحبُّ ما إذا شَرِب التفّاحَ ، نمتْ منه للتفّاح أوراقٌ
ومن الحبِّ ما إذا شَرِب التّمر ، نما في أعاليه البلحُ رطْباً جنيّا

* * *

(٨) لعل الشاعر يشير هنا إلى شيخه ومرشده شمس الدين التبريزى الذى يعدّه شمساً حقيقية تتبدد بها الظلمات ويتضح بنورها ملامحُ عالم جديد .

(٢٣) *

جاءَ الربيعُ جاءَ الربيعُ ، فَسلِّمْ على السُّكارَى
قَد أتى مِن نبيِّ الحِسان ، بِرِسالة إلى السُّكارى

روَى لسانُ السَّوْسَنِ عن الساقي كراماتِ السُّكارى
حينَ سَمِعَ السَّرو من السَّوسَن ، انتصَبَ قائماً للسُّكارى

ومنذُ البِدايةِ بَعثَر الرَّوضُ في المجلسِ النُّقلَ
حينَ شاهد الشَقائق الجبليّة (١) قد أتت بقدحٍ للسَكارى

بِسَبَبٍ من بُكاءِ سَحابِ نيسانَ ، احْتَالَ نَفَسُ الشِّتاءِ البارِدِ
فاسْتَدرج من السِّتْر إلى الفَخِّ أولئكَ السُّكارَى

ارْتشفُوا سُقاهم ربُّهم (٢) ، ففقدوا كلَّ وَقارٍ وحُرمَة
حين جاءت رسالةَ الساقي بِمَ سَمّى السُّكارى (٣)

(*) مطلعها : بهار آمد ، بهار آمد سلام آورد مستان را
از آن پيغامبر خوبان پيام آورد مستان را

(١) الشقائق : زهور كبيرة حمراء قانية .

(٢) تضمين من قول الله تعالى : ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ (الإنسان : ٢١).

(٣) أى حين ذكر الساقى أسماءهم فى جمع من الأخيار.

ادْخُل رَوْضَةَ الباقى ، اصْعَدْ إلى السَّطح ، فالسَّاقى
أتى من دارِ الغَيبِ الخفيَّة برسالةٍ للسُّكارى

إذا ارْتدى الحِسَانُ الحُلل ، فادخل الروضَ وَسَرِّحْ الطَّرْفَ
تلْقى السَّاقىَ وقد أوْفى على التَّمامِ للسَّكارى

قد أتى للأرواحِ بالرَّبيع ، ولَفتَنا صَوبَ الحَبيب
فانظُر أىَّ سَعادةٍ أتى بها ، مِنْ بَينِ ما أتى للسُّكارى

من قبلِ شمسِ الدين التَّبريزىّ ، جَاء ساقى السَّعد فَجْأةً
فقدَمَ - فى القَدَحِ السُّلطانى الخَاصّ - خمراً خَالِصاً للسُّكارى

* * *

* (٢٤)

إنْ لمْ تكُنْ طَالباً ، فصِرْ طالباً معَنا
إنْ لمْ تكُنْ مُطرِباً ، فَصِرْ مطرِباً مَعَنا

ولَو كُنتَ قَارُونَ ، فصِرْ في العشْقِ مُفلِسا
وإنْ كنتَ سَيِّداً مهاباً ، فصِرْ عَبْداً مَعَنا

شَمْعَةٌ واحدةٌ مِن هذا المجلسِ تُضيءُ من الشُموع أَلْفًا
أيّاً ما كُنتَ مُطفأً أو حيّاً ، فأنت تغدو مُنيراً معنا

تُسْرِعُ أقدامُكَ في المَسير ، يُشِعُّ منكَ النّورُ
وقد تَغدُو بأجْمعكَ ورداً ، دائم الضّحكِ مَعَنا

أقْبلْ بخِرْقَةٍ باليةٍ حِيناً ، كيْ ترى القُلوبَ الحَيَّةَ فينا
اطْرَحِ الحريرَ الأطلسَ جانباً ، وصِرْ في خِرْقَةٍ باليةٍ معنا

حينَ أصْبحتْ الحبّةُ ملقاةً ، نمَتْ ، ثُمّ شجرةً صَارتْ
إنْ أنتَ أدركتَ هذا الرّمزَ ، صرتَ مُلقىً مَعَنا

(*) مطلعها : گر زانكه نى طالب ، جوينده شوى با ما
ور زانكه نى مطرب ، گوينده شوى با ما

يقولُ شمس الحق التبريزى لبُرعُمة القلب
إن تفتَّحتْ عينُكِ ، صِرتِ بَصيرةً مَعَنا

* * *

(٢٥) *

أيها السَّيدُ ، ألاَ ترى أمامكَ يومَ القيامةْ (١) ؟
أيها السَّيدُ ، ألاَ ترى هذا القدَّ الفارعَ والقامةْ ؟

جدارُ البيت والبابُ ، فى هياجٍ وجُنون
هَا أنَا ذا فوق الجدارِ كدليلٍ وعَلامَةْ

القمرُ الذى لا يَنْحفُ أبَداً بالتجوال (٢)
قد مزقَتْ شمسُ جَمالِه كلَّ ظَلامَةْ

أيها السيّد طَاهرُ الذَّيْلِ (٣) ، أمجنونٌ أنتَ أمْ أنا
تجرّعْ مَعى قَدَحاً ، ودَعِ العُتْبى والملاَمَةْ

قَدْ كانَ قبلكَ كثيرٌ ممن ينشُدُ الكراماتْ
فلماَ رأى وَجْه السَّاقى ، أحْرقَ كلَّ كرامةْ

* * *

(*) مطلعها : اى خواجه نمى بينى اين روز قيامت را
اى خواجه نمى بينى اين خوش قد وقامت را ؟

(١) القيامة : هى التسليم الكامل، بالتخلّى عن الشّهوات، ويُرمز إليها بالولادة الثانية. (فرهنگ ديوان شمس تبريزى).

(٢) على عكس القمر فى السماء الذى يتحول ويصبح نحيفاً بعد أن يكتمل تماماً ، ولعله يريد به شيخه شمس الدين التبريزى الذى كان دائم التجوال من بلد إلى بلد يُشعّ بنور الحق فيبدد الظلام حيثما حلّ .

(٣) على سبيل السخرية والتهكم .

(٢٦) *

أيُّها السَّاقى الحَبيب ، املأ ذلكَ القدحَ المقَّدمَ
قاطعَ طريقِ القَلْبِ ، كاشفَ طريقِ الدِّينْ

فما يَصْدُرُ عن القَلْب ويمتزجُ بالرُّوح
فَوَرَانهُ يُسْكِرُ العينَ الَّتىِ ترى الله ربٌّ العالمين

تلكَ خمرٌ (١) مِن كَرْمٍ لأُمّة عيسى
وهَذه خمرٌ مِنْ مَنْصُورٍ لأمّةِ «ياسين» (٢)

مِن تلكَ الخَمرِ دِنانٌ ، مِن هَذه الخَمرِ دِنانْ
لا تَذُق هذه أبداً ، ما لم تحطّم تلكَ الدنانْ

(*) مطلعها : اى ساقى جان پُر كُن آن ساغرِ پيشين را
آن راهزنِ دل را راهبُر دين را

(١) يعنى : تلك خمر يتمّ استخراجها من العنب والكروم قد أحلّتها طائفة تنسب نفسها إلى المسيح - عليه السلام - أما هذه الخمر فهى تعبير عن الشوق والجذبة التى بدت فى الحسين بن منصور الحلاج ، ولم يكن يرى - مع استغراقه فى الحب الإلهى - لنفسه وجوداً ، فأخذ ينادى «أنا الحق» ، وهو ما أفضى به إلى حبل المشنقة ، حيث أعُدم وأحرق وأخذ رماده وألقى فى نهر دجلة ، ويبدو المنصور فى الأدب الصوفى وكأنه أسطورة الحب الخالص .

(٢) «ياسين» ، مستهل السورة رقم ٣٦ من القرآن الكريم ، وهى إشارة إلى النبى محمد ﷺ .

تلكَ خَمْرٌ ، لا تُخلي القلبَ من الغَم إلاّ بُرهَةً
لا تقْتلُ الغَمَ إلى الأبد ، لا تقْتُلُ العَداءَ ولا الحِقد الدَّفِينْ

قطرةٌ واحدةٌ من هَذا القَدحَ تجعَلكَ ذا ثروة جَمَّة الوفْرِ
رُوحى فِداءٌ لهذا القدح الذّهبيِّ الثمينْ

هَذا الحالُ إنْ حَدَثْ ، يَحدُثُ غَالباً عند السَّحَر
لِمن هجرَ لينَ الفراشِ وأسْهَدَ الجُفونْ

إنْ أصابَكَ بالوَجْهِ جُرحٌ ، فجديرٌ أن ترومَ جُرحاً آخَرَ
فما عَسى رستمَ (٣) أنْ يَصْنَعَ فى مَيْدانِ الوَغى ، بباقَةِ وَرْدٍ وياسمينْ

* * *

(٣) رستم ، البطل الفارسى المغوار ، وكان يُحسن الاستعداد للمعارك حتى لا يُمنى بالهزيمة.

• (٢٧)

صارتْ العاهرُ صالحةَ خيِّرةً ، ولْيكن ما يكونْ
كفرُها كُلُّهُ تحولَ إلى إيمان ، ولْيكنْ ما يكونْ

المُلكُ الذي اضطربْ ، استحوذ عليه الشيطانُ للأسفْ
ثم عاد من جديدٍ لسُليمانْ (١) ، وليكُنْ ما يكونْ

الحبيبُ الذي كانَ يوجِعُ قلْبي ، وكان مُعلَّقاً فوق وَجْهِنا لا يَبْرَحْ
قد أصْبَحَ الآنَ شفيقاً بالخلاَنْ ، وليكُنْ ما يكونْ

بتلك الطَّلعَة المُلوكيَّةْ ، بتلك الشُّعلة التي أضاءتْ جنباتِ الدَّار
تحولَ كلُّ ركنٍ إلى ميدانْ ، وليكُنْ ما يكونْ

بغضبه المُراوغْ ، بأسلُوبه العذْب الرَّائعْ
تحول العالمُ إلى أقاليم للسُكْرِ وجنانْ ، وليكُنْ ما يكونْ

(*) مطلعها : معشوقه بسامان شد ، تا باد چنين بادا
كفرش همه ايمان شد ، تا باد چنين بادا

(١) إشارة إلى قصة ضياع خاتم سليمان ، وكان الخاتم قد وقع في يد أحد الشياطين فاغتصب مُلك سليمان ، وأخيراً عاد الملك إليه .

يقول حافظ الشيرازي :

من آن نگين سليمان به هيچ نستانم كه گاه گاه براو دست اهرمن باشد

ومعناه :

لا يلزمني خاتم سليمان بشئ ، إذ ربما يقع ذات مرة في يد الشيطان

ذَهبَ الليلُ وجاءَ الصُبوحْ ، ذَهبَ الأسى وأقبلتِ الفتوحْ
أضاءتْ الشمسُ سائرَ الأركانْ ، وليكُنْ ما يكونْ

بسَعادَةِ المحزُونينْ ، بهمَّةِ المجانينْ
تحرُكتْ تلك السلسلَةُ بغيرِ توانٍ ، وليكُنْ مَا يكونْ

جاءَ العيدُ وجاءَ العيدُ ، جاءَ الحبيبُ الذى جرى منّا لبعيدْ(٢)
غدَا العيدُ عيدانْ ، وليكُنْ مَا يكونْ

انظرِ الرّيحَ فى الجوّ ، من هوى الشُفة العَذْبة
راحَ مع النَّاىِ يُغنّى الألحانْ ، وليكُنْ مَا يكونْ

فرعَونُ برغم ذاك الجَبرُوتْ ، ومع كُلِّ سُوءِ الحظْ والطّاغُوتْ
هَا قدْ صارَ مُوسى بن عمرانْ (٣) ، وليكُنْ مَا يكونْ

ذَلك الذئبُ، برغم الضَراوة والقُبح ، وبرغم الجهلِ والبَطشِ
هَا قد صَار يُوسفَ بنَ كنعانْ (٤) ، وليكُنْ مَا يكونْ

---

(٢) لعله يشير هنا إلى عودة شمس الدين بعد اختفائه المفاجئ.

(٣) إشارة إلى إيمان فرعون عند غرقه فى اليمّ .

(٤) إشارة إلى إدعاء إخوة يوسف – بعد أن ألقوه فى الجُبّ – أن الذئب قد أكله ، ولو كان الذئب قد أكله حقاً – كما زعموا – فانظر كيف صار الذئب يوسف عليه السلام .

شَمْسَ الحقَّ التبريزىَّ ، من فرط ما بكَ مِن عطفٍ وإحسانْ
صَارتْ تبريزُ خُراسانْ (٥) ، وليكُنْ مَا يكونْ

غدَا الآنَ نفسُكَ ربانياً ، بفضْلِ أسْلمَ شيطانى (٦)
فصَارَ مُسْلماً ذلك الشيطانْ ، وليكُنْ مَا يكونْ

حِينَ أضاءَ ذَاكَ القمرُ ، غدا الكَوْنانِ روضةْ
صارتْ أرواحاً تلكَ الأبْدانْ (٧) ، وليكُنْ مَا يكونْ

---

(٥) صارت تبريز التى تقع فى الشمال الغربى من إيران - والتى ينتمى إليها شمس الدين - خراسان التى تقع فى الشرق ، وتشرق منها الشمس .

(٦) إشارة إلى قول النبى - صلى الله عليه وسلم - « ... ولكن الله أعانني عليه (يعنى الشيطان) فأسلم » (مسند ابن حنبل ، ١ :٣٨٥) وقد لفت هذا الحديث نظر العديد من شعراء الفرس ؛ فقد جاء فى شعر ناصر خسرو :

آن ديو را كه در تن وجان من است   بارى به تيغ عقل مسلمان كُنم

يعنى ذلك الشيطان الذى يجرى من جسدى وروحى مجرى الدم ، بوسعى أن أجعله مسلماً بسيف العقل .

ويقول سنائى الغزنوى :

ديوى كه بر آن كفر همى داشت مراورا   آن ديو مسلمان شد تا باد چنين بادا

الشيطان الذى ظل يحمله على الكفر ، أصبح ذلك الشيطان مسلماً ، وليكن ما يكون

(٧) البدن هو القالب الظاهرى لروح الانسان . ويعنى أن الظواهر المادية اكتسبت صفات روحية .

لقد تقدّمتَ على الرُّوح ، حتّى كُنتَ كيفما كُنتَ (٨)
أشرقَ قدْرُكَ وبالغَ في اللّمعَانْ ، وليكُنْ ما يكونْ

صارَ قهْرهُ رحْمةً ، صارَ سُمُّه بأجْمعه عذباً فُراتاً
نثرَ سحابُهُ السُّكْرَ والرَّيْحانْ (٩) ، وليكُنْ ما يكونْ

حينَ أصبَحَ الأرضيُّ سَماوياً ، غَدا مقصُودَ السَّنا (١٠)
كَانَ هذا قبلاً فصارَ كُلُّه ذاكَ (١١) الآنْ ، وليكُنْ ما يكونْ

صه ، فأنا ثملٌ ، قد أوثقَ امرؤٌ يدى
صارَ الفكرُ مشتتاً حيْرانْ ، وليكُنْ ما يكونْ

* * *

---

(٨) إشارة إلى المعراج النبوى ، حين قال الروح (جبريل عليه السلام) للرسول - صلى الله عليه وسلم - عند سدرة المنتهى تقدم يا محمد . فظهر عند ذاك قدر الإنسان وبدا ما يحظى به من مكانة وتشريف عند الحق تعالى ، حتى على الملائكة المقربين .

(٩) نعم ، لقد أعطى معراج النبى - صلى الله عليه وسلم - الأمل للإنسانية ، فحلّ الرجاء محلّ الخوف والرهبة .

(١٠) حين علا الإنسان وارتفع على جذب المادة وجذب التراب أحبّه الحق تعالى .

(١١) ذاك : إشارة إلى حالة لايمكن التعبير عنها أو وصفها بالكلمات ، وإنما تعرف بالذوق . (انظر فرهنگ ديوان شمس) .

(٢٨) *

جئْت سَعيداً ياذا الوجْه القَمَرى ، يا سَعادةَ الروُح أقْبل سَعيدا
أمَا وقد كانَ ما كانَ ، فَلْيكُنْ مَا يكونْ

يا وَجْهَ كُلْ سَعْد ، أنتَ فى قَلْبنا ذِكْرى
يَا وَجْهَ العِشقِ الكُلّى ، تعالَ وكُنْ فى قَلْبنَا ذِكْرى

حلِّقْ خارجاً عن هَذه الطُّفولَة (١)، خلِّصْنا أيها الحَبيب
مِن مِنَّةِ كُلْ مُربٍ ، ومِن غصَّةِ كلْ مربِّية خلِّصْنا

مِن الحُزنْ أنْشبنَا أظَافرنَا فى الأحبَّة منّا والوُجُوهْ
أيها الدُّفُ عليك بالأنينِ من القَلب ، ويا أيُّها النَّاىُ تَعالَ صَارخاً إلَينا(٢)

(*) مطلعها : شاد آمدى اى مه رو ، اى شادى جان شادآ

تابود چنين بودى ، تا باد چنان بادا

(١) لعله يعنى بالطفولة الإحساس السّاذج بالحياة، ويتمنى بلوغ مرحلة الإدراك والوعى الحق.

(٢) الدُّفُ يدق كما يدق القلب تعبيراً عن الأنين المتواصل، أما الناى (وهو عبارة عن قصبة من الغاب قد قُطعت من منبتها، فهو من هذه الناحية شبيه بنا فنحن مثله قد انقطعنا عن أصلنا) فنحن إنما ندعوه لأنه يعانى ما نعانيه.

أيُها القلبُ يا مَنْ أنتَ مليحٌ جَميلٌ، صِرْ شيرينَ، صِرْ مَلِكاً لخِسرُو(٣)

فإنْ كُنْتَ خسرو شيرينَ ، فتعالِ كفرْهادَ في العِشْقِ تعالَ

* * *

(٣) شيرين وخسرو وفرهاد : ثلاث شخصيات معروفة في تاريخ الفرس وآدابهم ، وكان الملك «خسرو پرويز» قد تعرّف إلى «شيرين» وأراد زواجها ، كما كان يحبها المهندس «فرهاد» الذي كُلِّف من قبل خسرو بقطع أخدود في الصخر الصلد لكي يمر منه الماء إلى أعلى الجبل ، ووعده إن هو أتمّ مهمته أن يزوّجه من شيرين ، ولكن تناهى إلى سمع فرهاد نبأ كاذب مفاده أن حبيبته شيرين قد قضت نحبها ، فألقى بنفسه من فوق الجبل الذي كان قد أتم فيه لتوّه مشروعه الكبير فمات ، وانتهى الأمر بزواج خسرو بشيرين. وفرهاد هنا رمز للإخلاص والعزيمة .

* (٢٩)

استمِعْ نَصيحةً منىَ ، أتريُد ألاَّ تفتَضحْ
فأناَ خَمرٌ قد مُزجَ بالأفيون (١) ، فحاذر أن تَنزْعَ الغطاءَ عنَّا

أضْرِمْ فِيَّ ناراً ، فما عَساهَا تَصنَعُ بى ؟
فَقَد أضرمْتُ فى السَّماءِ ، مائةَ نارٍ ومائة شجارٍ قدَمًا (٢)

لو صَارت السَّماءُ كُلُّها رأساً ، وصارت الأرضُ كُلُّها قَدَماً
فلسْتُ بتاركٍ رأسَ ذاكَ ، ولا أنا بتاركٍ قَدَمَ ذَا

«يَا صافيةَ الخَمْر فى آنيةِ المَوْلَى
أسْكِرْ نفراً لُدَّاً ، والسُّكْرُ بنا أوْلَى» (٣)

* * *

(*) مطلعها : يك پند زمن بشنو ، خواهى نشوى رسوا
منْ خمرهء افيونم ، زنهار سرم مگشا

(١) يعنى الإغراقُ فى السُّكر ، ولتحقيق هذا الإغراق كان مدمنو الخمر يضعون الأفيون فيه.

(٢) قدماً : أى منذ القدم ، وفيه إشارة إلى جعل آدم فى الأرض خليفة ، وتعجب الملائكة لذلك ، وعصيان إبليس أمر الحق - تعالى - بالسجود لآدم ، وما كان من احتيال الشيطان لإخراج آدم من الجنة ، ووعد الحق - تعالى - لآدم ، ووعيده لإبليس .

(٣) البيت بالعربية ، وقد استخدم جلال الدين لفظ : أسْكِرْ بدلاً من أسْكِرِى .

(٣٠) *

حبّذا العشقُ ، حبّذا العشقُ لنا ياربّنا
ما أبدعَهُ ، ما أروعَه ، وما أحسَنَهُ ياربّنا

بماء الحياة (١) نُديرُ نحنُ السّماواتِ العُلا
لا بالكفِ ولا بالنّاى ولا بالدُّفِ ، ياربّنا

أبو العَروس في العُرس يتوارى بيقين(٢)
حين تتهيأ الأسبابُ لنثرِ السُّكّر والحلوى ، يارَبْنا

إنْ حلّ خيالُه بعقلٍ أو لُبٍ
فما أعقلهُ وما أبْدعَهُ وما أبصرَهُ ، يارَبْنا

إنْ أنّ الجسدُ أنيناً ، من همِّ الخسارةِ والكسْبِ
فذاك منك أنتَ ، فقدْ نفختَ ، لا من النّاى ، يارَبْنا

(*) مطلعها : زهى عشق ، زهى عشق كه ما راست خُدايا
چه نغز است ، وچه خوب است ، چه زيباست ! خدايا

(١) ماء الحياة : الخلود الذى وُعد به الإنسان عبر حيواته المختلفة .

(٢) لعلّ جلال الدين يحاول بهذا البيت أن يفسّر سبب الاختفاء المفاجئ لشيخه شمس الدين ، فربما اختفى وتوارى بعد أن اطمأن إلى أنه قد وضع أقدام صاحبه على طريق السعادة .

بكفك صنعت ناى الجسد ، مليئاً بالثقوب
فهو عن هذا الأنين والصخب ، لا يكف أبداً يا ربنا

وما أدرى الناى المسكين باللحن والإيقاع
إنما النافخ هو البصير وهو الخبير ، يا ربنا

أى نور سرى فى الخميلة والروض ، من كر السكارى وفرهم
وأى سرور وأى نشوة بالحب ، يا ربنا

من انعكاس وجه الحبيب ، فى هذا الروض النضيد
بكل ناحية قمر ، وشمس ، ونجم ، يتألق ، يا ربنا

نحن كالسيل ، كالنهر ، كلنا إليك نمضى قدما
فالبحر مصب لكل سيل جارف ، يا ربنا

بفضل شمس الحق التبريزى ، توله القلب
وهامت الروح ، وحارت العينان فى الحب ، يا ربنا

* * *

أما أن شمس الدين التبريزى كان أُمّياً - كما يقول نيكلسون - فهذا ما لاسبيل إلى قبوله ، فلشمس الدين كتاب يضم ما أُثر عنه من أقوال يُسمى «مقالات» (١) ، يتبين منه أن شمس الدين كان متبحِّراً فى العلوم الدينية فضلاً عن درايته الواسعة بآراء المتكلمين والفلاسفة ، مما جعله يوجِّه إليهم فى كتابه المذكور الكثير من الانتقادات والعديد من المطاعن ، كما يشتمل الكتاب على تحليل لعقائد الفرق المختلفة ، وأبيات لشعراء من العرب والفرس ، ونظرة نقدية واعية للعلوم الرائجة فى عصره ، وعناية بالأحداث التاريخية ودلالتها ؛ مما لا يمكن القول معه بأن الرجل كان أُمّياً .

وقد اختلف أقوال الرواة اختلافاً كبيراً فى تحديد نسب شمس الدين ، ولا نجد من بين هذه الأقوال ما يمكن الاستناد إليه والوقوف عنده . ويذكر «الأفلاكى» (٢) وهو يعرِّفنا بشمس الدين أن «اسمه محمد بن على بن مُلكْ داد» .

وتبدو حياة شمس الدين غامضة كل الغموض ، لكننا نستطيع أن نقف على لمحات يسيرة من سيرته من خلال كتابه «مقالات» .

فهو يذكر فى كتابه أنه كان واحداً من مريدى «أبى بكر سلّه باف» ، يقول : «كان لى شيخ اسمه أبو بكر بمدينة تبريز ، كان يصنع السِّلال ، وقد تحصَّل لى منه الكثير من الإفاضات ، لكنْ ، كان بأعماقى شئ لم يكن

---

(١) طبع فى طهران سنة ١٣٤٩ هـ.ش (١٩٧٠م) ، بتحقيق الأستاذ أحمد خوشنويس (عماد) .

(٢) هو شمس الدين أحمد الأفلاكى ، شرع فى تأليف كتابه المسمى «مناقب العارفين» بالفارسية عن سيرة جلال الدين الرومى سنة ٧١٨ هـ/١٣١٨م ، أى بعد وفاة جلال الدين بنحو خمس وأربعين سنة .

شيخى يراه، ولم يكن أحد قد رآه من قبل؛ ذلك الشئ قد رآه مولانا (يعنى جلال الدين)». ويضيف قائلا وهو يخاطب جلال الدين: «وما فعلتُه لأجلك لم أفعله لشيخى، وفارقتُه قهراً، وكان يقول: أنا الشيخ».

ونستطيع أن ندرك من العبارة الأخيرة أن شمس الدين ترك شيخه مُغضَباً. وكان هذا دأب شمس الدين مع كل من رآه من شيوخ عصره، الذين لم يستطع أحد منهم أن يستولى على لُبّه أو يُخضعه لتعاليمه. وهو حين يتحدّث عن أىٍّ منهم يعدّ نفسه أعلى منه مقاماً وأرسخ قدماً، اللهم إلا جلال الدين.

وربما كان هذا هو الأمر الذى جعل شمس الدين يتورَّع عن أن ينتسب إلى فرقة من الفرق أو طريقة من الطرق ويتقيَّد برسومها ويلتزم تقاليدها، وإنما كان مرجعه دائماً إلى النَّبع الصافى كى يرتوى منه، كما أشار هو قائلاً: «كل امرئ يتحدث عن شيخه، لقد أعطانا الرسول ﷺ الخرقة فى الرؤيا، وما هى بتلك الخرقة التى تَرِثُّ وتَبْلَى بعد يومين ويَستَنْجى بها الناس فى الخلاء، بل هى خرقة الصُّحبة، الصُّحبة التى لا يحتويها الفهم، الصُّحبة التى تصنع ما تصنع الأمس واليوم وغدا»(١)

وقد ذكر شمس الدين فى كتابه «مقالات» عدداً من كبار شيوخ عصره لم يكن يوافقهم على آرائهم، وأخذ ينتقد طرقهم وسلوكهم الواحد تلو الآخر، كالشيخ صدر الدين القونيوى(٢) وأوحد الدين الكرمانى(٣)،

(١) مقالات، طبع عماد، ص ٥٩.

(٢) انظر: «مقالات»، ص ٢٥٢، وهو محمد بن اسحاق، أحد كبار تلامذة ابن عربى، كانت بينه وبين جلال الدين لقاءات وتقدير متبادل، توفى ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤م.

(٣) مقالات، ٣٤٧-٣٤٨، صحب ابن عربى زمنا، وكان من مشاهير مشايخ الصوفية فى عصره، توفى ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م.

*(٣١)

حَبّذا العشْقُ ، حَبَّذا العشقُ لَنا يَاربَّنا
مَا أبدعَهُ ، ومَا أرْوعَهُ ، ومَا أجْملهُ ، يَاربَّنا

يالَها من حَرارةٍ فينا ، يالَها مِن حَرارةٍ فينا
مِن عِشقٍ هُو كالشَّمس ، خَفِيَ مَنهُ ما خَفِيَ وظَهرَ مِنه ما ظَهرَ ، ياربّنا

حَبّذا القمرُ ، حَبَّذا القَمرُ ، حَبّذاَ خمرٌ تُصاحبُه
أضْفَتْ على الرّوح والعالم زينةً وبَهَا ، ياربَّنا

حَبّذا الهمَّةُ ، حَبّذا الهمَّةُ التى أثارتْ العالَمَ
حَبّذا العَملُ ، حَبّذا المُثولُ بالحَضْرةِ هَناك ، ياربّنا

قَدْ انْهارَ ، قَد انْهارَ مَلِكُ الفُرسان
حَبّذا الغبارُ، حَبّذا الغبارُ قد ثارَ ، ياربّنا

قد وَقَعْنَا ، قد وَقَعْنا ، فَلا تَقُومُ قَائمةٌ لَنا
لا نَدْرى ، لا نَدرِى ، أىُّ حَدَثٍ جَلَلٍ جرَى ، ياربَّنا

(*) مطلعها : زهى عشق ، زهى عشق كه ماراست ، خدايا
چه نغزست وچه خوبست وچه زيبا ست ! خدايا

من كُلِّ دَرْبٍ ، من كُلِّ دربٍ يَصَّاعَدُ دُخَانٌ ذو لَوْنٍ مُخْتَلِفٌ
تارةً أخرى ، تارَةً أُخرى أىُّ حُبٍّ بَدا ، ياربَّنا

لا أحْبُولَةَ ، ولا سِلْسِلَةَ ، فَلِمَ نحنُ بأسْرِنا مُقَيَّدون ؟
أىُّ قَيْدٍ ، أىَ صَفَدٍ أوثَقَ أقْدامَنَا ، يَا رَبَّنا

أىُّ صورة ، أىُّ صُورةٍ تَتَراءى فى مِقْلاةِ القُلوبِ هَذه
غريبةٌ هى ، غَريبةٌ من أعْلى ، يَاربَّنا .

عليكَ بالصَّمتِ (١) ، عليكَ بالصَّمتِ كَىْ لاَ تَفْتَضِحْ
فالأغيارُ (٢) قد مَلَكوا كلَّ ما حَولَنا (٣) ، يَا رَبَّنا .

* * *

---

(١) فى الأصل : خامو شيد : اصمت . وخاموش هو اللقب الذى اختاره جلال الدين الرومى لنفسه فى الشعر .
(٢) الأغيار : الأجانب ، مَن هم ليسوا أهلاً للاطلاع على أمرنا .
(٣) فى الأصل : الشمال واليمين .

(٣٢)*

فلْنحْرق الحُبَّ والـجُنون
ولنتجرَّعْ كلَّ حينٍ موجَ الدّما

نحنُ نُدَماءَ لِشاربى الخَمْرِ الّلاذعه (١)
لِمَنْ يُمزِّقُونَ سَقْفَ الفَلكِ الأعْلى (٢)

ماذا سَيصْنَعُ السّراجُ الأزَلىُّ بالسَّماوات العُلاَ
وبهذينِ السراجينِ اللّذَينِ قُلبا مَعا (٣)

نَسْخُو بِصَبِّ الخمر السُّلطانىَ صَافياً
لِيجْعَلَ العَقْلَ ذا الفُنونِ يغطُّ فى النّوْمِ غطّا

حِينَ يَغْدو ثَمِلاً ، نُقيمُ عَليهِ الحدَّ
فقد جَاوزَ بالتّزْويرِ والخُرافَةِ الحدَّ جِدًا

(*) مطلعها : بسوزانيم سودا وجنون را
در آشاميم هردم موج خون را

(١) الذين يشربون من الخمر ما يلسعُ الحلق والجوف كى يزدادوا سُكرا ، والخمر هنا تعنى المعرفة.

(٢) فى الأصل : السقف الأخضر ، وهو آخر حدود دائرة الكون والفساد ، التى يدور فيها كل شئ ويفنى.

(٣) يعنى بها الشمس والقمر .

نجعلهُ ذاهلاً ثملا ، كَيْ لا يَعْرِفَ
طريق كيْفَ ، إنْ هُوَ أتَى

لعلْ يا شَمسَ تَبْريز ، ياذَا الكمالِ والتّمّ
كى لا يكونُ ثمّةَ نَقْصٍ ، لِلكافِ والنون (٣) أبدا

* * *

---

(٤) يعنى بالكاف والنون : العالم ، إشارة إلى قوله تعالى : «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس : ٨٢ ، فالوجود لايكون وجوداً حقاً بمجرد عناصره المادية ، وإنما كمال الوجود لايكون إلا بتجلى الروح التى يمثلها رجلٌ من رجال الحقّ مثل شمس تبريز .

* (٣٣)

بَيْنَ طَيّات حِجاب الدّم ، بَدتْ للعشْقِ رياضٌ ومُروجْ
ومع جَمالِ العِشقِ غَيْرِ مُحدَّدِ الكَيْفِ ، بَدَتْ للعُشّاق أحوالٌ وشئون

يَقولُ العَقْلُ ، "الجِهاتُ السّتُ حدٌ حَاجزُ لا طريق وراءه"
يَقولُ العَشق هناك طريق، وقد ذرَعتُه مرّات

رَأى العَقْلُ سُوقاً فشَرعَ فى التّجارة
وَرأى العشقُ وَراءَ سُوقِ العقل أسواقْ

ما أشْبَهَ العَديد مِنَ الأخفياءِ بِمَنْصُور (١) ، ثِقةً مِنهُ فى رُوحِ العِشق
زَهِدَ المَنابِرَ ، واعْتَلى أعوادَ المشانِقْ

للعُشّاق شَارِبى الثُّمالة (٢) فى الحشَاشَة أَذْوَاقْ
وَفىِ قَرارَةَ العُقَلاءِ سُوَدِ القُلوبِ صُنوفٌ مِن الإِنْكَارْ

يقُولُ العَقْلُ : لا تَخطُ خُطْوةً ، فَليسَ فِى الفِنَاءِ سِوَى الشّوك
يَقُولُ العِشْقُ لِلعقْلِ : إِنّما فِيكَ أنتَ الأَشواك

(*) مطلعها : در ميان پرده‌ء عشق را گلزارها
عاشقان را باجمال عشق بيچون كارها

(١) يعنى حسين بن منصور الحلاّج ، والمنبر رمز لعُلّو المقام ، وهو النقطة المقابلة للمشنقة .

(٢) الثمالة : بقايا الخمر فى قاع الكأس .

ـدار ، صَهِ ، انْزعْ شَوْكَ الوُجُودِ من قَوادِمِ القَلْبِ
كيْ ترى فِي أعماقِكَ الرِّياضَ والمرُوجْ

يا شمْسَ تبْريزْ ، أنتِ شَمْسٌ فيِ سَحَابِ الكَلِمْ
حين طلعتْ شَمْسُكَ تَبَدَّدت الأقْوالْ

* * *

* (٣٤)

بالأمسِ أرسَلتُ إليكَ النَّجْم رَسولاً
قُلتُ له : "بلِّغ عَنىَ لَفلَقِ البَدْرِ سَلاَما "

أطَلتُ السُّجودَ ، وقُلتُ : "احْملْ هَذه السَّجدَةَ منِّى لِشمسٍ
يُحيلُ ضِياؤُها الحِجارةَ الصَّمَّاء ذَهَباً صِرْفاً "

شَقَقْتُ عَنْ صَدْرى ، كَشَفتُ لَهُ عن جِراحٍ
قُلتُ لَهُ : " خبِّر عَنىّ الحبيبَ سَفّاكَ الدِّما "

مَضَيتُ أَجُولُ هُنا وهُناكَ كَىْ يَسْكُنَ طِفلُ قَلبى
فالطِّفلُ يَغفو حِينَ يَهزُّ أحدٌ المَهْدَ هزًّا

خَلِّصْ طِفْلَ القَلبِ ، خَلِّص رَضيعَناَ من التَّجْوالْ
يَا مَنْ تَجيرُ كَلَّ حِينٍ مائةً مِثْلى أَناَ المسْكينَ أَناَ

مَدِينةُ وِصَالكَ (١) كَانتْ سَكَنَ القَلْبِ أوَّلَ الأَمْرِ وآخِرهُ
فإلامَ تَحكُمُ بغربةِ هَذَا القَلْبِ الشّرِيد إلامَ

(*) مطلعها : دوش من پيغام كردم سوى تو استاره را
گفتمش : "خدمت رسان از من تو آن مه پاره را"
(١) مدينة الوصال : الجنّة حيث يتاح فيها قربُ الحقّ - تعالى - .

أنا قدْ لَزِمتُ الصَّمتَ ، ولكنْ ياساقىَ العُشّاقِ
أدرْ نَرجِسَ الخْمارةِ دفعاً لِلخِمَارِ (١) عنًّا

* * *

(١) الخمار : أثر الخمر . يطلب الشاعر من الساقى أن يدير النرجس ، أى العيون الناعسة للسكارى بعيداً عنه كى يتخلص من تأثيرها الذى يُتلفُ مهجته .

(٣٥)*

سَائرُ رِفَاقِكَ مِن حَجرْ ، وأنتَ ياقوتٌ ومَرجانٌ ، فلِمَ ؟!
السَّماءُ عند البَرِيَّة جِسمٌ أصمُّ ، وهيَ عندَكَ رُوحٌ مِنَ الرّحمن ، فلِمَ ؟!

إنْ أَقْبلتَ عليَّ شرَعَتْ كلُّ ذَرّةٍ منيّ في التصفيق
وإِنْ مضيتَ أَجْهَشَت كلُّها بالبكاءِ والأنينْ ، فلِمَ ؟

إن تَراءَى خيالُكَ بَدتْ في كُلِّ ذَرَّةٍ منيّ بَسْمةُ الهَنا
وهْي تَغدو مَعَ عدوّك بأَجْمعها قواطِعَ حادَّةً وأسنانْ ، فلِمَ ؟

بغيرِ الخَطّ والخَالِ في طَالعكَ يَبْدو العَقْلُ أُمّياً (١)
فإنْ رأى العقلُ ذاك الخَطَّ منكَ قرأَ بلا تَوانٍ ، فلِمَ ؟

يَقُولُ الجَسَدُ للرّوح : " تَنَصّلي منْ عِشْقِه "
تقولَ له الرّوح : "ولِمَ الحذرُ مِنْ عَيْنِ الحياةِ والحَيَوان (٢) ، لمَ " ؟

وَجْهُكَ نَبيء بجَمال اللهِ وحُسْنه
والرّوحُ لا تُتيحُ لك الإيمانَ بِمثلِ هذا البُرهانْ ، فلِمَ ؟

(*) مطلعها : جمله ياران تو سنگند وتويى مرجان چرا؟
آسمان باجملگان جسم است وبا تو جان چرا؟
(١) يعنى أن العقل لايؤدى المهمة المنوطة به - وهي إدراك المحسوسات - إلا بالمحبة .
(٢) الحيوان : الحياة

أنّى لنا ببُرْهانٍ يَشعُّ بنورٍ يزْهُو على نُورِ وجْهِكَ
فلِمَ لا تَقطعُ مَظاهرُ الكُفْرِ الأكُفَّ (٣) لرؤية يوسفَ بن كَنْعان، لِم ؟

أينما بَذَرْتَ بذرَةً صارت بالضّرورةِ نَبتا
فلِمَ لا يَنبتُ شَئٌ من بِذْرة الإحسانِ ، لِمَ ؟

أينما وُجدتْ خَرابَةٌ وُجِدَ الأملُ فِى ظُهورِ كَنْزٍ
فلِمَ لا تبحْثُ عَن كنزِ الحقّ فى قلبٍ مُهَدّم البُنْيانُ ، لِمَ ؟

لمْ أرَ فى الدّنيا سُوقاً بغيرِ ميزانْ
الكلّ مَوْزونٌ ، فَلمَ العالمُ لَيْسَ له بمِيزان(٤) ، لِمَ ؟

لكُلّ أغْنيةٍ ، أيها القَلبُ . . أولٌ وآخرْ
فكفاكَ ما أنشدْتِ الآنْ ، أمَا لَهذا اللّحن مِن خِتَامٍ ، لِمَ ؟

---

(٣) إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام ، حين شغف امرأة العزيز حُباً فدعت نسوة المدينة وأتت كل واحدة منهن سكيناً ثم نادت يوسف أن اخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ، وقلن حاشا لله ، ما هذا بشراً ، إن هذا إلا ملك كريم.

(٤) لو وُزن العالمُ بالإنسان لرجُحَ الإنسانُ العالمَ .

*(٣٦)

يَاصَبْوةَ قَلْبى وهَوَاهُ ، هَيّا تعَالَ ، أظْهِرْ سَنَا وجْهٍ أوْ جَبِينْ
يا مُرادِى وحَاصلى ، هَيا تعالَ ، أَظْهر سَنا وَجهٍ أو جَبين

أنا مُحْتَبكٌ مشَوّشٌ ، مثلَ طُرَّتكَ ، مثل طُرَّتك
يَا فَتْحَ عُقدتى ، هيّا تعالَ ، أظهِر سَنا وَجهٍ أو جَبين

لاَ تَسلْنى عَنِ طُرقٍ ومَنازلْ ، كفَاكَ حَديثاً ، كَفَاكَ حديثاً
يَا مَنْ أنتَ طَريقيِ ومَنْزلَى ، هَيا تعالَ ، أظْهِر سَنا وَجهٍ أو جَبين

انْتزَعْتَ مِنَ الأرض قَبْضَةً مَنْ طِين ، قَبْضَةً مَنْ طِينْ
بَيْنَ هَذَا الطِّينِ مَوْضَعي ، هَيّا تعالَ ، أَظْهِرَ سَنَا وَجهٍ أو جَبينْ

طَالَما أنَا وَاقِفٌ عَلى الحُسن والقُبح ، أنا وَاقفٌ
فأنَا إِذَنْ عَنْ جَمالِكَ غَافلٌ (١) ، فهَيا تَعالَ ، أظْهْر سَنا وَجهٍ أَو جَبينْ

(*) مطلعها : اى هوسهاى دلم ، بارى بيا ، رويى نما
اى مراد وحاصلم ، بارى بيا ، رويى نما

(١) جمالك حين يستقر في الفؤاد لايُرى معه فى الوجود قبحُ .

إنْ لمْ يحترقْ عقْلي بِعشقِكَ ، بعشْقِكَ
فانا غافلٌ ، لَستُ بعَاقلٍ ، هيّا تعالَ ، أظْهِر سَنا وَجْهٍ أو جَبينْ

يا صلاحَ الدّين ، أيّها المُليكُ ، حاضِرٌ أنْتَ وغائِبٌ مَعاً
يا اعْجوبةً ، قَدْ بلغتُ الوِصالَ ، هَيّا تَعالَ ، أظهِر سَنا وَجهٍ أو جَبينْ

* * *

*(٣٧)

أنتَ لىَ روحٌ وعالمٌ ، فما نَفعى بالرُّوح والعَالمِ ؟
أنتَ لِىَ كنزٌ ، فما نَفعى بالكَسب والخُسرانْ ؟

رفيقٌ أنا للخمر تَارةً، وتارةً أُخرى رفيقٌ للشّواء
إنّ فى هَذه الدَّورةِ (١) تَلَفى ، فَما نَفعْى بدورةِ الزَّمانْ ؟

فَررتُ من البريّة جَمْعاً ، مَضيتُ فى الفِرَارِ قُدُماً
مَا أنَا بِظاهِرٍ ولا خَفِّىٍ ، فما نَفْعى بالكَونِ والمَكانْ ؟

بوصلِكَ مَلأَ الخِمارُ رَأسِى ، فَلا أملكُ رَأْسَ إنْسانْ
طالما كنتَ بُغْيتى وصيْدِى ، فما نَفعى بَقوْسٍ أو سِنانْ ؟

حِين أبحثُ فى القَاعِ مَا مَسِيرى ؟ فأيَّ مَاءٍ أَنْشدُ وأبغى ؟
مَاذَا أقول ؟ بِمَ أَصِفُ هَذا الغديرِ النَّهْلان ؟

(*) مطلعها : تو مرا جان وجهانى ، چه كنم جان وجهان را ؟
تو مرا گنج روانى ، چه كنم سود وزيان را ؟

(١) يعنى دورة شرب الخمر وهى تتطلب ترتيباً وتسلسلاً خاصاً . والخمر رمز للمعرفة الروحية ، والشواء رمز لتحرق الكبد من الأشواق .

مُذْ نصبتُ رأسَ الوجود (٢) ، أىَّ جبلٍ ثقيلٍ أحْملُ ؟
مُذ صار الذّئبُ لي راعياً (٣)، كَيف أتحَمَّلُ لحاجةَ الرُّعْيانْ ؟

ما أطيبَ العِشقَ ! ياله من سُكْرٍ ، حَينُ يكُوُن القَدحُ على كَف يَدٍ
طُوبى لِموضع حَلَلتَ بِه ، طُوبى لَعينِ الرّوح ونَاشطِ الأجَفْان

بكَ كلُّ ذرَّةٍ عَالَمٌ ، بِكَ كلُّ قطرةٍ رُوحٌ
إنْ حظياَ منكَ بأثرٍ ، فَما الحَاجَةُ للاسْمِ والعُنْوان

صَوْبَ الجوهرِ الفَائقْ ، بأعمَاقِ بَحرِ الحَقائقْ
إنَ كانَ لاَ بُدَّ من الانطلاقِ بِالرأسِ ، فما نَفْعى بِقدمىَّ تَجرْيان ؟

بسِلاحِ أحَديَّتِكَ ، قَطعتَ الطَّريقَ عَلينا
لَقد ذَهبتَ بكلِّ مَا لدىَّ ، فَماذا أعطى جُباةَ الخَراجِ فى الدّيوانْ ؟

منَ ألَقِ البَدْرِ السّاطِع ، مِن ثَنايا الطُّرّةِ ذَاتِ الجدَائل
خَفّ قلبى يَا حَبيبى ، فناولنى ثقيلاً مِن تلكَ الدّنانْ

---

(٢) منذ خلقنى الله - تعالى وسوّانى وجعل لى رأساً وأنا أشعر بثقل الأمانة التى أحملها .
(٣) لعل الشاعر يعنى بالذئب : العقل البارد، الذى يخلو من المحبّة، فيصبح كالوحوش الضارية لايقيم وزنا لمقتضيات الروح ودواعى المحبة فى الإنسان، فيشقى الإنسان به .

لا تُعوِّل علَى نَصبٍ أو بَلاَ ، بَلْ عَوِّل على العِشقِ والوَلاَ
لا تُعوِّل عَلى الجَوْرِ والجَفا ، بَلّ عَوِّل عَلى طولِ الأسَى وفَوْرةِ الأشَجْان

سَـمِّ الحزن لُطفاً ، اسْعَدْ بالحُزنِ والآلامْ
وانْشدْ بِها كلَّ خيرٍ ، انشُد الفَرَجَ والأمنَ والأَمان (٤)

انْشُدْ أَمْناً وأَماناً ، اخْترْ خلْوةً طَولى
تَسَمَّع طَريقَ الفَمِ ، ثم لاتَفْتَحْ للفَمِ طَريقاً للبيانْ

* * *

(٤) للآلام قيمة إيجابية ، فهى تأتى بالخير دوما .

* (٣٨)

اذهبُوا أيّها النّدام ، ايتُونا بالحَبيبْ
ثمَّ هاتوا لِي من بَعدُ ، ذَاكَ المليحَ الجَافلا

بألحْانٍ عَذْبة ، بحُجَجٍ مِن ذَهبْ
اجذبُواَ إلى الدّارِ ، ذلك البدرَ حَلوَ اللّقا

فإنْ قَال وَاعداً : سآتى غَدا
فكلُّ وَعْدِهِ مكْرٌ ، هُوَ خَادُعُكمُ هُوَ

جمُّ الحَرارَةَ نَفَسُهُ ، بالسِّحْرِ والتَخَييلْ
يعْقد عَلى الماءِ عُقْدةً ، ويَربِطُ الهَوا

بالتَهليل والسُّرور، حينَ يَقْدُمُ حَبيبى
هلمَّ فانْظرْ أنتَ ، عجَائبَ اللّه تعالى

إن تألَقَ جَمالُه ، فأينَ مِنْهُ جمالُ الحِسانْ ؟
فوجهُهُ شَمسٌ ، تَضِيء القناديلَ أَبَدا

(*) مطلعها : برويد اى حريفان ، بكشيد يار ما را
به من آوريد آخر ، صنم گريزپا را
وتتضمن نُصحاً لمن كلَّفهم جلال الدين من أتباعه بكيفية إقناع شيخه شمس الدين بالعودة بعد فراره، راجع المقدمة .

فامضِ أَيُّها القلبُ سَريعَ الخَطْوِ إلى اليَمِنْ ، إلى حبيبى
أبْلِغ العَقيقَ النِفيسَ (١) منىٌ سَلاماً وَإجْلاَلاَ .

* * *

(١) يقترن ذكر اليمن فى الأدب الفارسى بما يستخرج من جبالها من أحجار كريمة وبخاصة العقيق .

* (٣٩)

حين أهْبطَنى الجسدُ من العُلا وأَودعَنى السِّجنَ
صرتُ عَن الملائكةِ المُقرَّبينَ فى الغُربةِ والوَحْدةَ فَرْدا (١)

فجأةً ، صَارَ لِىَ فِى الحبْس قمرٌ قَريناً
فألقى هوَسُه فِى رُوْعى من ضُروبِ الغَرامِ والحُبِّ ألْفاَ

كُلُّ امرئٍ يَنْشُدُ الخلاصَ من الحَبسِ والبَلاَ ، سواىَ
لم أَمْضى ؟ أيْنَ أُوَلِّى ؟ والحَبيبُ هُنا

لنْ أنالَ الخُلوةَ بِه دُونَ رُكنِ السِّجنِ
فلم يغدُ قلبُ العَسلِ بغيرِ نارٍ مُصَفًّا (٢)

(*) مطلعها : چو مرا به سوی زندان بکشید تن ز بالا

ز مقرّبان حضرت بشدُم غريب وتنها

(١) أهبط الجسدُ الروحَ من العلا (العالم العلوى) إلى السجن (العالم السفلى) مما أدى إلى ابتعادى عن الملائكة المقربين للحق تعالي . ويرى جلال الدين أن روح الإنسان (وهى من عالم القدس) أسيرة فى سجن الجسد ، وفى هذا السجن عرفاء يرون أن وجودهم يحوّل السجن إلى روضة وبستان ، وللقوم تمثيلات مختلفة لهبوط الروح إلى عالم الجسد . يقول "ابن سينا" فى قصيدة "النفس" المعروفة بالورقائية (نسبة إلى الورقاء ، يعنى الحمامة) :

هبطتْ إليكَ منَ المحلِّ الأرْفعِ ورْقاءُ ذاتُ تعَزُّزٍ وتمنُّعِ .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : " فأينما تُولّوا فثم وجه الله " (البقرة : ١١٥)

(٢) إشارة إلى أن حرارة النّار تفصل العسل عن الشمع ، وتصبح سببا لصفائه .

إنْ كانَ يوسُفُ صَاحِباً ، فَلا أحَدَ يلوذُ بالفِرارِ
لأنَّ له في الحَبْسِ بُستانٌ ، وخاصةً يوسُفُنا (٣)

على العَينِ والبَصرِ يَجرى صَوْبَ الحَبْسِ مُقبِلاً كلُّ مَنْ
يَتلقىً مِن إقليمِ السُّكَّرِ طَلَباً كهَذا

من النُّجومِ سَمِعْتُ : لَو أنَّ أَحَداً وَجَدَ أثَراً
من نُورِ ذَاكَ القَمرِ ، فَخَبِّرونا

إنَكَ إنْ وَصَلتَ إلى تِلكَ الجَوهْرةِ يَجْدُرُ بِكَ
أن تَخْطُوَ فَتَعْبُرَ - كَموسَى - بِحاراً سَبْعاً (٤)

تغارُ عَليهِ الأحِبَّةُ ، فلا يصل خَبَرُه إلى القمرِ والنَّجمْ
وحِينَ يَعْلو قمرُهُ ، تَذوبُ السَّماواتُ بأجمعها ذَوبْاً

* * *

(٣) إشارة إلى ما حدث ليوسف عليه السلام في السجن .
(٤) إشارة إلى عبور موسى للبحر ، فقد عبره موسى مع بنى إسرائيل فلم يدركهم الغرق ، ولكن فرعون أتبعهم بجنوده فغرقوا أجمعين .

*(٤٠)

إنْ لمْ يكُنْ فِى خَمْر شَربتَ عِنْدَ السَّحَر تأثيرٌ
فَخُذْ منىّ خَمْراً هِىَ القيامةُ حَقًّا (١)

بأبى رُؤى تُرى عنْد الجُرعةِ (٢) الأُولىَ ، وعِند الثّانية باللهِ نَعوُذُ ونَسْتَجِيرْ
أما الثّالثة فلاَ أَجد لَها وَصْفا

هى لا تُغادر ضَرّاً ولا نَفْعاً (٣)، تَذْهَبُ بهما جُمْلَةً
ثُمّ إنَ اللَّه يَعْلمُ أينَ تَنتهى هَذِهِ الرُّؤى

أسيرُ اللَّونِ والرَّائحةِ أَنتَ ، كَنَقْشٍ (٤) عَلى حَجرٍ أنتَ
تتنافر كماءٍ نَبَعَ مِن قَلبِ حجرٍ أصمٍّ ، أنتَ

(*) مطلعها : اگر آن مبى كه خوردى به سحر ، نبود گيرا
بستان ز من شرا بى كه قيامت است حقا

(١) القيامة : تعبير عن أثر التغير الكبير الذى يطرأ على النفس بسبب المعرفة الروحية ، وما ينتج عنه من تقوض مايربط الإنسان بالعالم المادى .

(٢) فى الأصل : الكأس الأولى .

(٣) بالمعرفة الحقة لايعبأ الإنسان بضر ولانفع .

(٤) اللون والرائحة : العالم المادىّ، نقش على حجر : صورة بلا معنى وجسد بلا روح .

اعْطِني ذاكَ الخَمر الرَّواقى (٥) ، ألاَ يا أيَّها الكريمُ السّاقى
وحِينَ أصْبحُ كذلكَ ، يكونُ لَفْظى صَريحاً مُباحا

بقدحٍ ثَقيلٍ إيتنى ، إن أنا إلا عَبدُكَ فارْوِنى
ثم انظرْ ، فَمِن خِمارك قد تعلّق بَصرىَ بالعُلا

تَعلّق بصرى بالوِجْهة التى عَوَّدتنى
فليُبْق اللهُ نَهراً ، هُوَ مِن بَحرٍ قَد جَرى.

* * *

---

(٥) الرواقى : الصافى.

(٤١) *

هُوَ الرَّوضُ ، فَلْيُزْهِرْ وُرُدُهُ حتى القيامهْ
هوُ المليحُ ، فليكُنُ العالَمانْ تحت قدميه نثارًا

أميرُ الحِسانِ ينْطلق للصَّيد بُكْرَةً
فليكُن قلبُنا بِسهْمِ غمْزَتهِ صَيداً أسيرًا

بأبى رَسائلُ مِن مُقْلتَيْه إلىَ عَيْنىَّ كلْ حِينِ
فلتهْنِ عَيْناىَ وتمتلئ بِخمارٍ من رَسائلَ مِنْهُ تَتَرْى

حطمتُ بابَ أحَدِ الزهّاد ، فدَعا علىَّ مُغْضَباً
أن : "اذهبْ لا جَعلَ اللهُ لَك طُولَ عُمرك قَرارًا"

فما بقىَ بِدعُائه قَرارٌ ولا قَلبٌ ، بِسَببِ حَبيبٍ
متعطِّشٍ لِدَمِنا (١) ، فَليكُنْ اللّهُ لَهُ نَصيرا

(*) مطلعها : چمنی که تا قیامت گل او ببار بادا
صنمی که بر جمالش دو جهان نثار بادا

(١) الحبيب : الشيخ ، وهو يريد منا أن تتخضّب قلوبنا بالدم من لوعة الحبّ وأسى الفراق .

جَسَدُنا يشبه القَمرَ ، يَذْوى من العشق (٢)
قلبُنا كربابَةِ الزُّهرةِ ، قد قَطع اللّهُ مَنْها الوتَرا

لا تَنْظر ذَوْبَ القمر ، ولا ذُوَى الزُّهَرةِ
أبْصِر حَلاوةَ حُزْنِه ، فَلْيكُنْ واحِدُهُ عدداً كَبيرا (٣)

يَالَهُ مَن عُرسٍ في الرّوح ؟! فَلتكُن الدُّنيا بانعكاسِ طَلْعَته
كَيدىْ عَرُوسيْن مَلْؤُهُما نَدىً ونَقْشُهُما زهْرَا

عَذارَ (٤) الجِسْمِ لاَ تَنْظُرْ ، إذْ يَرثُّ ويَبْلَى
بل انظُر عَذارَ الرّوح ، لن تَرى أطيبَ مَنْه عَذَارا

الجِسْمُ الكَدِرُ كالغُراب الأسْحَمِ ، وعَالمُ الجُسوم كَفصْل الشتاء
برغمِ كآبتِهمَا ، فَليكُن ربيعٌ دائماً أبَدا

* * *

---

(٢) إشارة إلى نحافة القمر بسبب السير الدائم والبحث المستمر .
(٣) يجد الحبيب لذّة فى لوعته وعذابه فى الحُبّ .
(٤) العذار : الوجه ، اللون .

*(٤٢)

لاتكُنْ بيْنَ العاشقينَ عاقلاً
خاصَّةً فى عِشقِ هذا العذبِ اللِّقا

فلْيُبعد اللّهُ العقَلاءَ عَن العشّاقْ
ليبعد اللّهُ رِيحَ التنّور عَنْ رِيح الصّبا (١)

إنْ أتىَ إليكَ عَاقِلٌ ، فقل له : "لَيسَ ثمَّ طَريقٌ"
وإن أتىَ إليكَ عاشقٌ ، فألفُ مَرحَباَ

إنْ أخذَ العقلُ فى التَّدبيرِ والتَّفكيرِ
مضى العشق هرباً حَتى سَابع سَما

إن بحثَ العقلُ عن بَعيرٍ لأجْل الحجِّ
مضى العشقُ قدُماً وارتَقى جَبَلَ الصّفا

جاءنى العشقُ فَأَمْسَكَ بِهذا الفَمِ هَاتِفاً :
" دعْكَ من الشّعرِ واعْلُ عَلى الشُّعرى " (٢)

(*) مطلعها : در ميان عاشقان عاقل مبا
خاصه در عشق چنين شيرين لقا

(١) ريح الصبا : النفحات الرحمانية التى تهبُّ على العاشق (فرهنگ ديوان شمس).

(٢) يعنى الشعرى اليمانية ، النجم المشهور بعلوهَ وتألُّقه .

إن صببتَ البحرَ فَلَنْ نرتوى أو نَمْتلئْ
لأنَكَ وضعتَ الجُمجُمةَ مَقْلوبةً بِرأسِنا (١)

ها هم أولاء السُّكارى يَغدُون إلى البُستانِ فَوجاً فَوجاً
كيفَ لا يأتي المَخْمُورُ حِينَ يَشُمُّ رَائحتَنا ؟

عُطارِدُ (٢) يترك الأدبْ ، يغْسِل الكُتُبْ
إِن سَمِعَ البُشْرى بِمقْدَمِنا (٣)

حَسْبُك ، فالدُّنيا على أهلِ الدُّنيا تَتَكدَّرْ
إنْ طرقَ سَمْعَهُم بغتةً ، هَذا القولُ منّا

* * *

(١) الجمجمة مقلوبة فلا تمسك ما يوضع بها .
(٢) عطارد معروف فى الأساطير بالكاتب .
(٣) أى أن العالم كله يسلّم للإنسان بالمعرفة والعلم .

(٤٦)*

اتخذَ البنفسجُ لنفسه مَوضعاً بجانبِ سَوْسَنٍ قد انْحنى
بيْنما الورْدَةُ المكتسيةُ باليَاقوتُ تَشرَعُ فى تَمْزِيق العَبا

ومنْ وراءِ العَالم أقبلت عَصافيرُ الجنَّة ذاتُ الأَقبيةِ الخُضْر
ثملةً طيِّبة تمشى الهُوَيْنَا

مضى السَّرْوُ رَافعاً رايته فأجّجَ فى الخَريفِ نَارا
ومن قِمّة الجَبلِ أطلّتْ شَقيقةَ حَمراءُ (١)عَذبةُ اللِّقا

قال السُّنْبلُ للياسَمِنْ : "سَلامٌ عَليكَ"
قال : " عَليكَ السَّلامُ ، ادْخلِ الرَّوضَ يَافتَى"

يقومُ فِى كلِ ناحيةٍ عَارفٌ، وفى كلِّ طَرفٍ صُوفىٌّ زَاهدٌ
مُصفقِينَ كالورَقِ الغَضِّ ، راقِصينَ كَريحِ الصَّبَا

(*) مطلعها : باز بنفشه رسيد جانب سوسن دوتا
باز گل لعل پوش مى بدراند قبا

(١) نوع من الورد الأحمر الكبير يتميز بأوراقه العريضة وبألوانه الحمراء الزاهية.

*(٤٧)

أنا بالبَاب ، هَلُمَّ ، افتحْ البابَ
فغلقُ البَاَبِ لا يَدُلُّ على الرِّضَا

فِى قَلبْ كُلِّ ذَرَّةٍ لَكَ عَتَبةٌ
إنْ لَمْ تَفتَحْها ، كَانَتْ فَى خَفاَ

مَنْ بالباب لَيْسَ أنا ، بَلْ أنتَ
امْنَحنى طَريقاً ، افْتَحْ إليكَ بَابَا

جَاءَ كبريتٌ إلى صَدْر نَارٍ هَاتَفاً
اخْرجى ، يا حَبيبَتى ، هَلُمّى إلىَّ

صُورَتى لَيْستْ صورتَك ، لكنَّنى أنتَ بأَجْمَعى
وصُورَتى هِىَ كالغطَا

أغْدو أناَ أَنتَ صُورةً ومَعْنىً ، وَحِينَ تَصلُ
تَمْحِى صُورَتى عِنْدَ اللِّقا

(*) مطلعها : هين كه منم بر در ، در بر گشا
بستنِ در نيست نشانِ رضا

قالت النّارُ: " أناَ قَد خَرجْتُ
فلمَ أخفى وَجهْىَ عَنْ نَفسىِ لمَ ؟"

أنا فِي قَلبكَ بَأجْمعىِ
فاقْبِلْ صَوْبَ قلبكَ ، مَرْحَبا

يا حَبِيبى ويا خَاطِفَ قَلْبى ، يَا مَنْ
لكَ جَوهَرةٌ ، هِيَ القَلبُ ، قَد وُلِدَت مِن بَحرِنا

* * *

* (٤٨)

هتفَ النَّجْمُ : " عَمَّ الضِّياءُ هذا المَسَا "
قُلتُ لِلكواكِبِ : "مَعى القَمَرُ هذا المَسَا"

اصْعدْ إلى السَّقْفِ الأَعْلى طَلباً للصَّلا (١)
قَطْفُ الوردِ هذا المَسَا ، شُربُ الخَمْرِ هذا المَسَا

إلى الصَّباح حَبِيبُنا مَسْتَكنّ - كَالقَلْبِ - فِى صَدْرِنا
بيده ضَمّنا بَخَفَرٍ وبرٍّ هَذا المَسَا

إلى الصَّباح كاسُ الخَمْرِ دَائرٌ والعَطاَ
إلى الصَّباح الوَرْدُ فِى خَلْوةٍ مَعَ السَّوسَنِ الأزْهرِ هَذا المَسَا

أنا أسخُو بِصَبٍّ خَمْرِ الوِصَالِ عَلَى الخَاصِّ والعامِّ هَذا المَسَا
سُروراً بِقَمرِكَ ، وقَدْ عَلا الرَّوزَنَة وسَفَر هَذا المَسَا

* * *

(*) مطلعها : آواز داد اختر : "پس روشن ، است امشب"
گفتم ستار گان را : "مه با من است امشب"

(١) انظر القصيدة رقم ١ البيت ٩ ، ١١ .

* (٤٩)

عرضَ لذلك السَّيد مُذْ انتَصفَ اللّيْلُ مرضٌ
حينَ أطَلَّ حتّى الصَّباح عَلَيْنا ذَاهِلاً مِن فَوْقِ الجِدَار

بكَتْ السَّماء والأَرضْ من أنينه وانْتحَباَ
الْتَهبَتْ مِنْهُ الأنْفَاسْ ، كأنّه فى بَيْتِ نَار

قدْ انْتَابَهُ مرضٌ عجيب ، مَاهُوَ بصُداع ولا حُمىً ذَاتِ لَهيبْ
ما لَهُ فِى الأرْضِ مِن دَوَا ، مَرَضٌ قَدْ أتَاهُ مِنَ السَّمَا

حينَ رأىَ جَالِينُوسَ (١) وجَسَّ نَبضَهُ ، قَالَ هُو
«دَعْ يَدى، بِل القَلبَ عَاينْ ، فَدائِى خَارجُ كلِّ قَاعدةٍ وقَانُونْ»

ما لَهُ نَومٌ وَلا مَطْعَمْ ، بَل العِشْقُ لهُ رَاعٍ كَرِيمْ
فهذَا العِشقُ الآنَ لِلسَّيِّد مُرضَعهٌ وأمٌّ رؤومْ

(*) مطلعها : آن خواجه را از نيمشب بيمارى پيدا شده است
تا روز بر ديوار ما بى خويشتن سرمى زده ست

(١) جالينوس : الطبيب اليونانى المشهور ، يُنسبُ إليه علم الطب القديم، وهو رمز لتحقيق الشفاء.

هتفتُ "رُحْماك يا إلهي، لعلّهُ يرْتاحُ ساعةً
ما سفَكَ لأحَدٍ دماً ، ولاَ أكلَ لأحَدٍ مالاً

وجاءَ الجوابُ منَ السّما، أنْ خَلّصْهُ باليَقينْ
بأنَّ بلوى العُشاقِ ، لا يَنْفَعُ مَعَها عَلاجٌ وَلاَ دَوَا

كَيفَ وَجَدْتَ العشقَ ؟ وأَنْتَ لَم تَسْمَعْ عَن العُشاقْ
صهِ لاَ تَهْذِ ، فَما هَوَ بِسِحْرٍ ولا دَجَلْ

* * *

* (٥٠)

جئتُ كي أشدَّكَ من أُذُنكَ نحْوى رُوَيْداً رُوَيْدا
وأُفرغُكَ مِن القلبِ والنَفس ؛ ثُمَّ أنصُبكَ في القَلبِ والرُّوح نَصْبًا

جئتُكَ رَبيعاً طَلْقاً يا شجر الوَرْد
كيْ آخُذُكَ فِي أحضانى بُودٌ، وأضُمّكَ إلىَّ ضَمّاً (١)

جئتُ كيْ أظهَركَ للعَيان فِي هَذه الدّار
وأبلغُ بكَ - كَدُعاءِ العُشّاقِ - السّماواتِ السَّبعِ العُلا (٢)

جئت كيْ أَقُولَ : " رُدّ - عن طِيبِ خاطرٍ - قُبْلةً اختطفتَها منْ حَسْناء(٣)
أيهَا السَّيِّد ، لأنى سَأستردُّك حَتماً "

(*) مطلعها : آمده ام تا به خود گوش كشان كشانمت
بى دل وبى خودت كنم ، در دل وجان نشانمت
تبدو هذه القصيدة وكأنها خطاب من الحقّ - تعالى - للإنسان، الذى يحبُّه، لقوله تعالى: ﴿يُحبُّهم ويُحبُّونه﴾ (المائدة : ٥٤).

(١) النفحاتُ الربانيّة وعُونُ الحق - تعالى - يربِّيان ملكات الإنسان ويشحذان قواه الكامنة، فيصبح عند ذالك مشمولاً برحمة الحق ومحبته ورضوانه.

(٢) إشارة إلى معراج الرسول محمد- ﷺ - حادى قافلة البشرية ورائدها إلى الأعتاب الإلهية.

(٣) لعلّ الشاعر يريد بالحسناء هنا : الدُّنيا وزينتها وزخرفها، وتعلُّق الإنسان بها.

وما الوَرْدُ ؟ أنتَ الكُلُّ ، أنتَ من يَنطِقُ بالأَمْرِ " قُلْ "
إنْ لَمْ يَعْرفْكَ الغَيرُ ، فأناَ أعرفُكَ لأَنكَ أنَا (٤)

حبيبى أنْتَ ورُوحى ، أنتَ مَنْ يَقْرأُ فاتِحتى (٥)
فصِرْ كلَّك فاتحةً ، كىْ أقرأَكَ بقَلْبى أَنا
أنْتَ صَيْدى ، فإنْ كُنتَ قَد فَرَرتَ - يَا فَرِيسَتى - من الشَّباك (٦)
فعُدْ إلىَ الفَخِّ رُجَّعاَ ، وإن لَم تَفْعلْ أَعَدُتكَ أنا (٧)

قالَ لِىَ الأسَدُ " "يا أُعجوبةَ الغزْلان ، اذهبْ
لمَ تعْدُو فى إثرى مُسْرِعاً كىْ أمزِّقك إربَا "

تلقَّ الضَّرْبَةَ وتَقدّم ، كَدِرْع الشَّجَاعَة
ولا تُلق بَالاً لِغير الوتَر ، كى أُبْرِيكَ كالقوسِ مَحْنِيًّا

---

(٤) إشارة إلى قوله تعالى عن خلقه "لآدم" : «ثم سَوّاه ونفخ فيه من روحه» (السجدة : ٩) .
وقوله تعالى : ﴿ فإذا سوّيتهُ ونفخت فيه من روحى ... ﴾ (الحجر : ٢٩) .
(٥) أنت قارئ قرآنى وفاتحة القرآن ، أم الكتاب .
(٦) الشباك : الفخ .
(٧) اربط قلبك - وأنت فى حياتك الدنيا - بالرجوع إلى أصلك العلوى ، فإن لم تفعل فأنت راجع لا محالة حين تفارق هذه الحياة الدنيا .

منْ حدَّ التُّراب إلى البشريَة ، آلافٌ من المنَازلِ عَديدة
دفعتُ بكَ مِن مَدينةٍ إلى مدينة ، ولَنْ أدعَكَ بأول الطَّرِيق أوْ أتَخَلىَّ (٨)

لا تقُلْ شَيئاً ، ولا تُرْغِ أو تُزْبد ، لاَ تَرفَعْ غِطَاءَ القدْر
اغْل جَيِّداً ، تَذَرّع بالصَّبر ، كَيْ أُسَوِّيكَ نُضْجَا (٩)

أنتَ كُرَتِي تَجْرى فِى صَوْلجان حُكْمى
وأنا فِى إثْرك أجْرى ، إنّما أدفَعُكَ إلى الجَرْيِ دَفْعاً (١٠)

* * *

(٨) إشارة إلى التكامل الإنسانى الذى كثيراً ما تحدث عنه جلال الدين الرومى فى شعره.
(٩) للآلام قيمة إيجابية فى تحقيق معراجك الروحى إلى الحق تعالى.
(١٠) لعل الشاعر يريد بالكرة : الإنسان، وبالصولجان : قضاءُ الله وقدره، والصولجان (أو الصولج) عصا معقوفٌ طرفها ، يضرب بها الفارس الكرة. وكانت هذه اللعبة من أكثر رياضات الفروسية انتشاراً .

(٥١)*

أضَرك كالشَّوْكِ نَفسٌ بالنَّفْسِ مُقتَرنٌ
وجَادَكَ بالنَّفْع نَفَسٌ يَخْلو مِنَ الذَّاتِ (١)

لِكلٍّ هَامَّةٍ (٢) صِرتَ صَيْداً ، حِينَ صَارَ النَّفَسُ بالنَّفْسِ مُقْتَرِناً
والفيلُ قد صَارَ صَيْداً لِمنْ يَخْلو مِن الذَّاتِ

عَمَّ الغَمامُ والغَمُّ نَفَساً صَارَ بالنَّفسِ مُقترناً
وضَمّ بَدرُ الدُّجَى نَفَساً يَخْلُو مِنَ الذَّاتِ

يَنْأى الحَبِيبُ عَن نَفَسٍ قد صَار بالنّفس مُقْترناً
جَاءَ الحبيبُ بخمر إلى نَفَسٍ يَخْلو مِنَ الذَّات

ذَوىَ كخرِيفٍ نَفَسٌ صار بالنفس مُقْترناً
وصَارَ لَهُ الزمهريرُ رَبِيعاً إِنْ خَلا مِنَ الذّات

(*) مطلعها : آن نفسى كه با خودى يار چو خار آيدت
وان نفسى كه بيخودى ، يار چه كار آيدت

(١) يريد بالنَّفس والذَّات : النَّفْسُ الأمّارة ، ويقارن بين الآثار المترتبة على الانصياع لها وتلك المترتبة على نهيها وزَجْرها .

(٢) هامّه : مفرد هوام ، وهى الحشرات الضعيفة الطائرة.

ما اعتراكَ من قلقٍ وضجرٍ
قد اعْتراكَ لطلبكَ الهُدوءِ والسكينة
فعليكَ بالقَلَقِ والْضَّجرِ مَعَا
كىْ تأتى إليكَ السكينةُ تسعى

كُلُّ ما بكَ منْ مَرارَةٍ الذَّوقْ
أتاكَ لطَلَبكَ لَذَّة الطَّعْم
إنْ تَركتَ تلكَ اللذَّةَ
صارَ السُّمُّ الزُّعَافُ عِندكَ حُلْوا

قد أصابَكَ مَا أصَابَكَ
لحرصكَ علَىَ تَحقيق المُراد
وإلاَّ فكُلُّ مَقْصدٍ هُوَ لَكْ
يأتيكَ طوعاً نِثارا تَحتَ قَدَمَيْكَ

كُنْ عَاشقاً جوْرَ الحَبيبُ (٣)، لا عَاشقاً حُبَّ الحَبيبْ
يأتى الحَبيبُ ذُو الدَّلِّ مُتيّماً بالعِشقِ إليكَ يَسْعى

---

(٣) العاشق يستعذب العذاب الذى يلقاه من هجر الحبيب .

شمسُ الدِّين ، سُلطانُ الشّرق
إن بزغ مِنْ قِبَل تَبْرِيْزٍ
فَلَتَشْعُرَنَّ - واللّه - بالعارْ
مِنْ هَذه النُّجومِ وتلكَ الأقمارِ حَتْما

* * *

(٤) فأين نور النجوم والأقمار من نور الشمس .

(٥٢) *

تعالَوْا ، تعالَوْا ، قد تفتحّتْ الخميلةُ والرَّوْضُ
تعالَوْا ، تعالَوْا ؛ قدْ وصلَ الحبيبُ

هاتوا كلَّ الرُّوحِ والعالَمْ
سلِّموهما الشَّمسَ التى سَلّتْ سَيْفَها بِحُنوٍّ وحُبُورْ

اضْحكُوا من ذَاكَ القَبيحَ الذى يُبْدى الدَلالْ
ابكوا ذَاكَ الحَبيبْ الذى انْقطَعَ عَن الحَبيبْ

أثيرُوا المدينة كُلَّها ، فقدْ سرَتْ شَائعةٌ
بأن المجنونَ قَد تَفَلَّت ثَانيةَ مِن القُيودْ

ياله مِنْ يَومٍ، ويَالَهُ مِن يَومٍ ؟! كأنّماَ هُو يَوْمُ القِيامةْ
أقْبلَتْ صُحيفةُ الأَعْمالِ مِنَ الآفاقِ تَطَيرْ

دُقوا الطُّبولَ ، ولا تَقُولوا بَعْدُ شَيئَا
فلا مَحلَّ لِلعَقلِ والقَلَبِ ، إذ آثرت الرُّوحُ نَفْسهُا الهُروبْ

(*) مطلعها : بيابيد ، بيابيد ، كه گلزار دميده ست
بيابيد ، بيابيد ، كه دلدار رسيده ست

* (٥٣)

مَرَّةً أُخْرى ، ذَاكَ الحبيبُ العَيَّارُ (١) وَجَدَنى
كَانَ فى السُّوق يَسعَى ثمِلاً فوجَدنى

أخْفيتُ نَفْسى عَن النَّرجس (٢) المَخْمور ، فرآنى
لُذتُ بالفِرارِ مِنْ بَيْتَ الخَمَّار فَوَجَدنى

فيمَ كَانَ - فرَارِى ؟ وَمَا سَلِم منه غيرى
فيم كان اخْتبائى ؟ وهو مائةَ مَرَّةٍ وَجدنى

قُلتُ : "وَمنْ يَجدُنى فى زَحْمةِ المدينة ؟"
- إنَّه هُوَ مَنْ فى زَحْمة الأسْرارِ وَجَدنى

يالَها مِن بُشْرَى ! أَنْ بَحَثَتْ عَنَّا غَمْزَةُ الغَمَّاز
ويالَهُ مِن سَعدٍ ! فالسَّارقُ بِحبَائلِ شَعْره صَادَنى

(*) مطلعها : بار دگر آن دلبر عيّار مرا يافت
سر مست همى گشت به بازار مرا يافت

يبدو الشاعر وكأنه يتحدّثُ - فى هذه القصيدة - عن شيخه شمس الدين ولقائه به أوّل مرة حين التقيا فى قونية (راجع المقدمة) ؛ فلقد كان هذا اللقاء قدراً مقدوراً لافرار منه ، قد أراد الله له به خيراً كثيراً.

(١) "العيّار : الذكى الكثير التصرف" (القاموس) .

(٢) إشارة إلى العين التى نامت عن العالم المادى بخمر المعرفة الإلهية .

تقطَّرَ أثرٌ من دَمى فى كُلِّ طريقْ
قدْ كانَ يَتْبَعُنى ، وَبالأثرِ وَجَدنى

فررتُ كالغَزَال مِن الأسدِ إلى الصَّحْراء(٣)
ذاكَ الأسَدُ - في رِحلةِ صَيدٍ - بالجِبالِ وَجَدنى

اليومَ لا عَقْلَ ولاَ سَمْعَ ولا نُطْقَ
فأَصْلُ كُلِّ فِكْرٍ ونُطْقٍ وَجَدنى

* * *

---

(٣) يبدو الشاعر وكأنه يتحدث عن القَدَر الذى لايستطيع الإنسان الفرار منه . وقد استحسن الإمام أبو حامد الغزالى تشبيه القدر بالأسد ، (انظر : إحياء علوم الدين ، كتاب الخوف والرجاء - باب البيان أقسام الخوف بالاضافة إلى ما يخاف منه) .

(٥٤) *

هذه الدَّارُ الَّتى يَعْلوُ بها دوماً صوتُ المزْمَارْ
سلَ صاحبَها ؛ أىَّ دارٍ هَذه الدَّارْ

وما صُورةُ هَذاَ الصَّنَمَ، أهِى بيتُ الكَعْبة (١)
وما نُورُ اللَّه هَذا ؟ أهوَ من بيُوتِ المجُوسِ أُوقِدَتْ بِه النَّارْ ؟ (٢)

فى هذه الدّارُ كَنْزٌ لاَ يَسَعُه الكُوْنُ
وما الدّارُ وما الصَّاحِبُ إلاَّ فِعْلٌ وحُجَّةٌ تُثَارْ

لا تلمَسِ الدَّارَ فما هِىَ إلاَّ طِلَّسمٌ
لا تُخْبر صَاحبَها أنّه يثملُ اللّيالىَ والأَسْحارْ

تُرابُ الدَّارِ وقَشُّها مسكٌ كلُّهُ وعَنْبرْ
صريرُ بابِها شَدْوٌ كلُّه وأشْعارْ

(*) مطلعها : اين خانه كه پيوسته در او بانگ چغانه ست
از خواجه بپر سيد كه اين خانه چه خانه ست ؟

(١) لعلهَ يريد بالدّار والصَّنم وبيت الكعبة جسم الإنسان ، الذى خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وفضّله على كثير من خلقه ، وسخّر له ما فى السماوات والأرض ، وميّزه عن سائر خلقه بالقلب الحىّ الذى يتحرّق شوقاً إلى الرجوع إلى الأصل الأول .

(٢) النُور : الروح المشرقة التى تتلظّى بالمحبة والشوق .

جُملَةُ القول أنَ من سلكَ فيها طريقاً
هُوَ سُلطانُ الأرْض وسُليمانُ الأزْمنَةِ والأعْصَارْ

استبَّدتْ الحيرةُ بالبُستان : مَا الوَرَقُ ومَا البُرْعُمُ ؟؟
اشتَدُ الوَلَهُ بالطَّيْرِ : مَا الحَبُّ ومَا الفَخُّ المحفوفُ بالأخْطَارْ ؟

إنَما هو سَيّدُ الفَلَكِ ، يُشبهُ الزُّهَرةَ والقَمرْ
وهِيَ دار العِشْقِ ، لا تُقاسُ بالأَمتَارْ

دارٌ كُلّها ثِقةٌ وتَمكِينٌ ، فَلاَ يَدْرى أَحدٌ
عن فُلانَةَ أَوْ فُلانٍ ، مِمَّنْ يَدْخُلُ باللّيلِ والنَّهارْ

مَنْ باللّه ثمْلى هُمْ (وإنْ كَانُوا ألوفاً) وَاحِدٌ
ومَنْ بالهَوىَ ثَمْلى ، هُم مَثنى وثُلاث وأَعدادٌ كثارْ

أيُّهاَ القَلْبُ ، لا تُضرمْ النَّار فى الدَّغَلْ ، صَهٍ
أمْسِكْ عليكَ لِسانَك ، فَما لِسَانُكَ إلاّ شُعلةٌ منْ نَارْ

* * *

(٥٥) *

أغْمَضْتَ عَيْنَك ، تَعنى حَانَ وَقْتُ النّوم
لَيسَ ذَاكَ بنومٍ ، بَلْ للنَّدامِ(١) جَوَابْ

قَد عَلمتَ أَنَّنا قَلّما نَثْبُتُ قَلَّما
ولِمُقْلَتِكَ السَّكْرى تَعجُّلٌ وذَهابْ

حَبَّذا الجَفاَ منكَ ، فاللُّطفُ والوُدُّ فيه
حَبَّذاَ الخَطا مِنكَ : هُو عِندنا عَينُ الصَّوابْ

أشعِلْ بالعينِ فى النَّوْمِ ناراً (٢)
فَما العَينُ والقَلْبُ فينَا إلا شِواءٌ وكَبابْ

إن قِيلَ : "العشقُ مِن السَّاقى"
قيلَ "بَلْ هُوَ فَعلُ الشّرابْ" (٣)

(*) مطلعها : ببستى چشم ، يعنى وقت خواب است
نه خواب است آن ، حريفان را جواب است

(١) جمع نديم .
(٢) عينُك تضرم فى النّوم ناراً ولا تُبقى له أثرا .
(٣) الشراب : خمر المعرفة الإلهية ، وبها لا يقيم الإنسان وزناً ولا يُلقي بالاً لغير الحق - تعالى - .

فما الخَمرُ ومَا السَّاقى ؟ لا شئَ إلاّ الحق
يعلمُ اللهُ أمرَ هَذا العِشقِ، هُو مِن أىِّ بَابْ

* * *

*(٥٧)

هَنيئاً لكَ مَا شَرِبْتَ مَنْ خَمْرِ السَّحرْ
فتقدَّمْ - إِذَنْ - كى أسُرَّ فى أُذُنِكَ سِرًا

خَمرُ الرُّوح بَدَتْ نَادرةً ، فَامْض إِذَنْ ومنها تَجَرَّعْ
فَجرعَةٌ واحدةٌ تُذهِبُ كلّ ما فِيكَ عَقلاً كانَ أو مَكْرا

إنْ خَلَصتَ مِن الفِكْرِ ، بالمُسَاقَاة وبالسُّكْرِ
يهبُكَ بائع الخمرِ - بالجود - مائة فكرٍ آخرَ

إنْ دَخَلْتَ فى الأسْرار ، جَعلَتْكَ روحُ السُّقا والخمارْ
تَضجُّ السَّماءُ بصرخة، علَتْ منكَ أو صَوْتٍ سرى

عندَ الإصْباح يأتى إليكَ، مَنجْمُ الملاحَةِ بقدحٍ
يزهُو عَلى مَائة كُنتَ تشربُها البارحة ليلاً

إنْ لمْ تَقُل هَاياً أو لَمْ تَقُل هوياً (١)
فالموتى والجمادُ تَغلى بغَليكَ غلياً

(*) مطلعها : هله ، اى آنكه بخوردى سحرى باده كه نوشت
هله پيش آكه بگويم سخن راز به گوشت

(١) ها : إشارة تختص بالقريب. وهو : إشارة إلى الحق تعالى، كقولك : هو الله.

إنْ أنت أغلقْتَ الفم ، رَاقَ لكَ الصَّمْتُ
لكنّ جَذْبَ النِّدامِ ، لا يَدَعُك صَامتاَ

* * *

* (٥٨)

تالله لنْ أُدعكَ تسلكَ طريقَ السَّلامَهْ
فلا رأسَ ولا قَدمَ ، ولا سَلامَةَ يومَ القيامَهْ

اجْعلْ القلبَ والرُّوح فناءً لـ "لا" ، اجْعل جَسَدَكَ كالعَبَا
لا تُحدِّثْ بأثرٍ ، أوْ تُحدِّثْ بِخبرٍ ، ولا بِدليلٍ أو عَلامَه

حين خَلَصتُ من النَّفس ، سَدَدتُ طَريقَ الفِكْر
فَيا أَيها السَّاقى ، ثملٌ سكرانٌ أنا ، فَخَلِّصْنى بالتَّمامَه (١)

ألاَ فَاقْفِزِ ، ألاَ فاقْفِز ، وقَدَماً عَلى الرَّأسِ ضَعِ
ألا فَحلِّق ، ألا فحلِّق واعْلُ مثلى عَلى السُّكر والغَرامَهْ

اقْطع أَيُّها العشقُ - كموسى - رأسَ فرْعونَ التَكبّرِ
ألاَ يا فِرْعونُ ! تقدَّمْ ، فقد أَخذْتُ بابَك وسقْفكَ والعَلامَه (٢)

(*) مطلعها : بخدا كت نگذارم كه روى راه سلامت
كه سر وپا وسلامت نبود روز قيامت

(١) كذا فى الأصل كلمة عربية تعنى : تماماً

(٢) يعنى علامات الملك وإشارات السلطة.

حذار كي لا تدورَ عبثاً إذا بلغْتَ الحوض
فقطرتُه ماءُ الحياةِ ، وشطُّهُ موضعُ الإقامهْ

إنْ وقعتَ في الحوض ، أعْطِه كلَّ ذاتكَ
لا تُحركْ يداً ولا قدَماً ، مَهارةً منكَ أو شَهامَهْ

الزمْ التَّسليمَ والصَّمت تماماً ، فلستَ دون الجَمْع إمَاما
فلن يَبْلُغَ أحدٌ أبَداً ، بغَيرِ هذا العِشق الإمَامَهْ

* * *

* (٥٩)

أينَ مَن يَجعلُ رُوحِيَ سَكرى بلا خَمرٍ ، أَيْنَ ؟
أينَ مَنْ يُخرج اليدَ مِن رُوحي وَقلبي (١) ، أيْنَ ؟

ومَن أقْسَمتُ ألا أُقسِمَ إلا بِرأسه ،
ومَن نَقَض عَهْدي وتَوبَتي ، أينَ ؟

ومَنْ بسببه تَصرخُ الأرواحُ في السَّحَر
ومَنْ حُزنُه انْتزعَنا مَنْ مَوطِننا ، أينَ ؟

هُو رُوح الرُّوحْ ، فإنْ كَانَ بلا مَكانٍ فَلا عَجَب
مَن يطلبُ مَكاناً وهُوفي جسومِنا (٢) ، أين ؟

مَن أغلَقَ ستَارةَ القلبِ المُنيرْ ، وعَرَضَ الأخْيلةَ والتصَاويرْ
مَن علَّق علَى القلب - خِفيةً - حِجاباً كهذا ، أينَ ؟

إنْ لم يَشْمل العَقْلُ ، فلَنْ تَنخَذلَ "كيف ولماذَا " (٣)
ومَن أصْبَحَ سَكْراناً ، تركَ "كَيْفَ ولِماذا" ، فأين؟

(*) مطلعها : آنكه بى باده كند جان مرا مست كجاست ؟
وانكه بيرون كند از جان ودلم دست كجاست ؟

(١) يعني : من هو مقيم بقلبي ، لا يجد راحته إلا فيه .

(٢) إشارة إلى روح الإنسان .

(٣) إن لم تتملَّك العقلَ معرفةُ الله ومحبتهُ ، استبدَّت به الحيرة واستغرقته مقاييس المادة والحس وضلّ في بيداء الطلَبْ .

(٦٠)*

الحُبُّ والهَيامُ أَسْرارُنا
الأَمْرُ أَمْرُنا ، ولِمَ لاَ !! ، وهْوَ رفيقُنا

قَدْ وَلَّى عَصْرُ بَائعي القَديمْ
إنَّما نحَنُ بَائعُو الجَديدْ ، وَهَذا السُّوق سُوقُنا

إنْ أضْحَى العَقْلُ سُلطانَ هَذا الإقْليم (١)
صَارَ كاللِّصِّ مُعَلَّقاً على أَعْوادِنا (٢)

كُلُّ مَا كانَ سُمًّا أوَّلاَ ، صَارَ ترْياقاً عنْدنَا
كُلُّ مَا كانَ حُزناً وأسَىً ، هُوَ الآن مُحزُونٌ لنا

نَذَرُ نُفوسَنا وذَوِي القُرْبى
فكُلّ مَن كَانَ مِنَّا ، هوَ الآن أغيارٌ(٣) لنا

(*) مطلعها : دلبری وبيدلی اسرار ماست
كار كار ماست چون او يار ماست
(١) هذا الإقليم : هذا العالم المادى المحسوس .
(٢) الأعواد : المشانق .
(٣) الأغيار : من هم على غير مانحن عليه .

العُجْبُ بالنَّفس ، حَالةٌ من البُؤسْ
إيمانُنا بِهاَ ، هُوَ إِنْكارُنا

طُوبَى لِغَزَلٍ(٤) يَأتِى مِنْ غَيرِ نَفسِى
هذا الأنينُ البَائسُ ، إنَّما يَصْدُرُ عَنْ قِيثَارتنا

شَمْسُ الدين التَّبريزى ، بنور ذِى الجَلالْ
هُوَ فى العَالَمْينِ ، أصْلُ إقْرارنا

* * *

(١) الغزل : ضرب من ضروب الشعر الفارسى ، نَسقُه يشبه نسق القصيدة فى الشكل ، ولكن عدد أبياته أقلّ . وموضوعه التعبير عن مشاعر السالك فى طريق الحق - تعالى - والشاعر فى الغزل تبدو معانيه مبعثرة - كما يفعل الدرويش حين يبعثر الأشياء - ولكنها تبدو - بإمعان النظر - مترابطة متماسكة ، راجع المقدّمة .

(٦١) *

قَالَ : "مَن بالبابِ ؟" قلتُ : "عَبْدُكَ كَامنٌ"
قال : "مَا خَطْبُكَ ؟" قلت : "يا بَدْرُ ، لكَ السَّلامَهْ"

قَالَ : " إلامَ تَسْعى وتَحْفدْ؟" قلتُ : "طَالَما تُنَادى"
قَالَ : "حتّامَ تَغْلى ؟ " قُلتُ : "حَتّى القِيامَهْ"

دَعَوْتُ إلى العِشْقِ جَهاراً ، وأَقسَمتُ بَالأيْمَانِ مراراً
أنّى بالعِشْقِ قَد أَضَعتُ ، كُلَّ مَلكَةٍ عِندى وشَهَامَهْ

قَال :" القَاضى يَطْلُبُ شَاهِداً على الدَّعْوى"
قُلت : "الشّاَهِدُ الحشَا مِنّى ، وصُفرةُ الوَجه عَلاَمَهْ"

قال : "شَاهِدُ جَرْحٍ (١) : فَعينُكَ آثمةٌ"
قلتُ : "هِيَ بِيُمْنِ عَدْلِكَ شَاهِدٌ بِغَيْرِ غرَامَهْ"

قال : "مَنْ كَانَ الرَّفيقْ ؟ " : قُلتُ : "طَيفُكَ يا مَليكْ"
قال : " من دعَاكَ إلى هُنا ؟ " ، قُلتُ : "عِطْرُ ثوبكَ والعِمامَهْ"

(*) مطلعها : گفتا كه :"كيست بردر ؟" گفتم "كمين غلامت"
گفتا چه كار دارى ؟ گفتم" مها ! سلامت"

(١) اى أنه ليس شاهداً من العدول ، ففى عدالته جرح .

قال : "مَاذا لَديكَ مِن عَزْمٍ" ، قُلتُ :" المَحَبَّةُ والوَفا"
قال : " وَمَا تَبْغى مِنَّا " : قُلتُ : "ألْطَافُكَ العَامّهْ"

قال : "وأينَ الأَحْسَنُ ؟ "قُلتُ : "قَصرُ قَيصَرْ"
قال : " ومَاذا رأيتَ هُناك ؟" ، قلتُ : "مَائةَ كَرامَهْ"

قال : "ولِمَ هُوَ خَالٍ ؟" قُلتُ : "خَشْيةَ قَاطع الطّريق"
قال : "ومَن قاطعُ الطرِّيقْ؟ :" قُلتُ : "هَذِى الملامَهْ"

قال : "وأينَ ترى الأَمنَ ؟ " قُلتُ : "فى الزُّهْدِ والتُّقى"
قال : " ومَا الزُّهْدُ ؟ " قُلتُ : "طريقُ السَّلاَمَهْ"

قال : "وأينَ تَرىَ الآفَة؟ " قلتُ : "فى حَىّ عِشْقِكَ "
قال : " وكيفَ تَراكَ هُناك" قُلتُ : "فِى حالِ الاستقامَهْ"

صَهٍ لَو نَطقْتُ أنا بطُرَفِه ونكاته ،
لا نطلقتَ مِن نفسِك مُحلِّقاً ، فلا بَابَ ولا سَقْفَ ولا عَلامَهْ

* * *

(٦٢) *

كُلُّ جَوْرٍ يأتى مِنْكَ أَفْرِضُه عَلى نَفسى غَرامَهْ
أَضَعُ جُرمَكَ ونَفْسَكَ علىَّ بالتِّمامْه (١)

يَا قمرىَّ الطَّلْعَةِ ، إن صَدَر عَنْكَ مائةُ جَوْرٍ
كَانت للجَسدِ خِلعةً ، وللرُّوح سَلامَهْ

لِكلِّ واحدٍ مِن البَرَايا فيكَ نَصيبٌ
صَار عِشقُكَ نَصِيبى ، أَنْعِمْ بِهَا مِنْ كرَامَهْ

يَسْكرُ الكَأْسُ بِلَّذة خَمْرك تارةً
وبِذَوقِ كأسِكَ يَفُور فِيهِ المُدامُ (٢) تَارَهْ

يَسْجُدُ المَعْنى حِينَ يَرى وجْهَكَ
وكلُّ حَرفٍ حِينَ يَسمَع كلامَك، يرقُصُ مُوفِياً ذِمَامَهْ

(*) مطلعها : هر جور كز تو آيد بر خود نهم غرامت
جرم ترا وخود را برخود نهم تمامت

(١) بالتمامة : يعنى : تماماً ، انظر القصيدة ص ٥٨ ، هامش ١ ، ص١٧٠ فيما سبق .

(٢) المُدام : الخمر .

إنْ استتَر العَاشِقُ حلَّت عَليه الملاَمَهْ
لأن نُقْلَ هَذا الخَمْرِ ، لاَ يَكُونُ إلاَّ بالمَلامَهْ (٣)

* * *

(٣) فالملامة تشحذ همّة السالك وتدفعه للمُضيّ قُدماً فى الطريق ، راجع كتاب "الملامتية والصوفية وأهل الفتوّة" للدكتور أبى العلا عفيفى ، طبع مصر ، ١٩٤٥م .

(٦٣) *

مدينتُنا اليومَ لها ، مائةُ رونق ورَوَاءْ
فقد حلّ فيها اليومَ ، مَلِكُ الحِسَانْ

لِمَ لا تكونُ حَيْرى ؟ لِمَ لا تكونُ ضاحكةً ؟
وهِيَ مَدينةٌ بينَ رُبُوعِهَا ، صَارِمُ الزّمانْ (١)

هُوَ شَمسُ الحُسْنِ حينَ تُشْرقُ عَلى الأرض
فترِبُ الأرضِ ثَمَّ يَزْهُو عَلى كِيوانْ (٢)

عَلى الفَلَك تَضْربُ الملاَئكةُ بأجنحتها ، تَعْنى
ذاكَ هو سُلطاننا ومليكُنا ، معه مائة أو مائتانْ

يارُوحَ رُوح الأرواحْ ، اقرأ عنّا سلاماً
رُحْمَاكَ بالضُّعَفاء ، فَما لعِشْقِكَ مَنْ أمَانْ

(*) مطلعها : امروز شهر مارا صد رونق است وجان است
زيرا كه شاه خوبان امروز در ميان است

(١) صارم ، كذا فى الأصل عربية والصارم : حامل السيف الباتر الذى يصرع الزّمن .

(٢) كيوان : هو زُحَل .

كيفَ لا يكُونُ العالمُ خضراً طَيّباً ، مثلُك أيها الرَّبيعْ
كيفَ يَنْعَدِمُ الأمنُ ، واللَّيثُ حارسٌ سَهْرانْ ؟

حين دَقَّ بابَ القَلب ، من غير أن يَأتى إلى البَيتِ
عَلمت الرّوحُ من عِطْره ، أنه الحَبيبُ الفتَّانْ

هُو قَمرٌ لا يَنْخَسِفْ ، هُو شمسٌ لا تَنْكسِفْ
هُو خمرٌ بغير خِمارْ ، هُو نَفَعٌ بِلا خُسْرانْ

هُو ذاَ الملكُ الأَعْظَمْ ، قَد أقَامَ حَفْلاً سَعيداً
فالشمعُ والخَمرُ والحُسنُ اليَوم بَالمجَانْ

صَهٍ ، كىْ يَنطِقَ هوَ بغيرِ حُرفٍ أو لِسَانْ
فَما هَذه بألسنةٍ ، إنْ كَانَ النّاطقُ ذاكَ اللّسَانْ

* * *

* (٦٤)

أظْهر الطَّلعةَ فالخمائلُ والرياضِ مُناىَ
افْتحِ الشّفةَ ، فَنَظْمُ الجُمانِ(١) مُناىَ

ياشَمْسَ الحُسنِ ، أطِلّ علينا لَحظةً مِنَ وراء الغَمامِ
فالوَجهُ المُضيءُ للأكْوانِ مُناىَ

سَمعتُ عَبْرَ أَثِيرَ قَرْعَ طُبولِ البُزَاة (٢)
فعُدْتُ ، لأنّ ساعِدَ السّلطان مُنَاىَ (٣)

قُلتَ عَلى سَبيلِ الدّلال : "كفَاكَ إيذاءً لِيَ الآنَ وامض"
وَقولك : "كفاكَ إيذاءً الآن " مُناىَ

وقوُلك دَفعاً (٤) : "رُحْ ، فالملكُ لَيسَ بالدَّارِ"
فما بحاجِبِ البابِ مِنْ تَمَنُّعٍ وعنفوانٍ ، مُناىَ

(*) مطلعها : بنمایْ رُخ که باغ وگلستانم آرزوست
بگشای لب که قند فراوانم آرزوست

(١) فى الأصل ، السكر الكثير ويعنى به الأسنان البيضاء اللامعة المنتظمة ، وهو فى الشعر العربى : نَظْمُ الجُمان ونثرُه.

(٢) يعنى الطبول التى كانوا يقرعونها فى الصّيد للصقور لكى تنطلق أو تعود .

(٣) يريد الرجوع للوقوف على يد السلطان كالصقر .

(٤) يعنى دفع السائل بعيداً عن باب السلطان .

ما أنا إلا كيعقوبَ (٥)، أشكو بَثّي وحُزني مِراراً
وحُسنُ طَلعةِ يُوسفُ بنِ كَنعانٍ ، مُناىَ

تَاللّه ، تَغْدُو المدينةُ دُونَكَ حَبْساً
فالضَّربُ بالفيافي والوِديانِ ، مُناىَ

بَرِمتُ بُرفْقةٍ خارَت قُوَاهَا
فَأَسَدُ اللَّهِ ورُستَمُ الدّسْتَانَ (٦)، مُنَاىَ

رُوحي بَرِمَتْ بِفرعونَ وظُلمه
ووَجْهُ مُوسَى بن عِمرانَ ، مُناىَ

سَئمتُ أناساً يَضجوُّن بالشَّكوى ويَذْرفُونَ الدَّمع
فآهَةٌ أو صَرْخةٌ مِن ثَملٍ سَكْرانٍ ، مُناىَ

أَنا أفصَحُ من بُلبلٍ ، لكنَّني خَوْفاً من حَسَدِ النَّاس،
عَلى فَمِي خاتَمٌ ، والأنينُ مُناىَ

---

(٥) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، أبو يوسف ، عليهم السلام.
(٦) أسد الله ، من ألقاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه، أما رستم الدستان، فهو من أبطال الفرس القدماء ، ويُضرب به المثل في الشجاعة والإقدام.

بالأمس أخذ الشيخُ في المدينة يسعى
قائلاً : "مَلَلْتُ شيطاناً وبهماً ، وإنْساناً مُناى "

قالُوا : "مُحالٌ أن يُوجَدَ ، قَدْ بَحثْنا"
قال : "وَمَا لا يُوجَدُ ، هوَ الآنَ مُناىَ"

لا تُدرِكَهُ الأبصارُ وهو يُدرِكُ الأبْصارَ
من صَنْعَتُه جَلِيَّةٌ ، وهو خَفِيٌّ عَنْ العَيان (٧) ، مُناىَ

سمعَتْ أذُنى قصَّةَ الإيمان فَتَملتْ
أما لِلْعينِ نصيبٌ ؟! إنَّما وَجْهُ الإيمانِ مُناىَ

قدحُ الخَمْر بيَد ، وجَدائلُ شَعْرِ الحبيب بيَدٍ
إنَّ رَقصَةً وَسْط هذا المَيْدانِ ، مُناىَ

* * *

---

(٧) صُنعُ الله فى خلق العالم والإنسان ظاهرٌ جلىٌّ ، لكنّه - تعالى - خفىّ لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار .

* (٦٦)

لاَتَحْتَجِبْ ، فَوجْهُكَ عَلينَا مُبارَكٌ
نَظرُكَ إِلى الأَحبة جَمْعاً ، مُبارَكٌ

لاَ تَقْبِضْ ظِلَّكَ أبَداً عَن رُؤوسنَا
وَقَدْ عَلِمتَ أَنْ ظِلّ العَنْقاَ (١) مُبارَكٌ

يَارَبيعَ الحُسْنِ تَعالَ ، فَذاكَ الهَواءُ العَليلُ
عَلى الرِّياضِ والمُروج والدِّمَنِ والصَّحْرا مُبارَكٌ

يَامَنْ مائةُ رُوحٍ مُقَدَّسَةٍ لَكَ فدىً
فَمَن ذَا يَبْلغُ حَيَّ العشق ، فَهُنَاكَ ثَمَ مُبارَكٌ

يَا أسَارى الجَسدَ ! هَلُمُّوا للتَّفرج عَلى الحَبيبْ
فَقد قَال الرَّسولُ ، " التَفَرُّجُ مُبَارَكٌ "

(*) مطلعها : پنهان مشو ، كه روى تو بر ما مبارك است
نظارهُ تو بر همه جانها مبارك است

(١) العنقا : انظر القصيدة ٦٥ ، هامش ٢ .

ما منْ ورقةٍ أو شجرةٍ إلاَّ وهي رسولٌ من العدَمْ
بمعْنى أنْ : كُلَّ نبتٍ مصفَّاً مُباركٌ

فإن تكلَّم الورَقُ والشّجَرُ بغيرِ لسانٍ
فاسْمعْوا بِغَيرِ آذانٍ ؛ فَأَمْرُ كَهَذاَ مُباركٌ

طيفُكَ يردُ إلى عَينى فِى التوّ واللَّحظةِ
واللّهِ جَاءَ مُباركاً ، وَهَو حقاً مُباركٌ

ما اصْطَبغَ بَهذاَ التّرْب منْ أَثَرٍ ، جَاحِدٌ
إنّما الأثرُ المصْطَبِغُ بالعُلا مُباركٌ

يروقُ ويَحْلو جَمالُ الرَّبيع لأَهْلِ التُّرابْ
وهياجُ البحر للأَسْماكِ مُبارَكٌ

ليسَ للقَلبْ مجالٌ أن يُفْصِحَ عَن الذَّوْق
فالرُّوح تَسْجدُ قائلةً : "إِلهَناَ ، مُبارَكٌ"

* * *

* (٦٧)

أَنا يُوسفُ الكَنْعانيّ ، وجهي القَمَريُّ بُرهانٌ مبينْ
فَما طَلبَ أَحدٌ مِن الشَّمسِ كِتابةً وشُهُودًا (١)

أَنا السَّرْوُ السَّامقُ ، سَأُعطيكَ على صِدْقه دَليلاً
لَنْ تَجدَ مَنْ يَزْهُو عَلى السَّرْوِ فِي الاستِقَامَه قَدًّا

أَيَّتُها الوُرودُ والمُروجُ ، مَنْ شَاهِدُكْ ؟
– اللّوْنُ فِي العيُونِ ، والرَّائِحةُ في الحَشاَ

إِن كانَ العَقلُ قَاضياً ، فَأينَ خطُّه ومَنْشُورُهُ ؟
– رُؤْيةُ عَاقِبةِ الأَمرِ : صَبْرٌ ووقارٌ ووَفا ؟ (٢)

إنْ كَانَ العشقُ مَحْرَماً ، فَما عَلامَةُ الحُرمة ؟
– مَن كانَ كُلّ شئٍ – إلا وجه الحبيب – عِندَه فَناءً عَدَما

ومَا الدَّليل عَلى أنّ هُناكَ عَالَماً آخَرَ ؟
– تَجدُّدُ الأحْوالِ ، وذَهابُ مَا تَقَادَمَ وَبَلىَ

(*) مطلعها : يوسف كنعانيم ، روى چو ماهم گواست
هيچ كس از آفتاب خط وگواهان نخو است

(١) لا يطلب أحد من الشمس أن تبرهن على أنها منيرة .

(٢) يعني أنه لابد للعقل من أن تتوافر فيه هذه الشروط الثلاثة للتوّصل إلى حكم صائب فيما يعرض له من قضايا وبخاصة القضايا التي هو مؤهل للنظر فيها .

نهارٌ جديدٌ وليلٌ جديدٌ ، روضٌ جديدٌ شركٌ جديدْ
كلَّ حينٍ فكرٌ جديدٌ ، فالجديدُ حُسنى ، والجديدُ غنىَ

من أينَ يأتى الجديدُ ؟ وأين يذهبُ ما قدُمَ وبلى ؟
- أليسَ وراءَ النّظر عالمٌ بغير انْتها

العالمُ كماء الغدير يبدُو مُتماسكاً لكنّه
يمْضى ويتعاقبُ دوْماً ، فمنْ أينَ هُوَ ؟ (٢)

صه ، ولاَ تقُل بعدُ شيئاً ، فمنْ ذَا الذّى يحقُّ لهُ القولُ
فتشْ عن مصدرِ القوْلِ : إنما هُوَ مليكُنا ، وكفى

مليكٌ يمنحُ الرُّوح مُلكاً ، فخرُ أهل تبريزَ
هُوَ منْ ينْطقُ فِى أسْرارِ العِشقِ ، نطقَ المُصْطفىَ

* * *

---

(٢) يرى جلال الدين الرومى - خلافاً لأغلب المفكرين القدماء - أن الدنيا فى حالة من التبدل والتغير الدائم ، وأن أهم مبدأ من مبادئ المعرفة الكونية إنما يكمن فى تغير العالم وتجدده ؛ وهو يرى أن الكينونة فى الزمان تشبه النهر فيكون قطرة قطرة وإن بدا أمراً مستمراً .

* (٦٨)

يَتَناهَى صَوتُ العِشقِ كلَّ حِينٍ مِن يَمِينٍ وَيَسَارْ
سَوفَ نَمضي إلىَ الفَلَكْ ، فَمَنْ يَعْزِمُ عَلى التَّفرُّجِ والرُّؤى ؟

قَدْ كُنَّا فِي الفَلَكْ ، صُحبةً مَعَ المَلَكْ
ثُمَّ نَمضي هُناكَ دَفْعَةً ، فَما تلكَ إلاَّ دارُنا

نَحنُ أَسْمى مِن الفَلَكْ، نَحنُ نَربُو عَلى المَلَكْ (١)
فَما لَنَا لاَ نَجتَازُهُما ؟ والكبرياءُ نُزُلُنا

الجوْهَرةُ النَّقيةُ مِنْ أينَ ؟ عَالمُ التُّرابِ مِنْ أينَ؟
عَلاَمَ كَانَ هُبوطُكَ ؟ ارْتَحلْ ؛ أيُّ مَكانٍ هذا ؟

الحظُّ المُساعدُ رَفيقُنا ، بَذْلُ الرُّوحِ دأبُنا
حَادِي قَافِلَتُنَا : فَخْرُ العَالمِ : المُصطَفَى

انْشَقَّ القَمرُ مِنْ قَمْرِه ، لم يَقْوَ عَلى رُؤْيَته (٢)
يَا لَهُ مِنْ سَعدٍ نَالَهُ القمرُ ، إذ يَقْبعُ كالشّحاذ يَسْتَجدى منه فضْلا

(*) مطلعها : هر نفس آواز عشق مى رسد از چپ وراست
ما به فلك مى رويم ، عزم تماشا كراست ؟

(١) إشارة إلى معراج النبى - ﷺ - .
(٢) إشارة إلى معجزة انشقاق القمر للنبى - ﷺ - .

هبَّ هذا العطرُ العذْبُ ، من ثنيّات طُرّته (٣)
تألّقَ هذا الطَّيفُ ، بطلْعَة «والضُحَّى» (٤)

فى قَلْبِنَا فانْظرْ ، كلَّ حينٍ "شَقَّ القَمرْ" (٥)
فبفيضِ تلك النظرة ، لِمَ تَرنُو بِعَيْنِكَ وَراءَ العَالَمِ ، لِمَ ؟

النَّاسُ كَطيرِّ المَاءِ ، قد وُلِد مِن بَحرّ الرُّوح
فكَيْفَ يُقيمُ هَاهُنا ، طَيْرٌ من ذَاكَ البَحْرِ نَشَا ؟

بلْ نحنُ أمراءُ البحر ، فيه نَنْهى ونَأمُرُ
وإلاَّ فلِمَ يتبعُ بعضُ المَوْجِ مِن بَحرْ القَلبِ بَعضَا ؟

قد طَمَّ موج "أَلَسْتُ" (٦) فأحاط بِسَفينِ القَالبِ
فإنْ صَارَ السَّفينُ حُطاماً ، فَهْيَ نَوبةُ الوَصْلِ واللِّقا

* * *

---

(٣) الحديث عن النبى - ﷺ -.

(٤) إشارة إلى الآية الأولى من سورة «الضحى»، ويريد الشاعر وجه النبى - ﷺ -.

(٥) تضمين من الآية الكريمة « اقتربت الساعة وانشق القمر » (القمر : ١) .

(٦) "ألَسْتُ" إشارة إلى بدء الخليقة حين أخذ الحق تعالى على الناس الميثاق من قول الله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ...» (الأعراف : ١٧٢) . ويعنى أن الإنسان حين يأتيه الموتُ يأتيه اليقين - كموج البحر - بأن لا ربَّ له إلا الله ، فيحطم هذا الموج جسده كما يحطم موج البحر السفن ، ولايبقى عند ذاك شئ يحول بينه وبين لقاء الله .

* (٦٩)

هى نَوْبةُ الوَصْلِ واللّقا ، هِى نَوْبةُ الحَشرِ والبَقا
هِى نَوْبةُ اللَّطف والعَطَا ، بَحرُ الصَّفا فى الصَّفا

ظَهَرَ دُرْجُ (١) العَطاَ ، وَصلتْ غُرَّةُ (٢) البَحْرِ
تَنفَّسَ صُبحُ السَّعْدِ ، أىُّ صُبحٍ هُوَ؟ نورُ اللَّه تعالىَ

مَنْ الصُّورةُ ومَنْ التَّصوير ؟ مَنْ هَذا المَلكُ وَهذا الأميرْ؟
مَنْ هَذا العَقْلُ المُسِنُّ الضَّرِيرْ ؟ هَذه كُلَّها بُرقُعٌ أو غطاَ

لُعْبَةُ الحُجُبِ والبَراقعْ ، مَثلُها مَثلُ الفقَاقيع
ونبعُ كُلٍّ الشَّرابِ المُساغِ ، فِى رَأسِك وعَينك مَعا

فِى رأسكَ ثَنْيَةٌ ، لكنّ لكَ رَأسيْن
رأسُ التُّراب ، هذه مِن أديمِ الأَرضِ ، وتلك الرأسُ الطَّاهرةُ من السَّما

(*) مطلعها : نوبت وصل ولقاست ، نوبت حشر وبقاست
نوبت لطف وعطاست ، بحر صفا در صفا ست

(١) دُرج :كذا ، كلمة عربية الأصل ، والدُّرج الصندوق الصغير الذى يشتمل على الحوائج الثمينة .

(٢) غرّة ، كذا ، كلمة عربية الأصل أيضا ، وهى ما ابيضّ من شعر فى جبهة الخيل ، أو بدء كل أمر .

كَمْ مِن رُؤوسٍ طاهرةٍ تهاوتْ تحتَ أقدامِ التُّرابْ
كَيْ تَعلمَ أَنَّ تلكَ التى هِيَ مِن الرَّأسِ الأُخْرى قائمةٌ أبَدا

الرَّأسُ الأصْليّةُ خَفاءٌ ، والرأسُ الفَرعيّةُ عَيانْ
فاعلمْ أنّ وَراء هذِه الدنيا عالمٌ مَا لَهُ انتها

أَوثِقْ الدَّنَّ أيُها السَّاقِى ! فَهُوَ عَلى خَمْرِنَا غَيرُ بَاقٍ
إنَ قَدَحَ المَدارِكِ أَضيقُ، مِنْ هذِى المضَايق كُلِّها

مِنْ جِهةِ تَبْريزَ أَضاءَتْ شَمسُ الحَقِّ ، فَهتَفْتُ بها :
"نورُكِ بالكُلِّ مُتَصِّلٌ ، ومُنفَصِلٌ أَيْضا "

* * *

*(٧١)

أىُّ جوهرةٍ أنتَ !! ، فما بكف أحدٍ لكَ ثمنُ
وما تملكهُ الدُّنيا بكفِّها ، لا يَبْلغَ أن يكونَ لكَ عطاءَ

ليسَ أَسْوأَ من أن يَعيشَ المرءُ دُونَ وَجهكَ
فلا تُعامِلنى بِما أَنا له أهلُ

أُريدُ أَنْ أَجْعلَ قَلْبى ورُوحى كُلَّ حينٍ ، تحتَ قَدَمَيكَ نِثاراً من تراب
فَسُحْقاً لِرُوحٍ لَيْسَتْ لقدمِكَ تُراباً

مُبارَكٌ هَواؤكَ لكلِّ طائر
أىُّ الطُّيورِ غَيْرُ مُباركْ ؟ مَن لَيسَ فى هَوائكَ مُحلِّقا

مَا منْ أحدٍ وَقَفَ وَسْطَ مَوْجِ الحَادِثَاتِ يَنْجو بالعَومْ ؛
إنْ لَمْ يكنْ بِكَ عارفاً حَقّا

لاَحَدَّ للثَّناء ولا للمُثنين عليكَ
وهَلْ مَنْ ذرّةٍ إلاَّ وَهِيَ ، بالثَناءِ عَليكَ حَيْرى ؟

(*) مطلعها : چه گوهرى تو كه كس را به كفْ بهاى تونيست
جهان چه دارد در كف كه آن عطاى تونيست

ما القولُ إلاَّ ما قَال "نظامى" (١) شعْرا
" لا تجْفُ، فَلستُ لجفائك مُطيقاً" .

* * *

(١) نظامى الگنجوى ، الشاعر الفارسى المعروف فى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى . ولد فى «گنجه» بجمهورية آذربايجان، وله خمس منظومات شعرية هي عبارة عن قصص فى الحب والحكمة والشجاعة ، وتُعرف هذه المنظومات بـ«الكنوز الخمسة». راجع كتاب : "نظامى الگنجوى" شاعر الفضيلة، للأستاذ الدكتور عبدالنعيم محمد حسنين ، طبع مصر، سنة ١٩٥٦ .

* (٧٢)

شَانى أنْ لَيْسَ لِى شَأنُ
أنا عاشقٌ ، مِنْ عِشقِكَ لا أَخْلوُ

وَما افْتَرسَنى أسَدُ حُزْنكَ إلا
لأَن هَذا الأسد ، ما هُوَ لِى صيدُ (١)

يا لهَا مِنْ جَوهَرةٍ فِى قَاع هَذا البَحرِ
جَعَلَتنْى كالَموجِ ، لاَ أقِرُّ ولاَ أسْلُو

أَنا عَلى شَطِّ بَحركَ مُقيمٌ ، مُقيمْ
ثَمِلٌ بالشَّطِّ أنا ، إلاّ أَنىِّ لَيس لِىَ شطٌّ

اكتَسَبَ خَمرُكَ من الجِبالِ السّكونْ
فَلا تَلُمْنى أنْ لا وَقار لىَ قَطُّ

(*) مطلعها : كار مَن اين است كه كارم نيست
عاشقم ، از عشق تو عارم نيست

(١) لعله يعنى داهمنى أسد مفترس هو الحزن على فراقك دون أن أنتبه لدفعه عن نفسى ، فكل همّى موجّه إليك .

فرْعى هُو منْ وُلد منْ العشْق
فما لِى خَيرٌ مِنْه فرْعٌ ولا صُلْبُ (٢)

أىُّ شْىءٍ يَزْهُو عَلى العَالَمْينِ بالسَّبْق ؟ مَدِينةُ العِشْقِ !
ليْس لِى غَيرَها مِنْ مَدِينةٍ تَزْهُو

إنْ أنا لَمْ أَخُطَّ كَلاماً بَعدُ
فليْسَ لأَنِّى لَيسَ لِى مَنْ أحبُّ

* * *

---

(٢) الفروع والأصلاب : الأبناء والآباء .

* (٧٤)

مَرَّةً أُخْرى ، اتَّخذتِ الورْقاءُ (١) بيتَ القَلبِ عُشًّا
وشرعَتَ فى الهتافِ والصُّداحْ

وحين بَلَغتْ صَيْحةُ السُّكارىَ عَنانَ السَّماء
بَسَطَ النَّسرُ الطَّائرُ هَنالكَ الجنَاحْ

مرآةٌ ، صَنَعَها من الماءِ والطِّين -
ثُمَّ فى المُقابل نَصبَها - خالقُ الأَرْواحْ

صُوَرٌ شتَّى من المرآةِ صَدَرتْ
فَقَبِلَ مَا كانَ منْها لَهُ مُيَسَّرا

فَمن كانَ ذَا قَلبٍ انطلقَ فى إِثْره
ومَن كانَ ذَا رأسٍ اتَّخذ لهُ منْبَرا

* * *

(*) مطلعها : خانهء دل باز كبوتر گرفت
مشغله وبقربقو در گرفْت
وهى رقم ٧٦ فى مختارات الأستاذ كدكنى

(١) الورقاء : الحمامة .

* (٧٥)

أقْبَلَ اللّيلُ ، أَقْبَلَ اللّيلُ ، غَرُبتْ الشَّمسُ فِى الجُبّ
صَارت شمسُ رُوحِ العَاشِقِينَ مع اللّهِ فى الخَلْوَةَ

الصُّبحُ فِى اللَّيلِ البَهيمْ ، كالتُّركىٍّ بينَ الهنودْ (١)
قُمْ بالإغَارةِ لَيلاً ، فالتُّركىُّ فِى الخيمَهْ (٢)

إنْ نلْتَ مِنْ هَذا الضّياءِ نَفْحةً ، أَشْعَلْتَ فى النَّومِ نَارًا (٣)
فَمنَ السُّرَى (٤) والرِّقِّ ، صَارت الزُّهَرةُ والقَمرُ فى رُفْقه

فَرَّ ارُونِ باللّيلِ نَسْعى ونشْتدُّ نَحنُ ، فى إثْرنا زنوجُ تَعْدُو وتَركضُ
فَقدْ سَرقْنا الذَّهبَ ، وعرَف الحارسُ بالسَّرِقَةْ

(*) مطلعها : بيگاه شد ، بيگاه شد ، خورشيد اندر چاه شُد
خورشيد جان عاشقان در خلوت الله شد

(١) كالتركى بين الهنود : كرجل أبيض وسط جمع من السود .

(٢) لعل الشاعر يرمز إلى قول الرسول - ﷺ : «ينزل ربّنا إلى سماء الدنيا .. كل ليلة ...» رواه البخارى فى باب التهجد ،١٤ ، ومسلم فى «المسافرين» ١٦٨ - ١٧٠ . ولعل الشاعر يرمز بالإغارة : إلى الإلحاف فى الدعاء والتقرّب من الحق - تعالى - فى الساعات المباركة من آخر الليل ، والخيمة : قبّةُ السماء الدنيا . والمعنى أن الرّحيم الودود ينزل ليلاً إلى السماء الدّنيا ، فاغتنم الفرصة .

(٣) أى تترك النوم تماما .

(٤) السُّرى : السير بالليل .

تعلّمْنا السُّرى باللّيلِ ، أحْرَقْنا مائةً مِن العَسسِ
أضأنا صَفَحاتِ وجوهٍ كالشَّمعِ ، فغدا بَيْدَقُنا "شاهٌ" على الرُّقعةِ (٥)

يا سَعْدَ وجه سَعدٍ ، أتى بالوَجه قُربَ ذَاكَ الوجْه
ويا كَرَّ قَلْبٍ ولّى شَطرَ ذاكَ الحَبيبِ وفَرَّهْ

مَن ذَا فى طريق القَلبِ لاَ يتأوَّه
طُوبى لغريقِ تلكَ الآهَةِ ، ولَوْ كَانَ فى اللُّجَّهْ

حِينَ يَغْرقُ فيِ البَحْرِ ، يَرْفَعُهُ البَحرُ عَلى رَأسهِ
كيوسُفُ عَلا مِن الجُبِّ، إلى المُلكِ والمُكنَهْ (٦)

---

(٥) الوجه والبيدق والشاه والرقعة مصطلحات فى لعبة الشطرنج.
(٦) إشارة إلى قوله تعالى : « وكذلك مكّنا ليوسف فى الأرض ...» (يوسف : ٥٦).

أَقْبَلَ اللَّيلُ ، أقبلَ الليلُ ، غابتْ الشَمسُ فى الجُبَ
هَلُموًا أيُّها المِلاحُ ، فالوقْتُ وَقْتُ طلوع البَدْرِ البَهِى

ويَا سَاقى اذْهبْ إلى الكَأسِ ، ويَا حَارسُ اصْعدْ إلى السَّقْف
وتَخَلَّيْ أيَّتُها الرُّوحُ القَلِقةُ ، فالحَبيبُ قَدْ أَزْمَعَ الخَلْوه (١)

الدَّمْعُ الذى كانَ يُتلفُ العينَ ، والصَّبْرُ الذى كانَ يَحْرقُ الجُرْنَ
العقلُ الّذى كان يَسْتَبينُ الطَّريقْ ، قد ضَلَّ حينَ انتصفَ اللّيلِ فى العَتْمهْ

أرواحُ مَنْ أنَارتْ مِنهمُ الأَفئدةُ ، تُضِيء اللَّيلِ بالقَلبِ
فَذا هِنْدىُّ اللّيلِ يَصرخُ : التُّركىُّ فى الخيمهْ (٢)

بِلُعبةٍ بَارعةٍ قد يمضى البيَدقُ، فَيغْدو وَزيرا
أو يتحوَّلُ البيدق إلى "شاهٍ" بظِلٍّ مُباركٍ لرُقْعَهْ

(*) مطلعها : بيگاه شد ، بيگاه شد ، خورشيد اندر چاه شُد
خيزيد اى خوش طالعان ، وقت طلوع ماه شُد

(١) أزمع الخلوة : رغب فيها .

(٢) يريد بالتركى هنا الشمس ، ويرمز بالهندى إلى ظلمة الليل، (راجع هامش «١» من القصيدة ٧٥ ، ص ٢٠٣ فيما سبق) .

الأرواحُ باللَّيل واصلهْ ، المقاصدُ باللَّيل حاصلهْ (٣)
يَصيرُ مُضيء القلبِ كالنَّهار ، مَنْ صَارَ عَليماً بقدْرِ الليلِ والظُلمهْ

فَيَا صُبحُ ، أأَنْتَ يَومُ الحَشْر ؟ ويَالَيلُ ، أأَنت لَيلةُ القَدْر ؟
أم صِرْتَ مُظْهِراً لله ، كما رأى موسى «مِنَ الشَجَرهْ» (٤)

لا تَكُنْ غَافلاً فى بئرِ اللَّيل ، أمْسِكْ بِرقبَة الدَّلْو
قَد أمَسَكَ يوسُفُ بالدَّلوَ ، فصارَ مِنَ البئر إلى الرِّفْعَهْ

* * *

(٣) لليل قيمة كبرى عند المُحبين ، وفى ظُلمة الليل تتلألأ قلوبهم بنور الحق - تعالى - .

(٤) إشارة إلى الشجرة التى تجلى الحق - تعالى - عليها لموسى ، من قوله تعالى : «فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله أمكثوا إنى آنست ناراً لعلّى آتيكم منها بخبرٍ أو جذوة من النار لعلكم تصطلون * فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله ربُّ العالمين ...» ، (القصص ٢٩ - ٣٠)

* (٧٧)

إن تَكلَّمتْ رُوحُ العَاشقِ أضْرمت النَّارَ فى هَذا العَالم
فجعلتْ هَذا العالمَ مُجْتثَّ الأصْلِ (١) هَباءً أو كالعَدَمْ

يَغْدوُ العالمُ كُلُّه بَحْرا ، يَغْدو البحرُ من الهيبة "لا" (٢)
فلا يَبْقى آدَمىٌّ أو إنْسان ، حَتىَّ ولَوْ تشَبَّثَ بِتلابيبِ آدَمْ

يَصَّاعدُ دُخَانٌ من الفَلَكْ ، فلا يَبْقَى خَلْقٌ ولا مَلكْ
فإذا بنارٍ تَشُبُّ مِن ذَاكَ الدُّخانِ ، فى القُبَّة الأَعْظَمْ

تَنشقُّ عِند ذَاكَ السَّماءْ ، فَلا يَبْقى كَونٌ ولا مَكانْ
يَعُمُّ الاضْطرابُ العَالمَ ، ينْقلبُ هَذا الحَفْلُ إلى مَأْتمْ

تَارةً يحملُ النَّارُ الماءَ ، تَارةً يَبْلَعُ الماءُ النَّار
تَارةً يلطِمُ بَحرُ القِدَمْ ، كلَّ أَشْهبٍ (٤) وأدْهَمْ (٥)

(*) مطلعها : گر جانِ عاشق دم زند آتش درين عالم زند
واين عالم بى اصل راچون ذرهَ ها برهم زند

(١) مجتث الأصل : عديم الأصل .

(٢) أى يتضاءل العالم ويفنى .

(٣) لعل الشاعر يريد ببحر القدَم ما ورد فى قول الحق تعالى : «وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيّام وكان عرشُه على الماء ... الآية » (هود : ٧) .

(٤) الأشهب : الأبيض عليه نقاط سوداء.

(٥) الأدهم : الفرس الأسود .

يَعْتَرِى الشَّمسَ النُّقصانْ ، فتَغْدو أقلَّ نُوراً من رُوح إنسانْ
عَن الغُرباءِ لا تَسَلْ ، حيث يصَّاغَرُ كلُّ محرَمْ

يَترِكُ المرِّيخُ الشَّهامه (٦) ، يحرق المُشْتَرى (٧) الدَّفتر
يَذْوِى جَلالُ القَمرْ ، ينقلبُ سَعدُه حَزَناً وغَمْ

يَسْقطُ عُطاردُ فى (٨) الوَحَل ، تَضْطَرِمُ النَّارُ في زُحَلْ (٩)
لا تَبقَى الزُّهَرَةُ مُزْهِرةً ، ولا تَضْربُ للسَّعْدِ نَغَمْ (١٠)

لا يَبْقَى قَوسٌ ولا قُزَحْ ، لا يَبْقَى خَمرٌ ولاَ قَدَحْ
لا سَعْدَ يَبْقى ولاَ فَرحْ ، ولا جُرحَ يُعالَج بِمرْهَمْ

صَفْحةُ الماء لا تَنْتَقِشْ ، والرِّيحُ أيضاً لا تَفْتَرِشْ
والرَّوضُ بالحُسنِ لا يَرْتَقِشْ ، وغيمُ نيسانَ بالقطرِ لا يَنْسجِمْ

---

(٦) المريخ : يُرمز إليه فى الأساطير بالشجاعة والفروسة.
(٧) المشترى : يقال له قاضى الفلك.
(٨) عطارد : يُرمز إليه بكاتب الفَلَك .
(٩) زحل : كان القدماء يرون فيه النحس الأكبر .
(١٠) الزُهَرة : رمز الغناء والموسيقى .

لا يَبْقى ألمٌ أو دوا ، لا خصم يبقى ولا من يَشهدُ
لا ناى يَبْقى أو لَحنْ ، ولا مِنْ قِيثارةٍ تَترنَّمْ

تَتَنحىَ الأَسْبَابُ وتَبطُلُ ، يَغدو السَّاقى لِنفسه سَاقيَا
تَهتِفُ الرّوحُ : "رَبْى الأَعْلى" ، يُتَمتِمُ القَلبُ : "رَبِّى الأعلَم"

تَنَبَّهْ ، فَنَقَّاشُ الأزلْ، بَاشَرَ - للمَّرة الثَّانية - العَمل
كَيْ يَنقُشَ بلاَ بَدَلْ ، نُقوشاً عَلى كُسْوَةِ المُعْلَمْ (١١)

يُشعُلُ "الحقُّ" ناراً ، تَحرِقُ كُلَّ مَا لَيس بِحقْ
فتحرقُ النَّارُ القُلَّبَ، (١٢) وتأتى عَلى قَلبِ ذاكَ العالَمْ

شَمسُ الحقِّ ، القَلبُ لَها شَرْقٌ ، يَلْمَعُ بَرْقُهُ
كُلُّ بُرهةٍ على "ابن أدهم" (١٣)، ويَشِعُّ عَلى "عِيسىَ بنِ مَرْيمْ"

* * *

(١١) كُسْوَةُ المُعْلَم : كذا فى الأصل ، كلمتان عربيتان ، ومعناها الكسوة المنقوشة .
(١٢) القُلّبْ : المنافق ، المخادع .
(١٣) يعنى ابراهيم بن أدهم البلخى ، من كبار الزهاد، توفى سنة ١٦١هـ.

* (٧٨)

امْضِ ، وقُلْ لِذاكَ الرَّبَابِ : "السُّكارى عَليكَ يُسَلِّمونْ"
وقُلْ لِطيرِ المَاءِ : "السُّكارى عَليكَ يُسلِّمْونْ"

وللأَميرِ السَّاقى : "السُّكارى عَليكَ يُسلِّمونْ"
وللعُمْرِ البَاقى : "السُّكارى عَليكَ يُسلِّمونْ"

ولأَميرِ الفِتَنْ : "السُّكارى عَليكَ يُسَلِّمونْ"
وللمحبَّةِ والشَّجَنْ : "السُّكارى عَليكِ يُسلِّمونْ»

أيَهَا القَمْر ، يا مَن ينْشأ من طَلعَتكَ الخَجلْ : "السُّكارى عَليكَ يُسَلِّمونْ"
يا مَن أنتَ للقَلبْ أُنسٌ لا يتحَول : "السَّكارى عَليكَ يُسَلِّمونْ"

يَا رُوحَ الرُّوحْ ، يَا رُوحَ الرَّوحْ : "السُّكارى عَليكَ يُسَلِّمونْ»
يا مَنْ أنْت هَكذا ومائةٌ مثلُ ذَاكَ : "السُّكارى عَليكَ يِسَلِّمونْ"

(*) مطلعها : رو آن ربابى را بگو "مستان سلامت مى كنند"
وان مرغ آبى را بگو : "مستان سلامت مى كنند"
" لم تراع فى هذه القصيدة قواعد الغزل الفارسى " تعليقات الأستاذ كدكنى .

ليسَ هَا هُنا مِنْ مفيقْ : "السُكارى عَليكَ يُسلِّمون"
هُنا سَكرانٌ واحدٌ بغير رَفيقْ :"السُّكارى عَليكَ يُسلِّمونْ"

يَا أمَلَ الأَملِ : "السُكارى عَليكَ يُسَلِّمون"
أَزِحْ السِّتارَ وعَجّل : "السُّكارى عَليكَ يُسلِّمون"

* * *

(٧٩) *

حُبُّك يَجرى فى نَهْرِ الرُّوحِ جَرىَ مَاء الحياةِ
ماءُ الحياةِ يَجرى بِعْشقكَ فى نَهرِ الطَّالبينْ

العالمُ ملآنٌ بالحَمْد والثَّنَا ، قَد تَعلَّمَ مِن البَبَّغَاوات الغِنَا
يُحلِّق طَائرُ قلبى عَالياً ، حِينَ تضجُّ الطُّيورُ بالذِّكْر أَجْمعينْ

بالرُّوحِ أَفْدى ذِكْرَها (١) ، أُضحِكُ الرُّوحَ لأَجْلها
فإنْ لم تَضْحَكِ الرُّوح أو تَبْسِمِ ، فَكيفَ تتركُ الجسَدَ فى لُطْفِ الُمحبِّينْ؟ (٢)

مَا الرُّوحُ ؟ دَنُّ المُلوكِ ، بِه خَمرُ السَّماءِ
ومِن ثَمَّ يَمْضِى الكلِمُ ، أَشْعَثَ أَغبرَ كالمجانينْ

فِى شُرْبىَ ذَوْقٌ آخَرْ ، فى سَيْرى ذَوْقٌ آخَرْ
فى قَوْلىَ ذَوْقٌ آخَرْ ، والبَاقى مِثلُ ذَلك كالقَرينْ

(*) مطلعها : سوداى تو در جوى جان چون آب حيوان مى رود
آب حيات از عشق تو در جوى جويان مى رود

(١) يفدى الشاعر بروحه تسبيح الطيور .

(٢) حين تطمئن الروح إلى أن الكون كله يردد ذكر الحبيب ، ويسبِّح بالتحميد ، تتفاءل ، وحين يحين الأجلُ تَنطلق من الجَسد بلطف المُحبِّ .

القمرُ فى إثْر الصَّوْلجان يسْعى ، هبْ نفسك كُرةً
فروُحِ الشَّمسِ تخْفِقُ، حِين تَتدحْرَجُ الكُرةُ أو تبين (٣)

* * *

(٣) تبين : تبعُد ، وعن الصَّولجان والكرة ، راجع فيما سبق القصيدة رقم ٥٠ . هامش ١٠ ، ص ١٥٥ ، والمراد هنا رحمة الحقّ تعالى بالإنسان ، انظر حديث النبى - ﷺ - " لله أرحم بعباده من هذه بولدها" رواه البخارى : الأدب ١٨ ، مسلم : التوبة : ٢٢ .

* (٨٠)

أتى رَبيعُ العَاشقِينَ لتُصبحَ الأرضُ رَوضةً
أتى نداءُ السَّماءِ لطائرِ الرّوح فَحلّقَ

طَغَى البحرُ بالجَوْهرْ ، غَدا المِلحُ كالكَوْثَرْ
منجماً للياقُوتِ تَحوّلَ الحَجَرْ ، كما تَحّولَ الجَسدُ إلى رُوحٍ جَمْعَا

العُيونُ والأَرواحُ فى العَاشقِينَ غَدتْ سُحُباً ثِقالاً
فَمَثلُ القَلبِ فِي غمامِ الجَسَدِ ، كَمَثلِ البَرقِ يُواصِلُ الرَّعدَ

أتَدْرِى لِمَ صَارتْ عُيونُ العَاشِقينَ فى العِشقِ كَالسَّحابْ ؟
لأَنَّ القَمرَ يتَخَفَّى فِى الدِّيمِ (١) دَوْمَا

يَا لَها مِنْ غِبْطَةٍ ، سَاعَةَ أَنْ يَبْكى السَّحَابُ
بُورِكَتْ يَاربِّ حالةٌ ، صار فيها البرقُ ضاحكا

(*) مطلعها : آمد بهار عاشقان تا خاكدان بستان شود
آمد نداى آسمان تا مُرغ جان پُرّان شود

(١) الدّيم : السحب الممطرة .

هيَ قطراتٌ بمئات الآلاف لا تُعدُّ ، فلو انَ واحدةً
منها نزلَتْ على الأرْضِ ، لصارَ العالمُ كُلُّهُ خرِبَا

يصيرُ العالمُ كُلُّه خرِبا ، وكُلُّ خَرِبٍ يَصيرُ بالعشْقِ
لنُوحٍ في السَّفِينةِ صَاحبًا ، ولأسْرارِ الطُّوفانِ مَحْرَماً (٢)

لو سَكَنَ الطُّوفانُ ، لَما دَارتْ السَّماوات
فمن ذلكَ المَوْجِ الخَارجِ عَن الجِهة ، تَتَحرَّكُ الجِهاتُ الستُّ أَبَدا

إنْ بَقيتَ تَحتَ الجِهات السِّتِّ ، تجرَّعْ الحُزنَ ثُمَّ تجَرَّع الحُزنَ
فالبُذُورُ سَوفَ تَصبحُ للنّخلِ وَاحةً يَوْماً

الرِّزقُ يَنشأ مِن التّربِ ، يجعلُ الجِذْرَ غُصْناً رَطْباً
فإنَ جَفَّ غُصْنٌ أَوْ غُصْنَانْ ، صَارتْ البَقيَّةُ حُبْلى

شيءٌ مَا أَغْلَقَ فَمي ، أيعني ثَملٌ أَنا ؟
كلُّ مَا تُصبحُ أنتَ مِنهُ حَيْراناً ، صَارَ ذَاكَ الشّئُ مِنهُ حَيْرانا

---

(٢) المحرم : القريب ، العارف بالأسرار .

*(٨١)

يُسَلِّمُ عليكَ مَخْمورٌ ، يَبْعثَ برسَائله إليكَ سِرًّا
مَنْ سَلَبْتَ منهُ الفُؤادَ ، رَاحَ بالرُّوح يَعْبُدُكْ

يَامَنْ جَعَلْتَ العدمَ وجُودًا ، اسمعْ سَلامَ المخمورِ
المَخْمورِ الذّى يُوثِق يدَيهِ مَعاً بِقَيد فَخِّكْ

ياسَماءَ العُشَّاقْ ، يا رُوح رُوحِ العُشَّاقْ
حُسْنُكَ بَينَ العُشّاقِ ، على مرادِ الأحِبَّةِ يَجْعلُك

يَا ذَوْقَ كُلِّ شَفةٍ، يَا قِبْلَةَ كُلِّ دين
القَمرُ كلَّ ليلةٍ عَسَسٌ ، يَطوفُ حولَ سَقْفكْ

مَنْ يَجْعلُ التَرابَ أبداناَ (١) ، ويَجعْلَ الدُّخَانَ ألْوَانا (٢)
فَياتُرابَ البَدنِ ! ويَا دُخانَ القَلبِ ! انظرُ فى أىِّ صُورةٍ يَجعلُكْ

(*) مطلعها : مستى سلامت مى كند پنهان پيامت مى كند
آن كو دلش را برده اى ، جان هم غلاست مى كند

(١) إشارة إلى خلق آدم من تراب .
(٢) إشارة إلى خلق العالم من دُخان (راجع سورة فُصّلتْ : ١١)

لحظةً جناحاً يهبُكَ ، لحظةً مرسى يمنحُك
لحظةً صُبحاً يجعلُكَ ، لحظة ليلاً يجعلُكَ

لحظةً يُرعِبُكَ ، لحظةً يُضْحكُكَ
لحظةً يُسْكِرُكَ ، لَحظةً كأساً يَجعلُكَ

أنتَ كالخَاتَمِ فى يَدهِ هوَ ، تَارةَ خمرٌ وتارة ثملٌ هُوَ
إنْ حطَّمَ هذا الخَاتَم ، فَواللَّهِ تامّاً يَجعلُكَ

تارةَ ذَاكَ وتارةً هَذَا ، نِهَايتُكَ " التَّمْكينْ " (٣)
غَير أنّه بِهذا " التلوين "(٤) ، رَاضياً مَرضياً يجعلُك

كُنتَ زَمناً " نُوحا " ، قَدُمُكَ كانتْ فى شدّةٍ
والآنَ – كالسَّفينَة – ، بِغيرِ قَدمٍ وَخْطَوٍ يجعلُك

صَه ، واقْعدْ حَيْرانَ ، حَيْرانَ يَبعثُ الحِيرةَ
قادرٌ أنتَ على القولِ ، إلا أنَّ القَولَ نَيِّئاً فَجّاً يجعلُك

---

(٣) التمكين ، زوال الصفات البشرية .
(٤) التلوين : لفظ مقابل للتكوين ، والتلوين هو الترقى فى مدارج السلوك .

(٨٢) *

رُشُّوا الطَّريقَ بالماءِ ، هيًّا ، فالحَبيبُ مُقبِلْ
زُفّوا لِلرّوضِ بُشْرى ، فَقطْرُ الرَّبيع مُقبِلْ

أَفسِحُوا الطَّريقَ لِلحبِيب ، أفسِحُوا لِبدْرِ التّمِّ
فَبِنُور طَلْعتهِ البَهيّهْ ، هَاهُو النُّورُ نِثاراً يُقْبِلْ

انْشَقَّتْ السَّماءُ ، سَرتَ في العَالمِ ضَجَّةٌ
يَفوحُ المِسْكُ والعَنْبرْ ، فَرايةُ الحبيبِ تُقْبِلْ

تَتخذُ الرّوضةُ الرّونَقْ ، يَصلُ القِنْديلُ والحَدَقْ (١)
يَتَنحَّى الحزنُ ويُطرِقْ ، فالقَمرُ على الرُّكْنِ يُقبلْ

يَمضي السَّهْمُ ينطلقْ ، صَوبَ الهَدفِ يَمرُقْ
فما بالُنا قَدْ قَعَدَنْا ؟! والمَلِكُ مِنَ الصَّيد مُقْبِلْ

(*) مطلعها : آب زنيد راه را هين كه نگار مى رسد
مژده دهيد باغ را بوى بهار مى رسد

(١) الحَدَق : العين .

الرَّوْض يَهُبُّ مُسَلِّما ، والسّرو يشُبُّ قائما
والمُروجُ تسيرُ الهُوَيْنَا ، والبُرعُمةُ راكِبةً تُقْبِلْ

أهلُ خَلوةِ السَّماءِ ، حتّام يَعبُّون الخمْرَ
خَرُبَتُ الرُّوحُ وثملَتْ ، والخِمارُ للعَقْلِ يُقبلْ

حين تَبْلُغُ حَيَّناَ ، فالصُّمتُ هُو طَبعُنا
فَمنْ قَوْلِنا وقِيلناَ ، تَرى النَّقْع (٢) و الغُبَارَ يُقَبل

* * *

(٢) النقع : الغبار المثار .

(٨٣) *

الحَبيبُ ، يأخذ بزِمَامى - ثانيةً - كالبَعيرْ
فَبأىّ قافلةٍ يُلحقُ بَعيرَهُ الشَّملَ ويَرُدُّه

جَرَحَ رُوحَى وجَسدى هُوَ ، كسَرَ زجَاجَتى هُوَ
قَيَّد بالأغلالِ عُنُقِى هُوَ ، فَما هُو صَانعٌ بَعْدُ

بشباكه يَحْملُنى - كالسَّمك - إلى اليابِسَهْ
يَدفَعُ بَشِباكِ قَلْبى نَحْوَ أَمِيرِ الصَّيْدِ

مَنْ يَسُوقُ قَافِلةَ السَّحاب ، تحت السَّماء ، كالجمالْ
- إلى الجبالِ والأَكْنَانْ ، فَيَسْقى بِها الوَادِى

يَدقُّ الرَّعْدُ الطبُّولْ ، قَد صَار الجُزء حَيّاً والكلُّ حَيَّا
يَدفَعُ عِطرَ الرَّبيع ، فِى قَلْبِ الغُصْنِ ولُبِّ الوَرْدِ

يَذهُبُ لُطفُ الرَّبيعِ ، بخمارٍ أوجَعَ الرَّوْضَ
وإِنْ كَانَ يَسْتَدْرِجُ الآن إلى الخِمَارِ جَفَاءَ أيَّام البَردِ (١)

(*) مطلعها : يارْ مرا ، چو اشتران ، باز مهار مى كشد
اشتر مست خويش را در چه قطار مى كشد

(١) فى الأصل : جفاء "دَىْ" ودَىْ أحد شهور الشتاء فى السنة القمرية الشمسية المعمول بها فى إيران ، ويعرف بجوه البارد الذى يكثر فيه تساقط البَرَدْ ، ومعناه أن الربيع يأتى لكى يسدل على قسوة أيام الشتاء ستار النسيان .

أَمِنْ تَذَوُّق قِطْعَةٍ مِن سُكَّرٍ
يَجْرى لِببَّغاء رُوحىَ الثمِلة مَا يَجرى ؟

أَمِن إطْلالة طَلْعة قَمرٍ
يَجرى لِزُهَرَتىَ المُولَعَةِ بالخَمرِ مَا يَجْرى ؟

بَحْرُ قَلْبى – وَقَدْ جَاوزَ مَوجُه تَاسعَ سَما –
تَمَلَّكَتْنى الحيرةُ لِما بِه – بِسبِبِ جَوهَرةٍ – يَجَرْى

رَوْضُ قَلْبى، ومَائَهُ إِرَمْ (١) فِى نَظَرِهِ عَدمٌ
طَارَ صَوابُ النّرجِسَة الَوليدة، لِما بِه – بِسبِبِ شجرةٍ – يَجرْى

الرُّوحُ جيْشٌ و أَنَاَ عَلَمٌ ، الرُّوحُ سَحَرٌ وأَناَ قطرةُ نَدى
قَلْبىَ ، شَمْسِى ، مَاذا بِه – كُلَّ سَحَرٍ – يَجرْى

تمزَّقَ القَلبُ مِزَقاً ، أمامَ النَّظَرِ والنأّظِرينْ
فَهذا الكَونُ كُلُّه ، مَاذا بِهِ – كلَّ لحظة – مِن نَظْرةٍ يَجرْى ؟

(*) مطلعها : طوطى جان مست من از شكرى چه مى شود !
زُهرهٔ ميپرست من از قمرى چه مى شود !

(١) إرم : الجنة .

مِنْ غَلَبات عشقه ، أىُّ هَياجٍ يَسْتَبد بالعَقْل !!
مِنْ لَمعَانِ رُوحه ، مَا الَّذى ببشرٍ (٢) يَجْرِى

أنَا بِأجْمعى كالزُّجَاجَةِ ، حِرفَتى صُنْعُ الزُّجَاجِ
آهٍ ، ما الّذى بِزجَاجَةِ قَلبِى - بسببِ حَجَرٍ - يَجرْى

الأذكياءُ وأهلُ الفِطَنْ ، وإنْ صَارُوا يَاقُوتَ المَنجمِ
عَنْ هَذَا غافِلُونْ ، فَما الّذى - بِسبَبِ الإغْفالِ عَنه يَجرِى ؟

مِن تَبْريزْ - وهى شَمسُ الّدِيْن - يَستَقيمُ القَلبُ والنَّظَرْ
تِلكَ نظَرةُ خَيرٍ مِنْ كليلٍ ، فَماَ الذّى لِكليلِ البَصرِ يَجْرى ؟

* * *

(٢) فى الأصل : جانور : أى ذو روح ، حيوان ، ولعل فيه إشارة إلى قول الله تعالى للملائكة : « إنى خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »(ص : ٧٢) .

* (٨٥)

طَيْفُ حَبيبىَ التُّركىِّ (١) يَتَّخذُ كُلَّ لَيلةٍ صِفاتَ ذَاتى
فَنْفُىُ ذَاتى فِيه هُو كُلُّه إِثْبَاتى

مِنْ حَرْفِ عَيْنِ "عَينِه" (٢)، مِنْ ظُرفِ "جَيم" (٣) أُذُنه
"شاهُ" شِطرَنْجِ الكَواكبِ السَّبْعة (٤)، بكلمةٍ مِنّى يَصيرُ إِلى "مات" (٥)

إنْ شَقَقْتَ واحدةً من ذاك التُّفَّاحِ ، تَولّدت مِن لُبِّها حُوريةٌ (٦)
يَغيبُ فِيها العَالَمُ ، فَيصيرُ لِى كَرْمى وَجَنَّاتى

وإنْ أَخذتُ المصْحفَ بِكَفّى ، وقَع مِن الحيرة مِن يَدى
فَيقْرأُ وجُهُها أَوَّلَ عُشرى (٧)، وشَفَتُها تُردِّدُ آيَاتى

(*) مطلعها : خيال ترك من هرشب صفات ذات من گردد
که نفی ذات من در وی همه اثبات من گردد

(١) التركى : رمز الجمال والمنعة .

(٢) حرف عين عينه ، فالعين تشبه حرف العين العربى .

(٣) حرف الجيم بانحنائه يشبه الأذن .

(٤) الكواكب السبعة السيارة وهى فى علم الفلك القديم : المريخ ، الزُّهرة ، المشترى ، زُحل ، عطارد ، القمر ، الشمس.

(٥) مات ، اصطلاح يقال فى لعبة الشطرنج إذا حوصر «الشاه» ولم يجد اللاعب له مخرجاً .

(٦) إشارة إلى ما روى من أن بالجنة شجراً إذا قطفت ثماره ، خرجت من كل واحدة منها حورية لا نظير لها فى الجمال .

(٧) العُشرُ ، علامة على هامش أوراق المصحف لبيان كل عشر آيات فى السورة .

الدُّنْيا جَبلُ الطُّورْ ، وأنا مُوسى (٨)، صَعِقٌ أنا راقصٌ هو
لكنّها تَعلمُ هى أنها تَصيرُ عَلى مِيقاتى (٩)

عَلَتْ شَمسُ الرُّوح هَاتفةً : قُومُوا أيّها الأحبَّةُ
فَلوْ أشرقْتُ عَلى جَبلٍ، لتحوَّلَ مِنىّ إلى ذرَّاتِ

صَه ، فَكَم بَكيّتُ، حَتَّى أَخَذَ هَذا العالَمُ، مُنذُ مَائةِ قرنٍ
يَتَلوَّى فى آهَاتى ، ويَتَحوَّلُ عَلى هَيْهَاتى

* * *

---

(٨) إشارة إلى الآية الكريمة : «ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه، قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقا...» (الأعراف : ٤٣).

(٩) راجع الحاشية السابقة . ولعله يريد أن نهاية الدّنيا بأسرها سوف تكون بنهاية الحياة الإنسانية فيها.

* (٨٦)

أيُّها القَلْبُ ، اجْلس مَعَ مَنْ عِنْدَهُ عَنِ القَلب خَبَرْ
وامشِ تحت شجرةٍ ، تُثْمر الوَرْدَ النَّضِرْ

لا تَمْشِ فى سُوق العِطارة(١) هَذا عَبثاً كالمُتبطِّلينْ
اقْعُد بِدكّانِ مَنْ، فى دكانه سُكَّرْ

إن لَمْ يَكُنْ لَديكَ ميزانٌ ومعْيار ، سَارَعَ كُلُّ لصٌ
كَىْ يُزيِّنَ الزّائفَ ، فتحْسَبُ أنّ لديه ذَهَباً ودُرَرْ

هو يُبْقيكَ على الباب قَاعداً ، (قائلاً) سآتى للسّرِقهْ
للبيتِ بَابانِ ، فلا تقْعدْ بالبابِ تَنْتظرْ

لا تَأتْ بِقَدحٍ عِند كلِّ قِدْر يَغلى ، ولا تَتَلَبَّثْ
فبكلِّ قِدْرٍ يَغلى شئ آخرْ

ما بِكلِّ قَصبةٍ سكّرْ ، ما لُكلِّ تحتٍ فوقُ
ما لِكلِّ عينٍ نظر ، ما بِكُلِّ بحرٍ جَوْهرْ

(*) مطلعها : دلا نزد كسى بنشين كه او از دل خبر دارد
به زير آن درختى رو كه گُلهاى تر دارد

(١) سوق العطارة : الدنيا المملوءة بالروائح والألوان.

ابْكِ أيَّها البُلْبُلُ الصَّدَّاحْ ، فإن ما للسُّكارى مِن نُواح
يُؤثرٌ بقلب الصَّخر والحجَرْ ، نَعَمْ يُؤثِّرْ

طأطِئ الرَّأسَ إن لم تَستوعبِ ، فالخَيْطُ فى سَمِّ الخِياط (٢)
إنْ لَمْ يَلِجْ ، فما ذاك إلا لأن رأسَ الخيطِ كبُر

هَذَا القلبُ اليقظانُ قِنْديلٌ ، فَتَلفَّحْ بِبُرْدته
تجنَّب العَصْفَ والرِّيحَ ، ففى هَوَاهُ فِتنٌ وشَر

إن تَركتَ الرِّيحَ ، أقمتَ بنَبْعٍ
صِرتَ نديماً لرجلٍ ، مُستَغْنٍ عن البَشَرْ

إنْ كُنتَ مُسْتَغْنَياً ، صِرْت كشَجرٍ أخضرْ
يُثمرُ ثَمراً جَديداً ، له دَوماً فى أعماقِ القلبِ سَفرْ

* * *

---

(٢) سَمُّ الخياط : عين الإبرة .

* (٨٧)

أَقْبَلَ الرَّبيعُ ، أقْبَل الرَّبيعُ ، أَقْبَلَ الرَّبيعُ يفوحُ بالمسْك
أَقْبَلَ الحَبيبُ ، أَقْبَلَ الحَبيبُ ، أَقْبَلَ الحبيبُ المُتذرِّعُ بالصَّبْر

أَقْبَلَ الصَّبُوح (١) أَقْبَلَ الصَّبوحُ، أقبلَ صَبوحُ الرَّاح (٢) والرَّوح
أَقْبَلَ سَاقِى الحُبِّ ، مُتَبختراً بإِيثَارِ العُقَارْ (٣)

أَقْبَلَ الصَّفاَ ، أَقْبَلَ الصَّفا ، فأضاءَ الحَجرُ والحصى
أَقْبَلَ السَّقاَ ، أَقْبَلَ السَّقاَ ، أَقْبَلَ شفاءُ كُلِّ عَليل

أَقْبَلَ الحَبيبُ ، أَقْبَلَ الحَبيبُ رَأفَةً بالمشْتاقينَ
أَقْبَلَ الطَبيبُ ، أَقْبَلَ الطَبيبُ ، أَقْبَلَ الطَبيبُ البارعُ

أَقْبَلَ السَّمَاعُ ، أَقْبَل السَّماعَ ، أَقْبَلَ السَّماعُ بِغيرِ صُداعٍ
أَقْبَلَ الوِصالُ ، أَقْبَلَ الوِصالُ ، أَقْبَلَ الوِصَالُ الدائمُ

(*) مطلعها : بهار آمد ، بهار آمد ، بهار مشكبار آمد
نگار آمد ، نگار آمد ، نگارِ بُردبار آمد
ولعلّ الشاعر قد قال هذه القصيدة بعد أن عاد شمس الدين التبريزى من غيبته الأولى فى الشام. (راجع المقدمة) .
(١) الصَّبوح : الخمر تُشرب فى الصباح
(٢) الرّاح : الخمر.
(٣) العُقار : الخمر .

أقْبَلَ الرَّبيعُ ، أقْبَلَ الرَّبيعُ ، أقْبَلَ الرَّبيعُ البَديعْ
أقبلتْ الشَقائقُ والرّياحينَ، والورودُ الحُمْرُ حلوةُ العِذارْ

أقْبَلَ منْ، أقْبَلَ مَنْ ، يَصيرُ بِه الذَّليلُ فَرْداً
أقْبَلَ قَمَرٌ ، أقْبَلَ قمَرٌ ، ليدفَعَ كلَّ غُبارْ

أقْبَلَ القَلْبُ ، أقْبَلَ القَلْبُ الذى تَبَشَّ لَه القُلوُبْ
أقْبَلَ خَمرٌ ، أقْبَلَ خَمرٌ ، لِيدْفَع كُلَّ خِمارْ

أقْبَلَ كَفٌّ ، أقْبَلَ كَفٌّ ، يجد البَحْرُ بِه الدُّررْ
أقْبَلَ مَلكٌ، أقْبَلَ مَلكٌ ، هُو رُوحُ كُلِّ الدّيارْ

كَيفَ أقْبَلَ ؟ كَيفَ أقْبَل ؟ وهُوَ لم يَذْهبْ من هُنا
لكنَّ العينَ تارةً تَعى ، وتارةً تَغْدو بِغيرِ اعْتبارْ

أُغْمضُ عَيْنى وأقُولُ ذَهَبَ ، ثم أفْتَحهُا وأقولُ أقْبَل
هُو فِى النَّومِ واليَقظةَ، قرينٌ وصاحبٌ فِى الغَارْ (٤)

---

(٤) الصاحب: الصّديق ؛ إشارة إلى أبى بكر رضى الله عنه حين صحب الرسول ﷺ فى رحلة هجرته من مكة إلى المدينة ، حيث لجآ إلى الغار حتى يخف طلب كفّار قريش للرسول ، وفى البيت إشارة إلى قول الله تعالى « ... إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا ... الآية ».

الآنَ يسكُتُ النَّاطقُ ، الآن ينطقُ الصَّامتُ
فدعْ عَنْكَ عَدَّ الكلامِ ، فقد أَقْبَل الكَلامُ بأعدادٍ كثَارْ

* * *

* (٨٨)

أَقْبَلَ الرَّبيعُ ، أَقْبَلَ الرَّبيعُ ، أَقْبَلَ الرَّبيعُ حُلْوُ العِذَارْ
أَقْبَلَ أوانُ الشَّقائِقِ الحُمْرِ ، طَابَ العالَمُ وَعَمَّ الاخْضِرارْ

استمعْ إلى السَّوسَنِ أيها الرَّيحانْ ، فَللسَّوسَن مائةُ لِسانْ
انظُرْ وَادى المَاءِ والطِّينْ ، كيفَ امتَلأَ بِوَشْيٍ يُبهِرُ الأَبْصَارْ

تَسألُ الوردَةُ زَهرةَ النِّسرينَ : "كَيفَ كُنتِ فى هَذه الغُربةِ ؟"
تَقُولُ : "بِخيرٍ ، إذْ الطيِّباتُ أَتَتْ مِن تِلكَ الدِّيارْ"

وزهرةُ اليَاسَمينَ تهتِفُ بشَجرة السَّرو : "أَوَ تَرْقُصِينَ وأَنْتِ سَكْرَى ؟"
يُسرُّ السَّروُ بِأذنِها : "قد أَقْبَلَ الحَبيبُ البَارْ"

تَقَدَّمت زَهْرةُ البَنَفسج إلى " النَّيلُوفرِ" قَائلةً "بُورِكْتِ واللَّه"
فَقد أقبلَ العُمر البَاقى ، وَوَلىَّ الجَفافُ ، ثُمَّ وَلىَّ الاصْفِرارْ

وتلكَ النَّرجسةُ رَمَقَتْ الوردةَ بنَظْرةٍ قَائلةً : "أتَضْحَكِينْ ؟"
فَهَتَفتْ بِها : "ما أضْحَكُ إلا ، لأنّ الحَبيبَ بالجِوارْ"

(*) مطلعها : بهار آمد ، بهار آمد ، بهار خوش عذار آمد
خوش وسر سبز شُد عالم ، اوان لاله زار آمد

وقالتْ شَجرةُ الصُّنوبرِ : "تَيَسَّر السَّبيلُ الوَعْرُ بفضْلِ الحقّ
فَكلُّ ورَقةٍ بَدَت فِى قَطعِ الطريق كَسَيْفٍ بتّارْ

من تركستان (١) العالمَ الآخر (مَنْبتُ الأتراك المِلاحْ)
بِأمْرِ المليكِ ، أقبلَ إلى بلاد الهند الماءُ ، ونُثِرتْ الأَزْهارْ

انظرْ ذَلكَ اللَّقلقَ الصَّداحَ ، قَد ارتقى مِنْبَراً
هَاتفاً : "يَا رِفاقَ العملِ ، الصّلا ، حانَ وقْتُ العَملِ والإكْثارْ"

* * *

(١) تُركستان : عُرفت - لغلبة الخضرة على أراضيها ووفرة مياهها - بأنها جنة الله فى الأرض.

إنها عبارات عربيةٌ متكسِّرةٌ مُبْهَمَةٌ ، لأجْلِ العُشاقْ
فلى ملكٌ يقبَلُ كُلَّ قولٍ منّى

لا أجدُ نَفْسى ، فمِنْ أين أَجدُ الكَلامَ ؟
فالشَّمْعُ الذى وَهَبَ هَذا ، هُوَ ما يُضىء شَمْعِى

* * *

* (٩١)

اخْرُجْ أَيَّها الحُزنُ من الصَّدْرِ ، فلُطْفُ الحَبيبِ يُقْبِلْ
وأنتَ أيُّها القلبُ تولَّ عَنىَّ ، فَها هُوَ ذَا الحَبيبُ يُقْبِلْ

لاَ أَقولُ لحبيبى : "أَسَعيدٌ أَنتَ ؟" فَقَدْ جَاوَزَ السَّعادةَ هُوَ
مِن فَرْطِ عِشْقِه ، يِنْتَابُنى مِن السَّعادة عَارْ

أَيُّها المُسْلمونْ أَيُّها المسْلمونِ ، جَدِّدُوا إسْلامَكُمْ
فالكُفْرُ - خَجَلاً مِنْ حَبِيبى - يُقَبلِ كَمسلمٍ مِن الأَبْرارْ

امضِ أيُّها الشُّكر ، فَهذه نعْمةٌ خرجتْ عَنْ حدَّ الشُّكر
لَسْتُ أبْغِى الصَّبْرَ ، وإنْ نَفَعَنى زَمناً الاصْطِبارْ

اغرُبى يَاكُلَّ الصُّوَرْ ، فَقد أقْبلت صُورٌ جَديدةْ
تتنَكسُ أعْلامُكُم ؛ وهُوَ مَا يحدثُ مَرَّاتٍ كثارْ

بَابُ هَذَا الصَّدْرِ وجِدَارُهُ ، يَتَمزَّقُ مِن التَّزاحُمْ
فماَ لاَ يَسعُهُ البَابُ ، يُقبِلُ مِن الجِدارْ

(*) مطلها : برون شو ای غم از سینه ، كه لطف يار می آید
تو هم ای دل ز من گم شو كه آن دلدار می آید

(٩٢) *

جمالُكَ اليومَ ، يتَّخذُ شكلاً آخرْ
شفتُكَ العذبةُ لها اليومَ، ريقٌ حلوٌ آخرْ

ورْدتُكَ الياقُوتيةُ اليوْمَ ، قد نَبَتتْ مِنْ غُصْنٍ آخَرْ
قدُّكَ الشبيهُ بالسَّرْوِ ، لهُ اليَومَ عُلوٌّ آخرْ

قمرُكَ اليوْمَ ، لاتحتَويه السَّماءْ
والسَّكَّةُ (١) الشبيهَةُ بِسَمَائِكَ ، لها وُسْعٌ آخرْ

لسْتُ أدْرى اليومَ ، مِنْ أىّ جَانب نَشأتْ الفتْنَةُ
إنَّما أدْرى أن العالمَ - بِسَببه - شَمِلتْهُ فِتنٌ، مِنْ نوْعٍ آخرْ

ذاكَ الغزالُ صَارِعُ اللَّيثِ ، تَرى بعينيه
أنَّ وراءَ العَالَميْنِ ، صحراءُ فى شَكلٍ آخرْ

(*) مطلعها : امروز جمال تو سيماى دگر دارد
امروز لب نوشت حلوائى دگر دارد

(١) السَّكة : العملة النقدية، ولعلّه يعنى بها الشمس .

هذا القَلْبُ المحبُّ قدْ تولى ، ضاعَ القلبُ والحُبُّ ولّى
لأنَّ لَهُ أَسْمى مِنْ هذا الحُبِّ، حُبَّاً آخرْ

إن لَمْ يكُنْ هُناكَ قَدَمٌ ، فالعَاشقُ يَطيرُ بجنَاحِ الأَزَلْ
وإن لَم تَكُنْ رأسٌ ، فَلهُ مِن الرؤوسِ عَدَدٌ آخرْ

بَحْرُ العَينينِ كَانَ يَبْحثُ عَنْهُ ، ثُمَّ يَفْرَغُ
وَمَا دَرَى أنَّ لِذاكَ الدُّرِّ، بَحْراً آخرْ

فِي العِشْقِ ، قَلَبتُ العَالَمينِ رَأْساً على عقبْ
فَكيف تنشُدُهُ، هُنا ؟! إنَّ لَهُ مكاناً آخرْ

* * *

* (٩٣)

كَيفَ بِمنْ فِى أَعْماقِ قَلْبِه عِشقٌ وطَلبْ
لا يَفتحُ بَابَ القَلبِ ؟ فلذلكَ سَبَبْ

امْضِ واقْعدْ عَلى بَاب قَلْبٍ
يَلجُهُ الحَبيبُ – خِفْيةً – إذا النَّجمُ غَرُبْ

الرُّوحُ الّتى تَنْفَصِلْ (١) ، بَاحِثةً عَنِ اللّهِ
هِىَ نَادرةٌ ، وأَمّرُها عَجَبْ

تلكَ العَيْنُ مِنْ هَذا الإيوانِ ، تَرى إيوَاناً آخَرَ
صَاحبةُ نَظَرٍ هِىَ ، و«شِيرينَ» (٢) لَها لَقَبْ

إنَّ مَنْ هُو هَكَذا ، وللرُّوح قَرينٌ
سَاعةَ يُسْلِمُ الرُّوحَ ، ترى لهُ طَرَبْ (٣)

(*) مطلعها : آن را كه درون دل عشق وطلبى باشد
چون دل نگشايد در ، آن را سببى باشد

(١) أى تنفصل عن علائق المادة والجسد .

(٢) شيرين بالفارسية معناه : الجميل ، العذب .

(٣) يسعد حين تفيض روحه ويلقى الله تعالى .

إنْ أتى قدمُه على الحجرْ ، انهالتْ على كفِّه الدُّررْ
وحين تَبْلغُ رُوحُه الشَّفَةَ ، رَأيتَ بالشَفَة سُكَّرًا مُعْجبْ

إنْ لَمْ يَبْدُ في العَيْنِ ، تَاجُ المُلُوكِ عَليهِ
تَراهُ - بِغيرِ أبٍ وأمٍ - عَاليَ النَسَبْ

صَهٍ ، ولاَ تُفْشِ الأَسْرارَ هُنا وهُناكَ
فَفي جَمْعِ خِفَافِ الرُّوحِ ، قَدْ تَرى أَبا لَهَبْ (٤)

* * *

---

(٤) يرمز الشاعر بأبي لهب إلى أعداء الله وأعداء الرسول وأتباعه .

* (٩٤)

رِفاقُ قِيامِ السَّحَرْ ، مَنْ ذا يُدْرِكُ منهُمُ الصُّبْحَ؟
لِيدرِكَ ذرّةً مِن صِفتِنا ، وهِيَ متقلّبةٌ لا تستقرْ (١)

مَنْ صَاحِبُ السَّعد الذى ، يَأْتِى إلى شَطّ غَديرٍ ؟
كَىْ يشْرَبَ ويَرْتَوِى ، فَيلْقى صُورةَ القمرْ (٢)

مَنْ ذا مَثلُهُ مَثَلُ يَعقوبَ ؛ بِقَميصِ يُوسُفَ
يتشمَّمُ رَائحة وَلدِه ، فيجدُ نَوَرَ البَصَرْ

أوْ كأعرابى ظَمآنٍ ، يُلقي ببئرٍ دَلْواً
فيجدَ بالدَّلوِ حَسناءَ ، كَقدحٍ مِن السُّكَّرْ

أو كَمُوسَى الباحثِ عَن نَارٍ ، يتَّجهُ نَحوَ شَجرةٍ
يأتى كى يقتبس النّار ، فيجد مائة صُبْحٍ وسَحَرْ

(*) مطلعها : ياران سحر خيزان تا صبح كه در يابد ؟
تا ذرهٔ صفت ما را كه زير وزبر يابد ؟

(١) من أحوال العاشق اضطراب الظاهر وصفاء الباطن.

(٢) يلقي صورة القمر على صفحة ماء الغدير .

يَثِبُ عيسى ببيتٍ ، كى يَنجُوَ مِنْ العِدا
فَيلقى - بغتةً - من البَيْتِ نحو السَّماءِ مَعبرْ (٣)

أوْ كسُليمانَ يفتحُ بَطنَ سَمَكَةٍ
فيلقى به خَاتماً ، مِن ذهبٍ وجوهَرْ (٤)

السَّيفُ بِيدِ عُمَرْ ، يُزمِعُ قَتْلَ رَسُولِ البشَرْ
يَقعُ فى شِباكِ اللّه ، ولِسَعْدِه يُؤْتىَ النَّظرْ (٥)

أو ابنُ أدهمَ ، انطَلَق صَوْبَ ظَبىٍ
يَرُوُمُ صَيْدَ الظّبْىِ ، فَيجدُ صَيداً آخَرْ (٦)

---

(٣) إشارة إلى قصة عيسى - عليه السلام - حين ثار عليه اليهود ليقتلوه ، فيدخل بيتاً فيه كوّة فى سقفه ، فرفعه الله تعالى إلى السماء من تلك الكوّة ، انظر : ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، طبع بيروت ١٩٦٥م ،ص ٣١٨ .

(٤) وهو الخاتم الذى كان فيه مُلك سليمان - عليه السلام - بعد أن اختطفه الجنىّ وتشبه بسليمان وجلس على عرشه ، وهام سليمان على وجهه حتى تصدق عليه أحد الصيادين بسمكة وجد خاتمه فى بطنها حين فتحها . وكان الجنّى قد ألْقى الخاتم فى البحر فابتلعته تلك السمكة .

(٥) إشارة إلى حديث إسلام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين خرج ومعه سيفه يريد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما لقيه أسلم .

(٦) إشارة إلى قصة إبراهيم بن أدهم حين كان أميراً فخرج بجيشه للصيد ، فلما انفصل وحده عن الجيش سمع من يقول له «انتبه» فلم يلتفت ووجد ظبيا فطارده ، فسمع الظبى يقول أمرتُ باصطيادك ، ولن يسعك صيدى ؛ وكان هذا سببا فى زهده .

أو كصَدَفةٍ عَطْشى ، تفغرُ الفَمَ
كَيْ تَقْتَنِصَ قطرةً ، فَتَلْقَى بِجوفِهَا جَوْهرْ (٧)

أو رَجُلٍ يقصِدُ الخَرائبَ ، يجمعُ الحَطَبْ
بَغتةً يجدُ فى خَرابةٍ ، عَنْ كنزٍ خَبَرْ

دَعْ الأحاديثَ وامْض ، كَىْ يُدركَ القَريبُ والغَريبُ
بنورِ «ألم نَشرحْ » ، امْتَنِاعَكَ ، عَنْ أنْ تُشرَحَ وتُفسَّرْ (٨)

كلُّ مَن خَطاَ - صَادقاً - خُطوةً ، صَوبَ شَمس الدِّين
إنْ كَلَّ قدمُهُ ، وَجَدَ - بالعِشْقِ - جَناحَيْنِ وأكْثَرْ

* * *

---

(٧) إشارة إلى ما هو مشتهر بين الناس بأن قطرة من ماء المطر إذا دخلت بجوف صدفة ، انطبقت الصدفة عليها وظلت بها حتى تحوّلت إلى لؤلؤة نفيسة .

(٨) إشارة إلى قول الله تعالى للرسول - ﷺ - « ألم نشرح لك صدرك » (الشرح : ١) ، والمعنى أن الإنسان كائن يصعب تفسيره ، وأن خالقه وحده هو القادر على فك طلاسمه .

(٩٥) *

مَن كُنْتَ لَهُ ، أَيَعْتَريه من السَّعادة نَقْصُ ؟
ومَنْ يَراكَ أيُّها القَمرْ ، أَيَنْتَابُه كَمَدٌ وَغَمْ ؟

مِنْ لَوْنِ بَلُّورِكَ صَار جَوْرُكَ عَذْبَا
وكَمْ لِجَوْرِكَ مِن ، خَطْوٍ سَرِيعٍ مُبْرَمْ (١)

يَا مَنْ مِنْك دَلالُ الحُورْ ، يَا مَنْ مِنْكَ تَأَلُّقُ النُّورْ
يَا مَن مَائتانِ كالقَمرِ ، غِلمانٌ لهُ وحَشَمْ

إنْ لمْ يكنْ هُوَ حَشمُهُ ، لَكانَت الشَّمسُ وَحْدَها (٢)
ولِحشَمِ حُسْنِه ، مَائةُ طَبْلٍ وَعَلَمْ

العاشِقُ جَدُّ وَلِهانْ ، هَانِئٌ فَرْحَانْ
فِي ظِلِّ طُرَّةٍ ، ذَاتَ ثَنيَّاتٍ لاتَنْتَظِمْ

(*) مطلعها : آن كسى كه ترا دارد ، اندر عيش چه كم دارد ؟
وان كسى كه ترا بيند ، اى ماه چه غم دارد ؟

(١) المبرم : المُحكمْ

(٢) يعنى : لو لم يكن القمر له حشماً ، لأصبحت الشمس وحدها هى الحشم .

قُلتُ لحبيبى : " لا تبْغْ بالجَور كسْرى "
قَال : " ابْقَ بِصَدَفةٍ بِجوفِهاَ الدُّررُ اليُتْمُ " (٣)

مَا لَمْ تَنْكَسرْ أيُّها الوَلْهانْ ، لنْ تَظْهرَ الدُّرَّة
فتلكَ الدرَّةُ صَنَمى ، أوْ لَها شَكْلُ الصَّنَمْ

حينَ تَجلَّى شَمْسُ الحقِّ التَّبريزىِّ عَلَى اللَّوح
فَواللَّه ، إنَّ لَهُ مِنَّةً ، عَلىَ اللَّوْحِ والقَلَمُ (٤)

* * *

---

(٣) اليُتم : الفرائد .
(٤) اللوح والقلم : اللوح الذى خط عليه القلم كل ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم الدّين ، والمعارف والمدركات كلها محفوظة فيه .

مِنَ السَّرْوِ يُقبِلُ عليَّ ، عِطرُ عُلاكْ
مِنَ القَمرِ يأتي إليَّ ، لَوُنك ومُحيَّاكْ

كلُّ قصبةٍ تَعقدُ حزامَ الخِدمةِ أمامَكْ
يجتاحُها السُّكَّرُ ، ببَركةِ التعبُّد لحَلْوَاكْ

كُلَّما هربتُ منكَ ، وعاندتُ عشقَكْ
تَملَّكَ رأسي – من الجِهات السِّت – غَرامُك ووَلاكْ

وإنَ عَلَوْتُ من الدُّونِ ، وخَرجتُ مِن الكَوْنِ
تردَّدتْ في أُذُني هُنَاكَ أيضاً هَيْهَاكْ (١)

فِي القَلبِ صِياحٌ ، مُتْرعٌ بالفِتْنَةِ والعَذْلِ (٢)
أعْلمُ أنَّ ذاكَ النُّواحَ ، إنَّمَا يَصدُرُ عَن نَايِكَ ذَاكْ

(*) مطلعها : از سرو مرا بوى بالاى تو مى آيد
وز ماه مرا رنگ وسيماى تو مى آيد

(١) هَيْهَاك : هَيْ ، فعل أمر بمعنى أَسْرِع ، والهاء أداة الجمع الفارسية ؛ هيهاك : قولُك لى : أسْرِع أسْرِع.

(٢) العذل : اللوم ، وفى الأصل : غمازى : الغمز ، ولعلَّ المعنى الأول هو الأقرب .

لَيْلي نهارٌ بكَ ، شَفَتي جَافَّةٌ بكْ
وَمَا ضَرَّهاَ إن جَفَّتِ ، فَماؤُكَ آتٍ ومَرْعَاكْ

لا فَواقَ لأَحَدٍ تحت الفَلكِ الأَعظَمْ (٣)
فمِن وَراءَ وقُدّامَ ، يَأتي خَمرُكَ وسُقْياكْ

* * *

(٣) فى الأصل : الفلك الأطلس ، وهو الفلك التاسع المحيط بالأفلاك كلها .

* (٩٧)

قَدْ أَصْبحتَ عَاشقاً ، أيُّها القَلبُ ، بُورِكَ الحُبُّ لَكْ
خَلَصتَ مِن الحَيِّزِ والمَكان ؛ بُورِكَ هناكَ لكْ

اعْبُرْ كلا العَالَمينْ ، اضْربْ وَحْدك واشْرَب وَحْدكْ
حَتَّى يَهْتفَ المُلْكُ والمَلَكُ : بُوركتْ الوَحدةُ لَكْ

يَامَنْ أنتَ رَجلٌ تَمْضى قُدُمَا ، تَبْدو اليَومَ مُصْطَدِمَا
يَامَنْ أنتَ تَزهدُ الغَدَ (١) ، بُورِكَ الغدُ لَكْ

كُفْرُكَ صَارَ ديناً كلّه ، مُرُّك صَار حُلْواً كُلُّه
صِرتَ بأجْمعِكَ حَلْوى ، بُورِكتْ الحَلْوى لَكْ

للفُقراء فى ضِيقِ الصَّدر، ضَجَّةٌ وصَخَبْ
يَا صَدْراً بِغيرِ غلٍ ، بُورِكتْ الضَّجَّةُ لكْ

عَينُ القَلب هَذه ، كَانَتْ دَامِعَةً ثُمَّ غَدَتْ بَحْرا
بَحرُها يَهْتِفُ قَائلاً : بُورِكَ البَحْرُ لَكْ

(*) مطلعها : عاشق شده اى ، اى دل ، سودات مبارك باد
از جا ومكان رستى ، آنجات مبارك باد

(١) أى تخشى الموت ومنازل الآخرة .

يَا عَاشقاً قَد خَفَا ، جُعلَ لك الحبيبُ قَرينا
وَيا طَالبَ العُلا ، بُوركَ العُلا لكْ

أيَّتُها الرُّوحُ الرَّضيَّة ، الطالبةُ ، التى تسعى
قَد أخَذتْ صُفُوفُكَ أُهْبَتَها ، بورِكَ الصَّفُّ لَكْ

صَهٍ ، وتَخَفَّ ، يَا حُسْنَ مَا اتَّجَرْتَ
لَقد حَمَلتَ مَتاعاً عَجَبا ، فبورِكَ المتاعُ لَكْ

* * *

* (٩٨)

أيُّها الحبيبُ ، السُّكَّرُ أفضَلُ أَمْ مَنْ يَصْنَعُ السُّكَّرْ
أحُسْنُ القمرِ أَفضَلُ ، أمْ مَنْ يَجعلُ القَمرْ ؟

أَيُّها الرَّوْضُ ، أأَنت أفْضلُ ، أَمْ مَا فيكَ مِن وَرْدٍ وزَهَرْ ؟
أَمْ مَن يُخرجُ الوَرْدَ ، ويُبْدِعُ مِئاتِ النَّرجِسِ النَّضِرْ ؟

أَيُّها العَقْلُ ، أأَنْتَ أَفضلُ في العِلْمِ والبصيرة
أَمْ مَنْ يُبْدعُ كُلَّ لَحظةٍ، مَائةَ عَقْلٍ ونَظَرْ

أَيُّها العِشْقُ ، مَع أنَّك مثيرٌ كَثيرُ التَّعقُّدْ
فهُناك شيءٌ يَلفُّ العِشْقَ، بِحزامٍ مِن نَارٍ تَسْتَعِرْ

قَد صرتُ به ذَاهلاً ، دَائرَ الرَّأسِ حَيْرانَ
تارةً يَحْرقُ جَنَاحي ، وتَارةً يَجْعلُ رَأساً وَجَناحاً يُنشَرْ

(*) مطلعها : اى دوست ، شكر بهتر ، يا آنكه شكر سازد؟
خوبىَ قمر بهتر ، يا آنكه قمر سازد؟

بَحرُ القَلْب بِلُطْفه مَملوءٌ بِخُسْرو ، مَمْلوءٌ بِشيرين (١)
ومِن قَطْرَةِ الفِكرِ يُبْدعُ ، مَائةَ صِنفٍ مِنَ الجَوْهَرْ

يَسْحَقُ تلكَ الجَواهَرَ كُلَّها فِي العِشْقِ
ثُمَّ يَجْعَلُ مِنَ العِشْقَ المُعْجِبِ شَيئاً آخَرْ (٢)

شمسُ الحقّ التَّبريزى ، كالشَّمس يَجْعلَ قَلْبَنا
في الفِعل سَيْفاً ، وفى الذّاتِ كالدِّرعِ أو كالمِغْفَرْ

* * *

(١) إشارة إلى قصة الحب التى جمعت بين الملك الساسانى خسرو پرويز وفتاة أرمنية تسمى شيرين . راجع ماسبق ، القصيدة رقم ٢٨ ، هامش ٣ ، ص١١٢ .
(٢) يعنى لابدّ للفكر من الذّكر ، وللعقل من القلب ، وللعلم من الحبّ .

* (٩٩)

لا تَقْنطْ أيُّها الحبيبُ ، فقدْ بدَا الأَملُ
أملُ كُلِّ الأَحِبَّةَ ، وصَلَ مِن الغَيْبِ وأَقْبَلْ

لا تَقْنَطْ ، فَمريمُ إن مَضَتْ وترَكَتْكَ
فالنُّورُ الذى رَفَعَ عِيسَى عَلى السَّماوَاتِ العُلا ، أَقْبَلْ

لا تَقْنَطْ ، أيّها الحَبيبُ ، فِى ظُلمَةِ هَذا السِّجْنِ
فالملكُ الذى اشْترى يُوسفَ مِنَ الحَبْسِ ، أقْبَلْ

خَرجَ يَعقُوبُ مِن قَميصِ السِّتْرِ (١)
ويُوسُفُ الذى حَمَلَ زُلَيْخاَ عَلى قَدِّ القَميصِ ، أَقْبَلْ

يَا مَنْ دَفَعْتَ الَّليلَ حَتَّى بَلَغ السَّحَرَ ، بدعاءٍ "يَاربٍّ ويَارَبٍّ"
فإذا بالرَّحمة حين سَمِعَتْ "يَارَبٍّ ويَارَبٍّ" تُقْبِلْ

(*) مطلعها : نوميد مشو جانا كاوميد پديد آمد
اوميد همه جانها از غيب رسيد ، آمد

(١) إشارة إلى قول يوسف لإخوته - كما ورد فى القرآن الكريم ، «اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا ...» (يوسف : ٩٣).

أيُّها الألَمُ الذّى طَالَ بِه العَهْدُ ، بَخٍ بَخٍ (٢) ، جاءَ الشِّفا
أيُّها القفلُ مُحْكَمُ الغَلْقِ، انْفَتِحْ فالمفتاحُ أقْبَلْ

يا مَنْ تَصومُ بِرِفْدِ مَائدةِ السَّما
أفْطِر رُوَيداً رُوَيداً ، فَغُرَّةَ العِيدِ تُقْبِلْ

صَهٍ ، ثُمَّ صَهٍ ، بِأَمْرِ " كُنْ " (٣)
فالصَّمتُ المشوبُ بالحيرةِ، قد تَعدّى القولَ وأقْبلْ

* * *

(٢) كذا فى الأصل ،كلمة عربية : "تقال عند الرضا والإعجاب بالشىء" (المعجم الوسيط) .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى : «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون » . (يس : ٨٢) .

* (١٠٠)

جَاءَ شَمسى وقَمرى ، جَاءَ سَمْعى وبَصَرى
جَاءَ بَدَنىَ الفضُّى ، جَاءَ مَنْجَمُ ذَهَبى

جَاءَ سُكْرُ رَأْسى ، جَاء نُورُ نَظَرى
إنْ أَردْتَ شَيئاً آخَرَ ، فَشَئٌ آخرُ حَلَّ بى

جَاءَ قَاطعُ طَريقى ، جَاء نَاقِضُ تَوبَتى
جَاءَ يُوسفَ يُبرِقُ ويَلمَعْ ، جَاءَ بَغتَةً إلى صَدْرى

اليومَ يَزهُو على الأَمسِ ، يَا مُؤنِسىَ القَديمْ
كنتُ بالأْمسِ بِه ثَمِلاً ، فَعنْهُ خَبرٌ جَاءَنى

مَنْ ظَللْتُ أبْحثُ عَنْهُ ، بالأمسِ بِنُور قِنْديله
اليومَ ، كباقَةِ زَهْرٍ ، جَاءَ عَلى مَعْبَرى

لفَّ خَصرهُ بِيديه ، إلى صَدْرِه ضَمَّنى
مَنْ تاجِ الملاحِ الغِيدِ ، لفَّ حِزَاماً نَادراً بِخَصْرى

(*) مطلعها : شمس وقمرم آمد ، سمع وبصرم آمد
وان سيمبرم آمد ، وان كان ذرم آمد

انظُر رَوْضَهُ وربيعَهُ ، انظُرْ خَمرَهُ وخمارَهُ
انظُر الهَضْمِ والصِحَّةَ ، فقد جَاء سُكَّرى الوَرْدى (١)

فَما خَوْفى مِنَ المَوْت ، وقَد جَاءَ مَاءُ الحياة
ومَا خَوْفى مِن الطَّعْنِ ، وقَد جاءَ هَوَ : دِرْعِى

أنا اليومَ سُليمانَ ، إذْ وَهَبْتَنى خَاتَماً
وحَطَّ تاجُ المُلوكِ ، فَوقَ مِفْرَقِ رَأْسى

إنْ زَادَ أَلَمى عَن الحدِّ ، فَفى سَفَر العِشق بلغتُ الجَدَّ
فَيا لها - يَاربِّ - مِن سَعادةٍ ، نِلتُها أنا مِنْ ذاكَ السَّفرِ

حَانَ الآنَ أنْ أشْربَ الخَمْر ، حتى يُبْرَقَ وَعْيى
حَانَ الآن أَنْ أُحلِّقَ عَالياً ، فالرِّيشُ والجَناحَ أَتانى

حَانَ الآنَ أنْ أُشعَّ بالنُّورِ ، كالصُبْحِ فى هذا العَالمِ
حَانَ الآن أَنْ يَعْلُو زئيرى ، فَمَلكُ الغَاب جاءَنى

(١) فى الأصل : گلشكر : ومُعرَّبهُ "خلنجبين" سكر جُبَل بأوراق شجرة الورد، وهو مفيد فى عملية الهضم، يقوّى القلب، (انظر ، لغت نامه دهخدا).

بَيْتَان بَقيا ، لكنّهم أخذُونى - ياحبيبى -
مَكاناً ، الدُّنيا فِيه جَدُّ قليلَةٍ ، كما بَدَتْ لِى

* * *

*(١٠١)

المنَّةُ للَّه (١)، قد خَلَصْنا من المعْركة والنِّزالْ
خلَصْنا مِن هذا الوَادى الوَعْرِ ، المَلىء بالشَّوكِ والإعْسَارْ

مِن الرُّوح المليئةِ بالوَهْم ، ذِى الفِكرْ المُعْوَجِّ عَبَرنا
خلَصْنا مِن هَذا الفَلكِ ، آكِلِ الكبادْ ، المكّار

ثمَّ إنّا فى ظِلِّ رَوْضَة الإقْبالِ غَفَوْنا
فَقَد نَجوْنا مِن دوّامَةِ ذلكَ المُحيطِ الزَّخَّارْ

نَحنُ فُرسانٌ مَغَاويرْ ، بِلا خُيولٍ رَكِبْناها
نحن سُكارى ، بلا خَمرٍ شَربْناها
قد فرغنا مِنْ الكَأسِ ، ومِن منَّة الخمَّارْ

حِينَ شَهِدْنا قَمرَ التَّوْبة (٢) ، تَخلَّصْنَا دَفْعَةً
نَقَضْنا التَّوبة ، وعَقَدنَاها مَرّاتٍ كثَارْ (٣)

(*) مطلعها : المنَّةُ لله كه ز پيكار رهيديم
زين وادى خم در خم رهيديم
(١) المنَّة : الإحسان والإنعام،(القصيدة رقم ٢٣٢ فى مجموعة كدكنى).
(٢) قمر التوبة : شهر رمضان .
(٣) إشارة إلى فرح الحق - تعالى - بتوبة عبده وتجديد توبته، كما قال النبى - ﷺ - « ... فما هو بأشدَّ بها فرحاً من الله بتوبة عبده» (ابن حنبل : المسند، ٤ :٢٧٣).

أيَّتُها السَّنَةُ ، يالك مِنْ سَنَةٍ ، فبطَالَعك الحَسَنِ
نَجَوْنا مِن مَخْرَفَةِ عامٍ، وأعوامٍ مَضَتْ وَأعْصَارْ

بالعِشْقِ تَعدَّينا الأيامَ الثلاثة (٤)، وتَركْنا الأربعينَ (٥)
فحينَ جَاءَنا المذْكور ، خلَصْنا مِن الأذْكَارْ

صَهٍ ، فَبهَذا العِشْقِ ، وبِعلَمِه اللَّدُنِّى (٦)
كُنا فِى غِنىً عَن المدرسةِ والأوْراقِ ، والتَّكْرارْ

صَهٍ ، فَبِهذا المَنجْمِ ، وَهَذا الكنْزِ الإلهى
ضَرَبنا صَفحاً عَن الكسْبِ ، والدِّرهَمِ والدِّينارْ

أَجَلْ ، لقد انْتهىَ بِنا الأَمرُ ، إلى أنَّ الشَّمسَ حينَ أَشرَقَتْ
خَلَصْنَا مِن الرَّقيبِ ، واللِّصِّ ، واللَّيْلِ البَهيمِ والأخْطَارْ

* * *

---

(٤) الأيام الثلاثة : يعنى بها صوم الأيام الثلاثة فى منتصف كل شهر قمرى، وهى ١٣و١٤ و١٥من الشهر .

(٥) الأربعين : التعبد مدة أربعين يوماً متواصلة فى مكان منقطع عن الناس، وهو من أسس التربية الصوفية .

(٦) اللدُنى : الرَّبانىّ ، وهو العلم الذى يصل إلى صاحبه عن طريق الإلهام.

الفهارس

أولاً : فهرس الأعلام

ثانيًا: فهرس الأماكن والبلدان

ثالثًا: المحتويات

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن و البلدان

المحتويـــات